

أربعة مؤرخين
وأربعة مؤلفات
«من دولة المماليك الجراكسة»

د. محمد كمال الدين عز الدين على



اهداءات ٢٠٠١

اصلاح واتج

القاهرة



رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

عبد العظيم الشبلي

أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات
«من دولة المماليك الجراكسة»

تأليف
د. محمد كمال الدين عز الدين على



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الإخراج الفني : مراد تسيم

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب الهام ، الذي يتناول أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة . وقد كتبه الدكتور محمد كمال الدين على ، مدرس التاريخ الوسيط بكلية الآداب جامعة المنوفية ، ومحقق عدد كبير من كتب التراث ، وبالتالي فهو ذو خبرة في مجال تخصصه .

وتتمثل أهمية هذه الكتب فيما كان لها من تأثير بعيد على الكتابة التاريخية في عصرها ، ، وهي : « المختصر في علم التاريخ ، للمحبي الكافيجي ، و « تاريخ الرسائل والملوك » لابن الفرات ، و « الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين » لابن دقماق ، و « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، للفتى المقرئى . وجميعها ظهرت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، فيما بين عامي ١٣٧٤ و ١٤٤١ .

ولاشك أن عرض هذه الكتب يتيح للقارئ الاطلاع على أربعة نماذج من الكتابة التاريخية في ذلك العصر ، قد لا يتيسر له التعرف عليها الا من خلال هذا العمل العلمي . وفي الوقت نفسه يتعرف على تاريخ هذه الفترة بمنهج تحليلي يكتبه متخصص .

وتعتبر هذه الكتب الأربعة من المصادر الأساسية في كتابة تاريخ هذه الفترة ، ينهل منها الباحثون في التاريخ الاسلامي

والوسيط بقدر ما يستطيعون ، ولكنها تحتاج الى جهد جهيد لدراستها والتعريف بها وبمؤلفيها ، للافادة منها فى اعادة صياغة تاريخ مصر . ولم يشأ مؤلف هذا الكتاب التعريف بهذه الكتب فقط ، بل قام بالتعريف بمؤلفيها بدراسات هامة تعد اضافة قيمة يستفيد منها الباحث المختص والمثقف العادى .

ولقد شاء لى حظى أن تعامل مع هذا النوع من الكتب التراثية فى اثناء تأليفى لكتابى « الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية » ، الذى صدر عن دار المعارف فى عام ١٩٨٣ ، واكتشفت صعوبة الاستفادة منها ، لما تحويه من وقائع تحتاج الى تمحيص دقيق وحذر شديد ، ولكنها كانت تبدو المصادر الوحيدة التى لا غنى عنها لكتابة العصر الاسلامى والوسيط، وبالتالي لم يكن مفر من بذل الجهد الشاق لاستخراج الحقائق التاريخية منها . ومن هنا اشفقت على مؤرخى التاريخ الاسلامى الجادين الذين اثمروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة . واعتقد أن الدكتور محمد كمال الدين ، مؤلف هذا الكتاب ، واحد منهم ، وهذا ما دعانى الى الالاحاق فى تعيينه مدرسا للتاريخ الوسيط فى كلية الآداب بجامعة المنوفية ، حتى يستفيد بعلمه الطلبة ، وهو ما دعانى أيضا الى نشر هذا الكتاب الجاد فى سلسلة تاريخ المصريين . وأملى أن يجد القارئ فى قراءته ما يبغى من متعة عقلية .

والله الموفق ، ،

رئيس التحرير

د . عبد العظيم ومضان

الإهداء

إلى روح ابنتي « ولاء » في جنات الخلد
بإذن الله .

مقدمة

يحتوى هذا الكتاب على دراسة مركزة فى أربعة كتب رائدة ،
تنسب الى أربعة من المؤرخين الأعلام - فى دولة المماليك الجراكسة
فى مصر - كان لها تأثيرها والى مدى بعيد على الكتابة التاريخية
فى وقتها ، وهى :

« المختصر فى علم التاريخ » للمحبي الكافيجى (ت ٧٨٩ هـ /
١٤٧٤ م) ، و « تاريخ الرسائل والملوك » لابن الفرات - الحنفى
(ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ، و « الجواهر الثمين فى سير الملوك
والسلطين » لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ، « والمواعظ
والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » للتحقى المقرئى (ت ٨٤٥ هـ /
١٤٤١ م) .

ان بفضل ظهور الكتاب الأول « المختصر فى علم التاريخ »
أنشأ « الشمس السخارى » : « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل
التاريخ » ، كما أنشأ « الجلال السيوطى » : « المشماريخ فى علم
التاريخ » ، فضلا عن تأثرهما و « ابن الصيرفى الجوهري »
و « عبد الباسط - الحنفى » فى منحاهم التاريخى به .

كما كان كتابا « ابن القرات » و « ابن دقماق » موردين موردين
رئيسيين لدى من أتى بعدها من المؤرخين ، كالتقى المقرئى ، وابن
حجر العسقلانى ، والبدر العينى ، وابن تغرى بردى ، وقد نقلوا
منهما نصا أو ضمنا .

أما « المواعظ والاعتبار » ، أو « خطط المقرئى » ، فقد حاز
فى وقته - وفى وقتنا كذلك - إعجابا لا نظير له ، لدى المؤرخين ،
الذين وصفوا هذا العمل بالتقرد فى بابيه ، وعدوه أعجوبة من
أعاجيب الكتابة فى حينه ، ونقلوا منه - كذلك - نصا أو ضمنا ،
بحيث لا تخلو كتابة تأريخية واعية عن مصر - منذ الفتح العربى
لها وحتى سقوط الدولة المملوكية الثانية - من منقول أو أكثر منه .
بل لقد كان عمدة فى انشاء العديد من المصادر اللاحقة لدى بعض
المؤرخين ، ومنهم : « ابن تغرى بردى » ، الذى نقل منه فصولا
طويلة فى مؤلفه « البحر الزاخر فى علم الأول والآخر » ، و « ابن
أياس - الحنفى » ، الذى جعله عمده فى انشاء كتابيه : « نزهة
الأمم فى العجائب والحكم » و « نشق الأزهار فى عجائب الأقطار » .

وفضلا عن ذلك ، فهى أربعة من موضوعات الكتابة التاريخية
آنذاك ، يمثل أولها (المختصر فى علم التاريخ) فلسفة التاريخ
ومنهجيته ، بينما يمثل ثانيها (تاريخ الرسائل والمسالك)
التاريخ العام ، فيما بين الخليفة وعصر مؤلفه ، على حين
يمثل ثالثها (الجواهر الثمين) التاريخ للدول من خلال تراجم
الخلفاء والسلاطين ، ويمثل رابعها (خطط المقرئى) التأريخى
(لمصر) بجانيبه السياسى والحضارى ، وهى أنماط أربعة من أنماط
الكتابة التاريخية ، لاتزال - فيما أرى تحتاج الى جهد جهيد فى
دراستها والتعريف بها وبمنشئها ، للاستفادة فى إعادة صياغة تاريخ
مصر ، والتعريف بأعلامه ، والتعرف على سمات المنهج المتبع
- آنذاك - فى التدوين التأريخى .

الفصل الأول

المحيى الكافي وكتابه « المختصر في علم التاريخ »

المحيى الكافي (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)

دراسة حياة

ولد « محيي الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد
ابن مسعود^(١) ، الرومي - الحنفي » ، المعروف « بالكافي »^(٢)

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : ابن تغرى بردى الدليل الشافى ج ٢
ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦ ، المنهل الصافى ج ٢ ق ١٠٦ ب - ١٠٧ ، السخاوى .
الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦١ تر ٦٥٥ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ١
ص ١١٧ - ١١٩ تر ١٩٨ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ تر ٥٥ ،
المتجم فى المعجم ق ٧١ ب - ٧٢ ب ، طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة ج ٢
ص ١٢٦ - ١٢٨ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٢٦ -
٣٢٨ .

(٢) نسبة الى «الكافية» لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م) ، والتي
كان يكثر من قراءتها واقرائها ، بزيادة جيم ، كما هي عادة الترك - آنذاك
فى النسب .

راجع : السخاوى . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٦٠ .

فى بلاد الروم (٣) قبل التسعين وسبعمائة للهجرة - تقريبا (٤) -
ونشأ بها ، متتلماً على جماعة من العلماء (٥) ، منهم : « البرهان
الخافى » (٦) و « الحافظ البزارى » (٧) و « البرهان حيدرة » (٨)
و « عبد الواحد الكوتائى » و « الشمس الفزرى » (٩) و « واجد »
و « ابن العزى » و « ابن فرشتا » (١٠) ، وغيرهم . ثم ارتحل الى

(٢) تشير مصادر ترجمته الى أنه ولد فى «ككجة كى من بلاد صاروخان»
ويقابلها - حالياً - « كوك جاكى فى الأناضول » .

راجع : روزنثال . علم التاريخ عند المسلمين ص ٢١٨ .

(٤) أشار السخاوى (الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩) الى ذلك ، موهنا
قول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ٣ ق ١٠٦ ب) بأنه ولد سنة « احدى
وثمانائة » للهجرة .

بينما أرخ السيوطى (المنجم فى المعجم ق ٧١ ب) لمولده جزماً بسنة
« ثمان وثمانين وسبعمائة للهجرة » ، وتقريباً (حسن المحاضرة ج ١ ص
٥٤٩) بـ « قبل ثمانمائة تقريباً » .

(٥) لم أهد الى ترجمة أكثر أساتذته ، كما لم تشأ مصادر ترجمته ان
تحصيهم لنا ، او ان تذكرهم - غالباً - بأسمائهم .

(٦) هو « أمير حيدر » ، احد تلامذة ، التفتازانى - راجع . السخاوى .
الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ .

(٧) هو « محمد بن محمد - الحنفى » ، صاحب الفتاوى - راجع ؛
المصدر السابق ج ١١ ص ١٩٠ .

(٨) ترجمه السيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٩ تر ١١٥١) باسم
« حيدرة الشيرازى » ، مشيراً الى أنه مات بعد العشرين وثمانمائة .

(٩) هو « محمد ابن حمزة بن محمد - الرومى » (ت ٨٣٤ هـ / ١٤٣١ م)
ونسبته الى صناعة « الفتيار » . له ترجمة فى : ابن حجر . انباء الغمر ج ٣
ص ٤٦٤ - ٤٦٥ تر ١٣ ، السخاوى . الضوء اللامع ج ١١ ص ٢١٨ ،
السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ تر ١٥٩ ، طاشكبرى زادة . مفتاح
السعادة ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(١٠) هو « عبد اللطيف بن عبد العزيز » - راجع : السخاوى . الضوء
اللامع ج ١١ ص ٢٢٤ .

الشام والحجاز - حيث حج أكثر من مرة - والقدس ومصر ، التي دخلها فى أثناء سلطنة « الأشرف برسباى » (١١) (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) ، متخذاً من القاهرة موطناً له ، وقد تنزل فى « البرقوقية » ، منصرفاً الى الاقراء والتدريس والفتوى ، فأجتمع به مشاهير علمائها وتلاميذها من سائر المذاهب (١٢) ، كما قصده الطلبة من خارجها (١٣) ، وقد رآوا فيه اجتهاداً فى تحصيل العلم ، ودأباً فى تقريره ، وتقدماً فى أكثر فروعه ، كاللغة ، والأصول ، والفرائض والكلام ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق ، والهيئة ، والهندسة ، والطبيعية . بحيث عد لدى « السخاوى » : « علامة الدهر ، وأوحد العصر ، ونادرة الزمان ، وفخر هذا الوقت والأوان » (١٤) ، ولدى « السيوطى » : « اماماً كبيراً فى المعقولات كلها » (١٥) ، مما أهله لتولى بعض الوظائف الدينية ، إذ أسند اليه « الظاهر جقمق »

(١١) أشار السخاوى (نفسه ج٧ ص ٢٦٠) الى أن ذلك كان « بعيد الثلاثين وثمانمائة للهجرة » .

(١٢) كابن حجر العسقلانى ، وابن أسد ، والبدر البلقينى ، والتقى الحصنى ، وابن تغرى بردى ، والسخاوى ، والسيوطى . . اذ كثيراً ما يتردد اسمه فى ترجمات معاصريه من الأعيان والاساتيد الطلبة .

راجع : ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج٣ ق ١٠٧ ١ ، السخاوى . الضوء الملامع ج٧ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، السيوطى . التحدث بنعمة الله ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، المنجم فى المعجم ق ١٧٢ .

(١٣) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج٣ ق ١٠٧ ١ .

(١٤) السخاوى . الضوء الملامع ج٧ ص ٢٦١ .

(١٥) السيوطى . بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ ، المنجم فى المعجم ق٧١ .

• ب

(ت ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) • مشيخة « زاوية الأشرف برسباي » (١٦)
فمشيخة الحديث فى تربته(١٧) ، كما أسند اليه « الأشرف اينال »
(ت ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م) « مشيخة الشيوخونية » (١٨) فضل - فيما
يبدا - على وظائفه تلك الى حين وفاته فى الرابع(١٩) من جمادى
الثانية سنة تسع وسبعين وثمانمئة للهجرة (١٤٧٤ م) ، بعد تعال
- بالزحير(٢٠) وتوالى الاسهال - دام نحو الخمسة أشهر ، خالفا

(١٦) كان ذلك فى جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة للهجرة
(١٤٣٨م) ، بعد عزل « حسن العجمى » عنها •

راجع : ابن حجر • انباء الغمر ج ٩ ص ٤٧ ، السخاوى • الضوء
الملاح ج ٧ ص ٢٦٠ •

(١٧) كان ذلك عوضا عن « العلاء الرومى » • ولم يؤرخ لشغله لها كل
من السخاوى (نفسه) والسيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧) •

(١٨) كان ذلك سنة ثمان وخمسين وثمانمئة للهجرة (١٤٥٤م •)
حين أعرض « ابن الهمام » (ت ٨٦١هـ / ١٤٥٧م) عنها • راجع : ابن
تغرى بردى • حوادث الدهور ج ١ ق ٢٩٨ ، السخاوى • الضوء الملاح ج ٧
ص ٢٦٠ ، السيوطى • بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧ ، ابن اياس • بدائع الزهور
ج ٢ ص ٣١٨ ، طاشكبرى زادة • مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٧٢ •

(١٩) أرخ السخاوى (الضوء الملاح ج ٧ ص ٢٦١) لذلك بصيحة يوم
الجمعة ، بينما أرخه السيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ١١٨ ، حسن المحاضرة
ج ١ ص ٥٤٩ ، المنجم فى المعجم ق ٧٢ أ) بليلة الجمعة •

(٢٠) الزحير : ما يصيب المفعدة من أورام صلبة ، مصحوبة بتشققات
وقروح ، من جراء الاصابة بالبرد أو البواسير وما اليها • راجع : ابن
سينا • القانون فى الطب ج ٢ ص ٤٤٧ - ٤٤٩ •

وراء تراثا ضخما(٢١) ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى مترجميه
بالفطرة السليمة ، حيث صفاء القلب ، وصحة العقيدة ، وحسن
الاعتقاد ، والانهماك فى العبادة ، والصيانة ، والعفة ، والاكتثار من
الصدقة ، والبذل والكرم ، وحسن العشرة ، وممازحة الصحاب
ومداعبتهم وملاطفتهم ، فضلا عن احتمال أذى الأعداء والحلم عليهم،
ومزيد الرغبة فى القاء العلم وتقريره(٢٢) .

-
- (٢١) ذكر السخاوى (الضوء الملامع ج٧ ص ٢٦٠) أن تصانيفه زادت
على المائة ، وأغلبها صغير .
بينما أشار السيوطى (بغية الوعاة ج١ ص ١١٧ - ١١٨) الى أن
تصانيفه فى العلوم العقلية لا تحصى، وأنه سأل له جميعها ليكتبها
فى ترجمته ، فقال : « لا أقدر على ذلك » ، معللا بأن له مؤلفات كثيرة نسيها ،
فلا يعرف - الآن - أسماءها .
ولعله لم يترك فى مجال « الكتابة التاريخية » سوى مؤلفين ، هما :
« المختصر فى علم التاريخ » ، الذى سوف يعرض له فى الصفحات التالية ،
و « النصر الماهر والفتح الظاهر » ، الذى أشار اليه «روز نثال» فى مؤلفه
«علم التاريخ عند المسلمين» ص ٣٢٠ ، وهو ما لم أتمكن من العثور عليه ،
فضلا عن دراسته وتقويمه .
(٢٢) السخاوى . الضوء الملامع ج٧ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، السيوطى .
بغية الوعاة ج١ ص ١١٨ .

المختصر في علم التاريخ

مؤلف لطيف الحجم (١) ، فرغ مؤلفه من تدوينه « ضحى يوم

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط • دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : د ٥٢٨ - تاريخ ، ، وتقع فى « احدى وعشرين ورقة » ، مقاسها : ١٤ × ١٨ سم ، ومسطرتها نحو « الخمسة عشر سطرا » ، وقد نسخها « على بن داود الجوهري » (ت ٥٩٠٠ / ١٤٩٥ م) بعد ثمانية أيام - فقط - من انتهاء « الكافي » من تحرير مادة الكتاب .

مع مقابلتها بثلاث نسخ خطية أخرى ، وهى :
فى خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر (١) مخط • معهد سميپاى الدينى ، ذات الرقم : « ٥٥ - تاريخ » ، وتقع فى خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وقد نسخها « شرف الدين ، يحيى بن محمد بن على بن محمد بن أحمد الدميمسى ، الشافعى ، المعروف بسبط الغسراقى » (له ترجمة فى : السخاوى • الضوء الملامع ج ١٠ ص ١٥١ - ١٥٢ تر ١٠٢٧) - أحد تلامذة « الكافي » المخصين به - فى الخامس من رمضان ، سنة سبع وثمانين وثمانمائة للهجرة •

(ب) نسخة ندوة العلماء (لكتر) ، وتقع فى عشرين ورقة ، مقاسها : ١٣ × ١٨ سم ، ومسطرتها نحو سبعة عشر سطرا ، يضمها الى غيرها

مجموع يحمل رقم : « ٣٦١ » ، وقد نسخها « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد ، الديري الحنفي » (له ترجمة في السخاوى . الضوء الملامع ج ٨ ص ٣٦ تر ١٤) - أحد تلامذة « الكافيجي » وأخصائه - في الثالث عشر من ذى الحجة ، سنة ثمان وسبعين وثمانمائة للهجرة .

(ج) نسخة دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : « ١٨١٤ - تاريخ ، طلعت » ، وتقع في « احدى وأربعين ورقة » ، مقاسها : ١٦ × ١٢ سم ، ومسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وهي مجهولة النسخ ، وان أرخت في آخرها بسلخ جمادى الأولى ، سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة .

ومع اشتراك هذه النسخ الأربعة في الكثير من الاسقاطات والحذف ، فان النسخة الأولى تعتبر - الى حد ما - سليمة في معظمها ، فضلا عن أن ناسخها ممن شاركوا في « الكتابة التاريخية » تأليفًا ونسخًا - ولذا كان التعويل في الاحالة على صفحاتها في الحواشى دون سواها . وان كان « فرانز روزنثال » قد نشر هذا الكتاب ضمن مادة مؤلفه « علم التأميخ عند المسلمين (راجع : تر ٠ صالغ أحمد العلى . بغداد ، ١٩٦٣ م ، ص ٣٢٥ - ٣٧٠) ، اعتمادا على ثلاث مخطوطات ، هي : مخطوط دار الكتب المصرية ذات الرقم « ٥٢٨ - تاريخ » ، وأيا صوفيا رقمي : « ٣٤٠٢ » و « ٣٤٠٨ »

وهي نشرة كثيرة التحريف والحذف ، ويمثل الأول قوله : « ٠٠٠ » وفي أول حكم دور السنة (= السنبله) ظهر النوع الانساني « (نفسه ص ٣٥٥) ، بينما يمثل الثاني قوله : « ٠٠٠ » وأول السنة - أعني المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط ، ولما كان مشتهرا عند القوم اعتبروه ، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات ، فهو يوم الجمعة « (نفسه ص ٣٣٢) ، وقوله : « ٠٠٠ » فسميت السنة الأولى من سنن مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - (بالمدينة) سنة الاذن بالرجيل ٠٠٠ « (نفسه) ، وقوله : « ٠٠٠ » فان قلت . هذا الذى ذكرته من علم التاريخ لا يقيد واقعة واحدة بخصوصها بالبيديه ، فضلا عن افادة وقائع كثيرة ، (فيكون) كشجرة لا ثمرة لها « (نفسه ص ٣٣٥) ، وقوله : « ٠٠٠ » وأنت تعلم أن فى (مثل) هذا القول

الثلاثاء ، ثامن رجب سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م « (٢) ، مرتباً له على
على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد اشتملت على ستة عناصر ، وهى :

١. - الإشادة بفوائد : « علم التاريخ » ، إذ هو « من جملة
العلوم النافعة فى المبدأ والمعاد وما بينهما » ، كما أن « فوائده
وغرائبه لا تعد ولا تحصى ، وهو بحر الدرر والمرجان ، لا يحيط
بمنافعه نطاق التحديد والتبيان ، وفيه عجائب الملك والملوك ، وفيه
ايصال الى جناب الحق ذى العظمة والجبروت » .

٢ - دافعه الى تأليفه : « ٠٠٠ وقد دعانى الحذب على اهل

=

نوع رمز « (نفسه) ، وقوله : « ٠٠٠ وكذلك كل واحد بخصوصه من كل
واحدة من هذه الطبقات معلوم بوجه ، وأما علم كل واحد بعينه من كل
واحدة من هذه الطبقات فدون ذلك خُرب القصد ، وشييب
الغراب » (نفسه ص ٣٣٨) ، وقوله : « ٠٠٠ ثم دفن بمكة ، فى غار فى
جبل أبى قبيس ، (وجبل أبى قبيس) هو أول جبل وضع فى الأرض » (نفسه
ص ٣٥٤) ، وقوله : « ٠٠٠ وعاشت حواء بعده سنة (واحدة) » (نفسه) ،
مسقطاً ما بين القوسين . كما لم يفرق فى هذه النشرة بين الشعر والنثر
ولذا وردت فيها ثلاثة شواهد شعرية منقورة . وهى قوله « الرمل »
كل خط ليس فى القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنى عشر
وقوله : « الكامل »

والعلم فائدة بلا شبهة فا علم ، فعلم المرء ينفعه
وقوله : « اليسيط »

ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
راجع ص ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٢ من هذه النشرة .

(٢) الكافي . المختصر فى علم التاريخ ق ٢١ .

الأدب والأرب الى جمعه فى قوانين الضبط والبيان ، بقدر الوسع
والامكان » .

٢ - عنوان الكتاب : اتفقت النسخ الأربع على تسميته بـ
« المختصر فى علم التاريخ » ، وتطابقت هذه التسمية - كذلك -
وما جاء فى خواتيمها ، وفى ديباجتى نسختى « دار الكتب المصرية ،
ذات الرقم : ٥٢٨ - تاريخ » و « معهد دمياط الدينى ، ذات الرقم :
٥٥ - تاريخ » ، وان أبدل فى ديباجة نسخة « لكنو ، ذات الرقم :
٣٦١ » بقوله : « كتاب علوم التاريخ » ، وديباجة نسخة « دار الكتب
المصرية ، ذات الرقم : ١٨١٤ - تاريخ » بقوله : « كتاب المختصر
المفيد فى علم التاريخ » ، مما يجعل العنوان الأول أولى بالاثبات
والتعويل عليه .

٤ - تنظيم مادة الكتاب : « ورتبته على ثلاثة أبواب » .

٥ - الغرض من تأليفه : « اتحاف الاخوان » ، « راجيا من
الله - تعالى - الذكر الجميل فى الأولى ، والأجر الجزيل فى
الأخرى » .

٦ - الاحتياط لما هو يصدد الكتابة فيه : اذ ان جمعه مادته
« بقدر الوسع والامكان » ، كما ان جامعه « بمراحل من جوانب
التصدى لذلك الخطب العظيم الشأن » .

وأما الأبواب الثلاثة ، فقد جعل الأول منها « فى مبادئ علم
التاريخ » ، باحثا فيه نقاطا عشرا ، وهى :

١ - التعريف بلفظة « التاريخ » لغة : « تعريف الوقت »
واصطلاحا : « تعيين وقت لينسب اليه زمان مطلقا ، سواء كان قد
مضى ، أو كان حاضرا ، أو سيأتى » ، أو « تعريف الوقت بأسناده
الى أول حدوث أمر شائع ، كظهور ملة ، أو وقوع حادثة هائلة ،

من طوفان أو زلزلة عظيمة ، ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية » ، أو « مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات أخرى » ٠٠ وتلك تعريفات اصطلاحية ثلاثة للفظ « التاريخ » مقابلا بها معناها اللغوي ، وان لم يترجح أى منها لدى مؤرخنا ، ايماننا منه بأن « كل أحد له أن يصطلح على مايشاء ، كيف يشاء ، لغرض صحيح » ، فضلا عن أنه « لكل أحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه » ، فانه لا يدعنا دون التعريف بالتاريخ كعلم : « ٠٠٠ أما علم التاريخ ، فهو علم يبحث فيه الزمان وأحواله ، وعن أحوال مايتعلق به ، من حيث تعيين ذلك وتوقيته » ، وكان قد انتهى قبل الى أن الفرق بين التاريخين : اللغوي والاصطلاحى « بالعموم والخصوص فاللغوي أعم من التاريخ الاصطلاحى عموم الحيوان من الانسان » ٠

٢ - التعريف بالزمان : « الوقت ، أو مقدار الحركة » ، والميقات : « الوقت ، أو الموضع المعين لأمر من الأمور » ، والتوقيت : « تحديد الأوقات » ، والموقت : « مفعل من الوقت » ٠٠ منتهيا الى أن « الزمان » هو الذى يحتاج « أهل التاريخ » الى معرفته ٠

٣ - التعريف بأقسام الزمان - لغويا وفلكيا - من سنة (شمسية أو قمرية) ، وشهر ، ويوم ، وليل ، ونهار ، وساعة (مستوية أو زمانية) ٠

٤ - السبب فى اتخاذ المسلمين التاريخ (الاختلاف زمن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - فى صك محله شعبان ، فلم يدرى أى الشعبان هو) ، والاشارة الى أن لفظ « التاريخ » معربة عن « ماه روز » الفارسية ٠

٥ - العلة فى التاريخ من لدن الهجرة : « ٠٠ فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - من مكة الى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ،

بخلاف وقت وفاته - صلى الله عليه وسلم - وان كان معيناً ، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التاريخ ، فان جعله أصلاً غير مستحسن عقلاً ، لكن جعل وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملة الاسلام ، وتوالى الفتوح ، وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين أصلاً أولى ، لأنه مما يتبرك به ويعظم وقعه في النفوس » .

وان كان هذا التاريخ مراعاة للسنة - فقط - دون غيرها ، فالهجرة كانت « يوم الثلاثاء ، لثمان خلون من شهر ربيع الأول » واول السنة هو « المحرم » .

٦ - التاريخ لاتخاذ المسلمين « التاريخ » - بعد أن « كانوا يسمون كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها ، ويؤرخون بها ، بسنة « سبع عشرة » للهجرة .

٧ - حصر التواريخ المشهورة في زمن مؤرخنا في : « سنة تاريخ الهجرة ، والروم ، والفرس ، والملكي ، واليهود ، والترك » .

٨ - تحديد موضوع « علم التاريخ » : « ٠٠٠ وأما موضوعه ، فهو أمور حادثة غريبة ، لاتخلو من مصالِح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال ، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد ، وتقرير تعيين ، وتوقيت لغرض صحيح في ذلك ، كوقائع متعلقة بالأنبياء والرسل ٠٠ وكسائر حوادث الأمور السماوية والأرضية ، من حدوث ملة وظهور دولة وزلزلة وطوفان وموتان ، الى غير ذلك من الحوادث الصائلة العظام ، والامور الهائلة الجسم » .

٩ - التعليل لوجوب الاحتياج الى « علم التاريخ » ، اذ هو « واجب على سبيل الكفاية ، كوجوب سائر العلوم ، لضبط زمن المبدأ والمعاد وما بينهما » على وجه كلي معتبر فيه ، لدوران الأحكام مع المصالح وجوداً وعدمها .

ولا يقدر على الاحتياج إليه استغناء الأوائل عن تدوينه ، لانسحاب ذلك على غيره من العلوم ، فضلا عن كونهم « فى زمان صدق وصفاء ، عارفين ماسنخ لهم من الأمور والوقائع » ، « وقد كانت الحوادث قليلة فى ذلك الزمان ، وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت جدا فى هذا الزمان » .

٦٠ - الشروط الواجب توافرها فى المؤرخ : « ٠٠٠ وينبغى أن يشترط فى المؤرخ ما يشترط فى راوى الحديث من أربعة أمور : العقل ، والضبط ، والاسلام ، والعدالة . لكون كل واحد منهما معتمدا فى أمر الدين ، أمينا فيه ، ولتزداد الرغبة فى تأريخه ، وللاحتراز عن المجازفة والافتيات ، فيحصل له الأمن من الوقوع فى الضلالة والاضلال » . وان جوز للمؤرخ رواية « القول الضعيف » فى باب الترغيب والترهيب والاعتبار ، شريطة التنبيه على ضعفه ، واضطحابه بمستند له فيه ، من سماع أو إقرار أو اجازة أو مناولة أو كتابة أو وجادة .

بينما جعل الباب الثامى « فى اصول علم التاريخ ومسائله » ، وقد أشير من خلاله الى أن مقصود المؤرخ نوعان : « نوع مقصود أصلا وبالغرض » ، وهو ضبط الانسان فى طبقاته الثلاث : العليا (الأنبياء والرسل) والوسطى (الأولياء والمجاهدين والأبرار) والسفلى (من غداهما) على وجه معتبر ، و « نوع مقصود تبعا وبالغرض » ، فإذا أراد المؤرخ تأريخ واحد بعينه من كل واحدة من هذه الطبقات يحصل له - حينئذ - عنده اعتبارات ممكنة عقلا ، وبحالات محتملة ، سواء كانت واقعة فى نفس الأمر أو ليست بواقعة ، وسواء كانت ممكنة الاجتماع فى الواقع أولا . وتلك الاعتبارات يمكن حصرها استقرائيا على سبيل غلبة الظن فى خمسة أوجه ، وهى :

(أ) اعتبار وجه الحضور والعيان •

(ب) اعتبار وجه العلم واليقين •

(ج) اعتبار وجه غلبة الظن •

(د) اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح ، وفيه يكون التأريخ مع التنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ، وتكون العلة فى تأريخه منحصرة فى الرغبة فى الاطلاع على ما فيه ، ان « العلم فائدة بلا شبهة » ، و « السعى والاجتهاد انما هو بحسب الطاقة والامكان » ، و « مالا يدرك كله لا يترك كله » ، فقد يظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد وان لم يترجح فى حينه ، ان انتفاء التصديق به لا يستلزم انتفاء تصديق به فى الجملة ، فضلا عن انتفاء تصوره •

(هـ) اعتبار وجه غير هذه الوجوه الأربعة السالفة ، وهو مما لا ينصح « الكافيجى » بتأريخه - نفيا أو اثباتا - « للاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت » ، ولئن أرخ بين حاله بأنه مجهول عنده ، مع الاعتراف بالعجز عنه ، « ان ربما يحصل الاطلاع عليه فيما بعد وان لم يحصل الاطلاع عليه فى الحالة الراهنة » ، كما ذكر فى الذى قبله •

تلك هى « نظرية الكافيجى » فى « علم التاريخ » ، وهى مما شاء ان يدونه مختصرا ، وقد اقتضبت عناصرها فيما هو أشبه برؤوس الموضوعات ، مع تنبيه الى ذلك وتوكيد عليه : « ... ولولا خوف سامة الخواطر من الاطناب لذكرنا ههنا غرائب وعجائب تسر بها خواطر أولى الألباب ، لكن فيما ذكرنا كفاية لكل ذهن سليم وقاد ، وارشاد لكل طبع مستقيم نفاذ » •

ولا يدعنا « الكافيجى » بصدد نظرية مجردة ، دون أن يوجد لها التطبيق الذى تضطرد معه وتقاس به ، « فاذا فرغنا من تقرير

القواعد والأصول ، فلنشرح لايضاحها فيما يتعلق بها عن رجال الطبقات الثالث ، على سبيل الأنموذج والايجاز » ، جاعلا من باقى مادة الباب الثانى مادة لهذا « الايضاح » ، حيث تطرق الى ذكر الأنبياء ، من خلال التحدث عن ثلاثة منهم ، وهم : « آدم » و « نوح » و « محمد » - صلوات الله عليهم - وان تخللت مادة الحديث عن اولهم استطرادات عديدة ، اشتملت على : بيان الأمور السبعة المخصوصة بالأنبياء (القربان ، والسفينة ، والسلسلة ، والنار ، والصاع ، والحفرة ، والقلم) ، خلق الكون وتاريخه ، التفرقة بين الجنّ والجن ، قصة ابليس فى طوره ، ملك الموت وقبض الأرواح المؤمنة والكافرة ، التعليل للاختلاف بين البشر فى الألوان والأخلاق . . ثم تبع ذلك بالتاريخ المقتضب جدا (٣) لدولة الخلافة الراشدة ، والتعريف بأئمة المذاهب السنية الأربعة .

أما الباب الثالث ، فقد جعله « فى بيان شرف أهل العلم » وفى فضل العلم ، وفى بيان مايفيد التذكير والاعتبار » ، مدلا على صحة المقصد الأول بالقرآن - الكريم - والسنة والأثر والمعقول ، منتهيا الى « أن لذة العلم أعظم اللذات ، كما أن ألم الجهل أشد الآلام » ، مقرنا ذلك بقصتين قصيرتين تائيان فى باب « التذكير والاعتبار » ، مع سهولة مأخذهما ، والوقوف على مغزاهما ، وهما :

(١) قصة « العنقاء » - طير معروف الاسم مجهول الجسم - مع سليمان - عليه السلام - ومغزاهما أن الايمان بالقضاء والقدر أمر حتمى لا مفر منه .

(٣) اذ اكتفى فى التاريخ للخلفاء بذكر الأسماء مجردة - دون تتبع سلسلة نسبهم - والتنبية على صحة خلافتهم ، وتقدير أعمارهم حال الوفاة .

(ب) قصة « ذى القرنين » و « درفائيل » ، والبحث عما يسمى : « عين الحياة » - وهى عين « من شرب منها شربة لا يموت حتى يكون هو السائل للموت » - ومغزها دفع ما جبلت عليه النفس الانسانية من النهم والرغبة فى التملك وحياسة الدنيا ، وتوكيدا لقوله عليه السلام : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

ولذا يؤكد مؤرخنا تلو هذا فى عنصر مستقل على « أن كل أحد ينتقل من هذه العوالم الجسمانية الملكية الى جناب تلك العوالم الروحانية النورانية البرزخية الملكوتية ، ويحيى اثره ، ويبقى ذكره فى هذا العالم بالتأريخ والحديث ، ولاشء يدوم » ، فلا اقل من أن يكون « حديثا جميسل الذكر » ٠٠ متطرفا الى مزية « التأريخ » وضرورة الاحتياج اليه بما هو ادخل فى مجال المدح له ، خاتما هذا الباب بالاشادة بمصر ، وبيان ما اخصت به من الأمن والبركة ، وما أضفاه عليها موقعها بصدد ذلك .

واما الخاتمة ، فقد شغلت عدة سطور ، أريد بها التأريخ ل فراغ مؤلفه من تحريره ، على نحو ما نبه اليه قبل .

أسلوب الكتاب :

أسلوب الكتاب - فى غالبه - سليم الى حد كبير ، وهو ادخل فى المجال « العلمى المتأدب » منه فى مجال « الأدب » ، بحيث تداعت فيه معطيات العلم والأدب ، توكيدا لنظرية « الكافيغى » وتقريرا لعباراتها ، فبان « الكافيغى » من خلاله صاحب مهارات .

تفسيرية^(٤) ، حديثية^(٥) ، فقهية ، كلامية ، وعظية ، أدبية^(٦) ، لغوية^(٧) ، نحوية ، بلاغية ، فلكية ، الى جانب مهاراته التاريخية .

مصادر مادة الكتاب :

لم يشأ مؤرخنا أن يصرح بمصادر كتابه فى خطبته ، أو أن ينسب اليها من خلال مادته ، اللهم الا فى ثلاثة مواضع - فقط - نسب فى أولها الى « الشيرازى » (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) ، صاحب كتاب « نهاية الادراك فى دراية الأفلاك » ، وفى ثانيها الى « السيف الأمدى » (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) ، صاحب كتاب « أيكار الأفكار » ، وفى ثالثها الى « الجوهري » (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) ، صاحب كتاب « الصحاح فى اللغة » .

لكن استقراء مادة الكتاب يشير الى اعتماده - فضلا عن ذلك - على « عرائس المجالس » للثعلبى ، و « فضائل مصر »^(٨) لعمر بن

(٤) اذا استشهد فى مواضع متفرقة من الكتاب بثلاثة وأربعين آية قرآنية ، أو جزء من الآية ، مقرنا بعضها بآراء تفسيرية .
راجع : المصدر السابق ق ١٧ ، ١٠ ، ب ، ١٣ .

(٥) اذا استشهد بخمسة عشر حديثا نبويا - على اختلاف درجاتها - فى مواضع متفرقة من الكتاب .

نفسه ق ٦ ، ب ، ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ب ، ٢٠ .
(٦) اذا استشهد بتسعة شواهد شعرية فى مواضع متفرقة من الكتاب .
نفسه ق ٣ ، ٨ ، ب ، ١١ ، ١١٧ ، ١٨ .

(٧) اذا كان حريصا على اقتران المعنى الاصطلاحى بالمعنى اللغوى .
نفسه ق ٣ ، ب ، ١٢ .

(٨) نقل « الكافيجى » عنه فى الباب الثالث من الكتاب ، فيما تعلق بالاشادة بمصر وبيان ما حبيت به من ميزات (المختصر ق ٢٠ ب - ٢١ = ابن الكندى . فضائل مصر ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٤٥) .

محمد بن يوسف الكندي ، بالاضافة الى القرآن - الكريم - والحديث النبوى - الشريف - وما اتصل بهما من معارف .

تقسيم مادة الكتاب :

يعد هذا الكتاب - وان اقتضبت مادته اقتضابا جعلها فى كثير من جوانبه أشبه برؤوس الموضوعات - مهما فى بابيه ، لكونه الكتاب التراثى الوحيد - فيما أعلم - المؤلف فى « مصطلح علم التاريخ » مستوفيا لجانبه النظرى والتطبيقى ، اذ ما سبقه لا يعدو كونه فصولا مطولات فى صدر بعض الموسوعات التاريخية ، على النحو الوارد فى كتابى « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « الوافى بالوفيات » للصفدى ، وما أثبتته « ابن خلدون » فى مقدمته .

كما كان فاتحة للتأليف المستقل فى موضوعه - مع الفارق فى استيفاء عناصر الموضوع - بحيث ألف « السخاوى » كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ ، والف « السيوطى » كتابه « الشماريخ فى علم التاريخ » ، استمدادا منه ، واطرافا الى عناصر مادته .

ومهما قيل فى تضعيف أكثر أمثلة الجانب التطبيقى منه ، وتفاهة موضوعاتها(٩) ، وقرب ماخذها ، فان اثباتها على هذه الكيفية كان موجها بمنهج علمى مدرك لدى مؤرخنا ، أريد به التاريخ لرجال الطبقات الثلاث (العليا ، والوسطى ، والسفلى) بتلك الوجوه الخمسة المبحوثة فى الجانب النظرى من الكتاب : مع معالجة صيغ الكتابة المقترنة بها .

(٩) راجع : روزنتال . علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ .

الفصل الثاني

ابن الفرات وكتابه « تاريخ الرسل والملوك »

ابن الفرات

(٧٣٥ - ٨٠٧ هـ / ٤ - ١٣٣٥ - ١٤٠٥ م)

دراسة حياة

ولد « ناصر الدين ، محمد (١) بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد » (٢) ، المعروف بأبن الفرات ، المصري ، الحنفي سنة (٧٣٥ هـ / ٥ - ١٣٣٥ م) . في مصر ، لعائلة ذات مكانة محترمة في مجتمعا .

(١) ترجمته - هنا - مأخوذة عن : ابن حجر . انباء الغمر ج٢ ص ٣١٢ تر ٢٣ ، ذيل الدرر الكامنة ق ١٨٧ ، المجمع المؤسس (مخط . مكتبة بلدية الاسكندرية) ق ١٧٠ ، ابن فهد المكي . لحظ الألاحظ ص ٢٤٢ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ٢ ص ٦٣٦ تر ٣١٨٧ ، المنهل المصافى ج ٢ ق ١١٩ ، السخاوى . الضوء الملامع ج ٨ ص ٥١ تر ٥٨ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٦ تر ٢٢ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٢ .

(٢) استفيد هذا النسب مما ذكره مؤرخنا (التاريخ ج ٨ ص ٢١٨ ، ج ٩ ص ٣٦٣) فى سياق نسب بعض أقاربه .

فجده لأبيه «نور الدين ، أبو الحسن ، علي» (٣) (ت ٧٤٢ هـ /
١٣٤٢ م) . كان مسند رحلة ، يحدث عن « القطب القسطلاني» (٤)
بقطعة من جامع « الترمذى » .

كما كان شقيقه « شمس الدين ، محمد بن الحسن » (ت
٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م) - عم أبيه (٥) - عالما بصناعة التوقيع ، يكتب
ويوقع عن قضاة القضاة فى الديار المصرية .

وكان أبوه « عز الدين ، عبد الرحيم » (٦) (ت ٧٤١ هـ /
١٣٤١ م) . فقيها محدثا ، اشتغل بتدريس الفقه الحنفى فى
« الحسامية » (٧) ، والاعادة فى « المنصورية » (٨) ، وناب فى الحكم
عن بعض قضاة القضاة فى الديار المصرية ، وشهر بالاجادة والتمهر
فى الشروط والفتيا .

-
- (٢) له ترجمة فى ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٤١٣ - ٤١٤ تر ٣١٣ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠ تر ٩١ .
(٣) هو « قطب الدين ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن على بن محمد ابن
الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون ، التوريزى ، المصرى » (ت ٦٨٦ هـ .
١٢٨٧ م) .
راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٨ ص ٥٩ - ٦١ .
(٥) له ترجمة فى : ابن الفرات . نفسه ج ٨ ص ٢١٨ .
(٦) له ترجمة فى : ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٩١ تر ٢٨١ . القرشى
الجواهر المضية ج ٢ ص ٤١٤ تر ٨٠٣ ، القرينى . السلوك ج ٢ ص ٥٥٣ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٨ تر ٢٣٩٧ ، ابن تغرى بردى . النجوم
الزاهرة ج ٩ ص ٢٢٦ .
(٧) مر التعريف بها ، راجع : ج ١ ص ٣٣٥ ، حاشية ٣ من هذا
المبحث .
(٨) نسبة الى المتصور قلاوون ، راجع : المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٢٧٩
- ٢٨٠ .

وكان عمه « صدر الدين ، عبد الخالق » (٩) (ت ٧٩٤ هـ /
١٣٩٢ م) مدرسا للفقهِ المالكي في « المنكوتيرية » (١٠) ، ومعيدا في
« القبة المنصورية » (١١) ، واماما في ايوان المالكية بالمدرسة
الصالحية (١٢) ، وموقعا عن قاضي القضاة الشافعية في الديار
المصرية .

أما مؤرخنا « ناصر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا
أنه أسمع حدثا على « أبي الفرج بن عبد الهادي » (١٣) و « أبي
الفتوح الدلاصي » (١٤) و « أبي بكر بن الصناج » (١٥) و « أبي بكر بن

-
- (٩) له ترجمة في ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
(١٠) نسبة الى الأمير منكوتر الحسامي (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) ،
وكانت محلا لتدريس في فقهي المالكية والحنفية .
راجع : المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .
(١١) نسبة الى المنصور قلاوون - راجع : المقرئى . الخطط ج ٢ ص
٣٨٠ - ٣٨١ .
(١٢) نسبة الى الصالح نجم الدين أبوب ، وكانت محلا لتدريس الفقه
على المذاهب الأربعة .
راجع المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .
(١٣) هو « عبد الرحيم بن محمد بن عبد الهادي » - راجع : ابن
تغرى بردى . المنهاج الصافي ج ٣ ق ١١٩ .
(١٤) هو « نجم الدين ، أبو الحسن ، يوسف بن محمد بن محمد بن
أبي الفتوح القرشي ، المعروف بالدلاصي » ، مؤذن جامع عمرو بن العاص ،
وكان السماع عليه في شوال سنة (٧٤١هـ / ١٣٤١م) راجع - ابن الفرات .
التاريخ ج ٩ ص ٣٩ ، ٣٦٣ .
(١٥) هو « أبو بكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف بن علي بن
داود بن حميد » (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .
له ترجمة في : المصدر السابق ج ١ ص ٣٥١ تر ٢٣٦ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ١ ص ٤٦٩ تر ١٢٦٣ .

الرضى « (١٩) و « ابن قامتيت » (١٧) ، وأجيز من « المزى » (١٨) و « البندنجى » (١٩) و « الذهبى » (٢٠) ، كما سمع شيوخا على

(١٦) هو « أبو بكر بن محمد بن الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار ، المقدسى ، الصالحى ، القطان » (ت ٥٧٣٨هـ / ١٣٣٧م) .
له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٤ ، ذيل العبر ص ٢٠٠ ، معجم الشيوخ ج ٢ ص ٤١٦ تر ١٠٢١ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ تر ٨٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥٩ تر ١٢٣٤ .
(١٧) هو « أبو العباس ، أحمد بن محمد بن حسن اللواتى » . راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٣٦٣ .

(١٨) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن على ، المزى ، دمشقى » (ت ٥٧٤٢هـ / ١٣٤١م)

له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩٨ - ١٥٠٠ ، معجم الشيوخ ج ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ تر ٩٨٥ ، المعجم المختص ص ٢٩٩ - ٣٠٠ تر ٣٨٠ ، الحسينى . ذيل العبر ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ تر ١١٤٨ . ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٩٥ - ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن قاضى شعبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٩٩ - ١٠١ تر ٦٣١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٦٠ تر ١٢٦١ ، النعمى . المدارس ج ١ ص ٣٥ ، ابن الطولونى . القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٣ .

(١٩) هو « شمس الدين ، أبو الحسن ، على بن محمد بن ممدود بن جامع ، البغدادى ، الصوفى » (ت ٥٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٣ ، ذيل العبر ص ١٨٩ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٩٢ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٧٤ - ١٧٥ ، المقرئى . السلوك ج ٢ ص ٢٠٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩ - ٣٢١ تر ٢٧٢ .

(٢٠) مر التعريف به ، راجع : ج ١ ص ٣٠٤ ، حاشية ١ من هذا البحث .

« البرهان الأميوطى » (٢١) ، وتتلذذ على جماعة ، منهم : « الزين بن البسطامى » (٢٢) ، و « العز ابن جماعة » (٢٣) ، وحدث بصحيح مسلم ، والمتقى من مسند أبى العباس السراج ، والشفاء للقاضى عياض ، ودلائل النبوة للبيهقى . وتولى خطابة « المدرسة المعزية » (٢٤) ، و « عقود الأنكحة » ، وناب فى الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية ، فى حانوتى « الملك » و « حدرة البقرة » ،
ظاهر القاهرة (٢٥) .

ويبدو أن هذه الوظائف ظلت بيده الى حين وفاته ليلة عيد الفطر سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) . خالفا وراءه سيرة حسنة ، نعت فيها « بالخير ، والدين ، والسلامة » (٢٦) ، وتراثا ضخما ،

(٢١) هو « ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن يحيى بن أبى المجد ، اللخمي ، الأميوطى » (ت ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م) وكان السماع عليه لصحيح البخارى ، بقراءة « البرهان الحلوى » فى مجاورة مؤرخنا فى الحرم المكي سنة (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) . راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٠ ، ٤٧٦ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٣٥٦ تر ٣ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٦٠ - ٦١ تر ١٦١ ، والمجمع المؤسس ق ١٧ .

(٢٢) راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٧ ص ٢٥٧ ، ج ٨ ص ٢٠٦ .
وراجع : ابن الفرات . المصدر السابق ج ٧ ص ٧٠ .

(٢٣) نفسه ج ٩ ص ٣٦٣ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ٣ ص ٣١٣ ،
المجمع المؤسس ق ١٧٠ .

(٢٤) نسبة الى « المعز أيبك التركمانى » ، راجع : ابن دقماق .
الاتصاف ج ٤ ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢٥) راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٧ ، ٢٩١ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ .

(٢٦) راجع : ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٧٠ ، السخاوى . الضوء
اللامع ج ٨ ص ٥٩ .

جديرا بدراسته والانتفاع به ، وابتنا(٢٧) عالما ، اجيز بالتدريس والفتيا من نحو ثلاثين ومائتي شيخ ، وناب في الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية كآبيه ، وحدث ، فكان رحلة زمانه ، بحيث رام تلامذته أن يتفرغ لهم من أول النهار الى الزوال ، نظير « مال له وقع » يساعده به في نفقة عياله ، فامتنع قائلا : « لا آخذ على التحديث جملا » .

مجهوداته في الكتابة التاريخية

أشار « ابن حجر العسقلاني » الى أن مؤرخنا « كان لهجا بالتاريخ ، لا يزال مكبا على كتابته ، وقد جمع فيه كتابا كبيرا جدا ، بيض منه المئتين الثلاثة الأخيرة في نحو عشرين مجلدا ٠٠ وقد بيع مسودة لعدم اشتغال ولده بذلك ، وكان لا يحسن الاعراب ، فيقيم بخطه اللحن الفاحش ، الا أن كتابه كثير الفائدة ، من حيث الفن الذي هو بصده ، وآخر ماكتبه من تأريخه الى آخر سنة ثلاث وثمانمائة »(٢٨) .

كما لم تنسب المصادر الى مؤرخنا مؤلفا غير هذا التاريخ ، الذي لم تسمه ، وان تفاوت تقديرها لعدد مجلداته بين ستين(٢٩) ،

(٢٧) هو « عز الدين عبد الرحيم » (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) له ترجمة في : ابن تغرى بردى . حوادث الدهور ج ١ ق ٦١ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ ، المنهل الصافى ج ٢ ق ٢١٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٤ ، السخاوى . التبر المسبوك ص ١٩٢ - ١٩٤ ، السيوطى . نظم العقيان ص ١٢٧ - ١٢٨ تر ١١ .

(٢٨) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٧٠ .

(٢٩) ابن حجر . نفسه ق ١١٧٠ .

ومائة (٣٠) ، بيض منها بين عشرين (٣١) وخمس وعشرين
مجلة (٣٢) .

وهكذا ، فإن مؤرخنا قد اقتصرته مجهوداته التأليفية - فيما
يرجع - على مؤلف واحد ، هو التاريخ ، الذي سوف يعرض له
بالدراسة في الصفحات التالية .

-
- (٣٠) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٣ ق ١١٩ ب ، السخاوى .
الضوء اللامع ج ٨ ص ٥١ .
(٣١) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٧٠ ١ .
(٣٢) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٣ ق ١١٩ ب .

تاريخ الدول والملوك

عنوان الكتاب

حملت الأجزاء المتقدمة من الكتاب اسما ، هو : « الطريق الراضح السلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » ، بينما حملت الأجزاء المتأخرة منه اسما آخر ، هو « تاريخ الدول والملوك » ، وليس هذان عنوانين لكتابين مختلفين ، وإنما هما تسميتان لمؤلف واحد ، اتخذ له « ابن الفرات » - مؤرخنا - فى الابتداء بعنوانا مسجوعا ، لا يكشف عن محتواه ، ثم عمد فى الأجزاء المتأخرة منه الى تعديل العنوان ليطابق المحتوى ، فأتى التعديل ملازما للأجزاء المتأخرة والمببضة من الكتاب ، بينما أهمل تدوين هذا التعديل فى الأجزاء المتقدمة ، ولعله لم يقدّر لمؤرخنا أن يفرغ من تبييض مادة كتابه لعدل العنوان فى الأجزاء المتقدمة ، لتكون مطابقة ومأورد فى أجزاءه المتأخرة ، إذ كان تبييض الكتاب يتم بطريقة زمنية عكسية على النحو المفهوم من قول ابن حجر العسقلانى :

« ٠٠٠ كان لهجا بالتاريخ ، فكتب تاريخا كبيرا جدا ، ببض بعضه ، فأكمل منه المائة الثامنة ، ثم المائة السابعة ، ثم السادسة ،

ثم هكذا صنع فى ندو من عشرين مجلدا ، ثم شرع فى الخامسة ،
وشرع فى تبييض المائة الرابعة ، فأدركته الوفاة ، وكتب شيئا يسيرا
من أول القرن التاسع « (٣٣) » .

محتواه وتنظيمه :

تبعثرت مجلدات هذا التاريخ فى كثير من مكاتب العالم ،
وفقدت بعض أوراقه ، كما اختلف ترتيبها فى بعض الأجزاء ، بينما
لم يكشف بعد عن مظان وجود أكثر مجلداته ، ولذا فان جل معلوماتنا
عن هذا التاريخ قد انحصرت فى الأمام بمحتوى ثمان عشرة مسيدة
منه - فقط - حفظت فى مكاتب : باريس ، ولندن ، والفاتيكان ،
وفينا ، وتركيا ، وتونس ، بيانها كالتالى :

- مخط ٠ المتحف البريطانى ، وهو جزء من الكتاب ، يحمل
اسم : « الطريق الواضح المسلك الى معرفة تراجم الخلفاء
والملوك ، » ويشتمل على الفقرة من « شيت » الى « اسحاق » عليهما
السلام (٣٤) .

- مخط ٠ مكتبة « حسين شلبي » - فى تركيا - ويشتمل على
أربعة أجزاء من الكتاب ، حملت اسم : « الطريق الواضح المسلك
الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » - كذلك - هى بحسب تجزئ
المؤلف : السادس ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر .

أما السادس ، فقد استفتح بمبحث فقهى فى « حكم الساحر
المسلم » ، لعله تنمة لحديث سابق عن « موسى - عليه السلام -

(٣٣) ابن حجر ٠ انباء الغمر ج ٢ ص ٢١٣ .

(٣٤) د ٠ قسطنطين زريق ٠ مقدمة تحقيق ج ٩ من تاريخ ابن الفرات .

بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٣٦ ، ص « ك » .

أتبع بالحديث عن « يونس » و « شعيبا » و « زكريا » و « مريم » و « ويحيى » و « عيسى » - عليهم السلام - ومن عاصرهم من ملوك « بنى اسرائيل » ، وقد نوقشت من خلال ترجماتهم بعض القضايا الفقهية والتفسيرية ، كالتبطل وطلب الولد ، والاختلاف فى معنى أخوة « مريم » لهارون ، الواردة فى قوله تعالى ، « يا أخت هارون » (٢٨ : مريم) ، وجواز لعن شريف النسب ان كفر ، وموقف الفقهاء من التعريض الذى يقوم مقام التصريح .

وقد نص فى آخره على أن الجزء التالى (السابىع) سوف يخصص للحديث عن الرسل الثلاثة المذكورين فى سورة « يس » عند قوله تعالى :

« ان أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، فقالوا : انا اليكم مرسلون » (١٤ : يس) .

وأما التاسع : فقد ترجم فيه لشعراء الجاهلية بترجمات قصيرة ، متعجلة المادة ، أتبعته بالعديد من النماذج الشعرية المثلة لأدبهم ، وقد اقترنت بما يفسر غريب لغتها .

بينما خصص الهاشمى للتعريف بأيام العرب - فى الجاهلية - والتاريخ لحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، معرقا بأبويه ، وجده (عبد المطلب) ، مؤرخا لمولده ، مشيرا الى رضاعه ، متبعيا ذلك بالتاريخ للحوادث المعاصرة - فيما بين المولد والبعث - من خلال العديد من الحوليات المتتابعة ، مع التنبيه الى الحوليات الخالية مما يستحق التدوين ، كمنحو قوله :

« ٠٠٠ سنة احدى واثننتين وثلاث وأربع وعشرين من مولده - عليه السلام - لم يحر ما يكتب ، فأسقطت ذلك » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفي سنة سبع وثلاثين من مولده - عليه السلام - لم يقع ما يكتب ، فأسقطت ذلك » .

وفي الجزء الحادى عشر ، يتابع « ابن الفرات » التاريخ للسيرة النبوية ، ابتداء بالمبعث وانتهاء بغزوة « بنى النضير » - فى اثناء السنة الثالثة للهجرة - من خلال ست عشرة حولية مقتبعة ، أرخت بالمبعث فالهجرة يسبقها مبحث فى اختلاف العلماء فى تحديد أول من أسلم من الرجال ، وقد أشير فى آخره الى أن الجزء التالى (الثانى عشر) سوف يبدأ بغزوة « قرقر الكدر » .

- مخط ٠ المكتبة الأهلية - فى باريس - ويشتمل على مجلدين حملت احدهما عنوانا هو « الأول من تاريخ ابن الفرات » واستفتحت ببديباجة ، هى :

« ٠٠٠ يقول جامعه ، محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن ابن الفرات الحنفى ، عامله الله بلطفه الخفى :

باب فى ذكر الحوادث التى وقعت بعد وفاة سيدنا ونبينا محمد ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القرن الأول .

أعلم أن ابتداء القرن الأول حين هاجر سيدنا ونبينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة المشرفة ، وآخره سلخ السنة المكملة لعدد مائة سنة من حين الهجرة النبوية ، وقد قدمت ماوقع من الحوادث من ابتداء هذا القرن الى حين وفاة سيدنا ونبينا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسأذكر فى هذا الباب ماحدث بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - الى آخر هذا القرن ، كل سنة على حدتها ، خلا من توفى فى هذا القرن من أصحاب سيدنا ونبينا محمد ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضى عنهم ، من التابعين ، فانى أذكره فى باب على حدة ، بعد تمام ذكر ماحدث فى

هذا القرن ان شاء الله - تعالى - ليكون أسهل على من أراد النظر فى ذلك ، وأسأل الله أن يوفقنى لاتمامه ، ويعيننى على اختتامه ، انه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير .

متبعا هذه الديباجة بالتاريخ لخلافتى أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - من خلال عدد من الحوليات المتتابعة ، ابتداء بحولية احدى عشرة للهجرة ، وانتهاء بحولية تسع عشرة للهجرة ، حيث انخرم هذا الجزء فى أثناءها ، لتتضم اليه عدة أوراق من « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير .

أما المجلدة الثانية ، فقد حملت عنوانا ، هو : « الطريق الواضع السلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » وقد خصصت لأخبار الملوك الساسانيين ، ونبه فى آخرها الى ابتداء الجزء التالى بأخبار شعراء الجاهلية ، مما يشير الى أنها تمثل الجزء « الثامن » من الكتاب ، حسب تجزىء مؤلفه ، والى أنها تنتمى الى مجموعة « مكتبة حسين شلبى » السابق التعريف بها .

- مخط . دار الكتب الوطنية - فى تونس - ويقع فى مجلدة واحدة ، حملت اسم : « أسماء الصحابة » ، وتحتوى على عدد من الترجمات المنظمة على حروف المعجم ، ابتداء بابراهيم بن محمد - صلى الله عليه وسلم - وانتهاء بترجمة حزم بن أبى كعب ، ضمن الباب المعقود لذكر من توفى من الأعيان فى القرن الأول للهجرة .

- مخط . فينا ، ويشتمل على تسعة مجلدات ، رقت ترقىما حديثا ، بيانها كالتالى :

- المجلد الأول : ويحتوى على الحوليات من ٥٠١ : ٥٢١ هـ .
- المجلد الثانى : ويحتوى على الحوليات من ٥٢٢ : ٤٤٣ هـ .
- المجلد الثالث : ويحتوى على الحوليات من ٥٤٤ : ٥٦٢ هـ .

- المجلد الرابع : ويحتوى على الحوليات من ٥٦٣ : ٥٩٩ هـ .
- المجلد الخامس : ويحتوى على الحوليات من ٦٠٠ : ٦٢٤ هـ .
- المجلد السادس : ويحتوى على الحوليات من ٦٦٠ : ٦٧١ هـ .
- المجلد السابع : ويحتوى على الحوليات من ٦٧٢ : ٦٨٢ هـ .
- المجلد الثامن : ويحتوى على الحوليات من ٦٨٣ : ٦٩٦ هـ .
- المجلد التاسع : ويحتوى على الحوليات من ٧٨٩ : ٧٩٩ هـ .

وقد اختلف ترتيب أوراق بعض هذه المجلدات ، فضلا عن احداث العديد من الثلم ، مما أفقدها الكثير من المعلومات ، التى يمكن اجمالها على النحو التالى :

أولا : اختلال ترتيب الأوراق المحتوية على حوادث حولية ٥٢٩ هـ) من المجلد الثانى ، والمحتوية على حوادث حولية (٥٤٥ هـ) من المجلد الثالث ، والمحتوية على وفيات حولية (٥٩٩ هـ) من المجلد الرابع ، لتأتى بعد حولية (٦٠٠ هـ) فى أثناء المجلد الخامس .

ثانيا : انخرام المجلد الثانى فى عدة مواضع ، أفقده حوادث حوليتى (٥٣٢ هـ) و (٥٣٣ هـ) ، وحولية (٥٣٦ هـ) بأكملها ، وأول وفيات حولية (٥٣٧ هـ) ، وآخر حوادث حولية (٥٤٠ هـ) ووفياتها ، وأول حوادث حولية (٥٤١ هـ) ، ووفيات حولية (٥٤٣ هـ) .

وانخرام المجلد الثالث ، مما أفقده حولية (٥٦١ هـ) كلها .

وانخرام المجلد الرابع ، مما أفقده سبع عشرة حولية تُحصرت فيما بين سنتى ٥٦٨ و ٥٨٥ هـ ، وبالإضافة الى أول حوادث حولية (٥٨٦ هـ) ، وحوادث حوليتى (٥٨٩ هـ) و (٥٩٠ هـ) ، ووفيات

حولية (٥٩١ هـ) ، وأواخر حولية (٥٩٢ هـ) ووفياتها ، وحولية (٥٩٣ هـ) ، وأواخر حوادث حولية (٥٩٤ هـ) .

كما توجد فجوة بين المجلدين الخامس والسادس ، وأخرى بين المجلدين الثامن والتاسع .

– مخطوط الفاتيكانيان : ويحتوى على مجلد واحد ، يشتمل على الحوليات من ٦٣٩ : ٦٥٩ هـ (٣٥) .

وإن يطبع من الكتاب – فيما أعلم – سوى المجلدات : الرابع والخامس بتحقيق د . « حسن محمد الشماع » ، والسادس والثامن والتاسع بتحقيق د . « قسطنطين زريق » منفرداً ، أو بالاشتراك مع د . « نجلاء عز الدين » .

وتلك نشرات تحتاج الى إعادة نظر وتدقيق ، فقد وقع د . زريق وزميلته فى خطأ تمثل فى تحويل ما استدركه « ابن الفرات » فى الهمامش مضيباً على عبارة المتن ، الى حواشى النص المحقق ، مما قطع سياق النص ، وأخل بعبارته ، فضلاً عن اهمالهما رد النقل الواردة فى المتن الى مصادرها المعروفة ، أو تحقيقها بمصاحبتها ليامنا التصحيح أو التحريف . بينما أتت نشرة د . « الشماع » ، مثلاً أسوء التحقيق ، لما اعتراها من تصحيف وتحريف ، فضلاً عن التبيينى للكثير مما أنشلق عليه فهمه من عبارة النص ، والجهلى بمصادر مادة ما كان يصدد تحقيقه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

« . . . » ونى المحرم من هذه السنة (٥٦٣ هـ) تسلم الأمير محمد الدين ابن الداية نائب السلطة (= السلطنة) بطلب . . . »
وقوله :

(٣٥) د . قسطنطين زريق . مقدمة تحقيق مج ٩ من تاريخ ابن الفرات .
ص « ى » .

« ٠٠٠ سمع أبا سعيد بن حشيش (= خشيش) وثابت بن
بندار وابن النظر (= البطر) وغيرهم ، »
وقوله :

« ٠٠٠ ولما مات أخرج هو وولده ، فدفنا عند رباط الزورى
(= الزوزنى) المقابل لجامع المنصور ، »
وقوله :

« ٠٠٠ أخبرنى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير جمال
(= جمال الدين) بن عبد الله السهير (= الشهير) الأوحدى
(= بالأوحدى) ، وقال : زرت العرافة (= القرافة) ، عرافة
(= قرافة) مصر المحروسة ، »
وقوله :

« ٠٠٠ تفقه على أسعد الميهنى (= الميهنى) ، وبرع فى
المنظرة ، »
وقوله :

« ٠٠٠ يكتى أبا جعفر السماك (= السباك) ، »
وقوله :

« ٠٠٠ وولى القضاة (= القضاء) بعزبة (= بقرية) عبد الله
ابن واسط ، »
وقوله :

« ٠٠٠ سمعت من أبى الخطاب نصر بن أحمد بن النظر
(= البطر) وأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة الثعالبي
(= النعالى) ، »

وقوله :

« ٠٠٠ وصلی علیها الجامع (= بجامع) القصر » .

وقوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد (= لبيدة) الأزجى » .

وقوله :

« ٠٠٠ وسمع من أبى (= ابن) خيرون » .

وقوله :

« ٠٠٠ وكانت جماعة من نحاة بغداد يفضلونه على أبى

الفارسى (= أبى على الفارسى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ وحدثنى عبد الحيانى (= عبد الله الجبائى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ وبيخداد من أبى العزيز كادس (= أبى العز ابن

كادش) » .

وقوله :

« وكيف دين الفرض (= الرفض) مذهبه » .

وقوله :

« عبد الكريم بن هوزان القشنى (= ابن هوزان القشبرى) »

وقوله :

« ٠٠٠ وصنف كتابا فى المذاهب (= المذهب) مشهورا » .

وقوله :

« ٠٠٠ عبد الواحد بن الشيخ ٠٠ (= أصيل خراسان) أبي
الحسن علي ابن الامام علم الزهاد أبي عبد الله محمد بن حمويه بن
محمد بن حمويه ، الحموي النيسابوري الجويني ٠٠ (= الحموي
النيسابوري) » ٠ *

وقوله :

« محمد (= محمود) ابن أبي نصر محمد بن أحمد » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ سمع الحديث من شيخ الشيوخ أبي البركات اسماعيل
ابن أبي سعيد (= سعد) النيسابوري وغيره » ٠

وقوله :

« عبد الله بن اسماعيل بن أبي بكر ٠٠ (= الكنانى الأغماتى)
الفيدي » ٠ *

وقوله :

« ٠٠٠ والفيدي أبي طاهر بن عون زيد (= بن عوف ،
ويدمشقي) بن (= من) الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ، وبالقاهرة
من أبي عمرو عثمان بن سعيد بن فرع ٠٠٠) (= ابن فرح
العبدوي) » ٠ *

وقوله :

« الحسن بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي العبيدي
(= العبيدي) الواسطي » ٠ *

وقوله :

« ٠٠٠ وكتب بخطه ٠٠٠ (= وخرج التخاريج والأصول) » .

وقوله :

« ٠٠٠ وسمع من أبي (= ابن) الحصين ، وأبي عبد الله
البارع ، وأبي بكر المرزوقي (= المزرفي) » .

وتوله :

« ٠٠٠ انتهى ما قاله ابن السباعي (= الساعي) » .

وقوله :

« ٠٠٠ وكان أحد ٠٠ (= الطواشية) المشار إليهم » .

وقوله :

« ٠٠٠ الشيخ المستند (= المسند) » .

وقوله :

« عبد الله بن خلف بن رافع بن ريش (= ريس) بن عبد الله
المكي (= المسكي) الأصل » .

وقوله :

« ٠٠٠ وغنموا (= وكنموا) قطعة وأفرة منهم ، وسرحوا
جماعة ٠٠ (= تراءوا) لأهل جبلة » .

وقوله :

« إبراهيم بن ثابت (= ثابت) بن عيسى ٠٠٠ (= الربيعي
القناري) ، المصري » .

وقوله :

« ٠٠٠ لحظ (= يترى كخط) بين هدب جقونه » ٠٠

وقوله :

« ٠٠٠ وشيئا من الروض الأريض مرفرفا (= مزخرقا) » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ ينضو على أعلام جوشن (= جوشن) مرهفا » ٠

وقوله :

« وحللت بالوادى المقدس ٠٠٠ (= قابسا) » ٠

وقوله :

« ويدا (= وذا) غياث الدين مبتهجا بها » ٠

وقوله :

« والملك قد كادت (= قرت) قواعده بكم

٠٠٠ بشموسها (= مذ غرتم لشموسه) أن تكسفا

٠٠٠ أيقة أو ميدت (= ماغرذت أيقة أو صيدت)

٠ أيدى النسيم من الأوائك (= الأراكة) معطفا » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وكان ٠٠٠ (= ممولا) غير أنه كان عاميا تاجرا » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وتازل حصنا يعرف بقربوس (= بغرفوس) » ٠

وقوله :

« ٠٠٠ وحد المواضى بالـ ٠٠٠ (= وحد المواضى بالنجيع)
موردا » .

وقوله :

« ٠٠٠ ووكل الملك العادل فى التزويج شمس الدين ابن ٠٠
(= التنبى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ مايحمله خمسون بغلا ومائة ٠٠٠ (= بختى) » .

وقوله :

«أبو جعفر ، وهو شرف الدين ابن البلدى (= أبو جعفر ، أحمد
ابن إبراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى) » .

وهكذا ، فان « ابن الفرات » قد أرخ فى تاريخه لفترة طويلة ،
امتدت من مبدأ الخليقة حتى آخر سنة (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) ،
منوعا فى منهجه التنظيمى لمادته حسب الموضوعات المتناولة فيه ،
حيث أنشأ الكتاب على الترجمات ، مرتبا لها ترتيبا زمنيا ، ثم
عمد الى التأريخ حسب الموضوعات ، كما فى شعراء الجاهلية ،
وأيام العرب ، وملوك الساسانيين ، والسيرة ، ثم عمد الى التأريخ
الهجرى حسب القرون ، فاصلا فى الأجزاء المتقدمة بين الحوادث
والترجمات ، جامعا بينهما فى الأجزاء المتأخرة ، حيث أتت الحوادث
فى صدر الحوليات معزونة بقوله : « ذكر الحوادث فى سنة ٠٠٠ » ،
مردفاً اياها بترجمات وفياتها ، وقد فصل بينهما بقوله : « ذكر من
توفى فى هذا العام ، وبعض أخبارهم » .

أما الحوادث المعاصرة ، فقد أتت فى حولياتها متتابعة حسب

تأريخ وقرعها ، وقد نظمت على الأيام فى الشهور الواقعة فيها ، وان أتت بعض الحوادث مؤرخة بأوائل أو أواخر أو وسط الشهر الواقعة فيه ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ وفى أوائل شهر ربيع الآخر ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى أواخر شهر الله المحرم ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى العشر الأوسط من شهر رمضان ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى العشر الأخير من شهر رمضان ، الشهر

المذكور ٠٠٠ »

أو مؤرخة بالشهر ، أو السنة - فقط - وقد أثبتت تلو الحوادث المؤرخة تأريخاً تاماً ، فى نهاية حوادث الشهر أو الحولية ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ وفى ذى القعدة ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى هذه السنة ٠٠٠ ، وفيها ٠٠٠ ، وفيها ٠٠٠ »

وهى حوادث متنوعة ، أرخ فيها للنواحي السياسية (٣٦) .

(٣٦) كالعلاقة بين دولة المماليك والمغول والفرنج والروم وملوك أو أمراء اليمن ودهلك وماردين وبسطام ، وقد اشير من خلالها الى ما كان بينهم من حروب ، أو مكاتبات وسفارات (راجع . المصدر السابق ج ٩ ص ١١ - ١٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٢٢١ ، ٣٤٢ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩) ، وصراع العربان مع السلطنة (نفسه ج ٩ ص ٢٠ ، ٢٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٠ - ٤٤١) ، وما يحدث فى مصر والشام من انقلابات عسكرية ، تطيح ببعض السلاطين أو النواب (نفسه ج ٩ ص ٥٩ - ١٦٩) ، حيث أحداث الفتنة « اليلبغاوية المنطاشية » .

والادارية(٣٧) والاقتصادية(٣٨) والاجتماعية(٣٩) والدينية(٤٠) ، فضلا عن بعض الظواهر الكونية(٤١) ، ليس في مصر وحدها ، وإنما في الشام والحجاز والعراق واليمن وبلاد المغرب العربي كذلك ، مما حقق للكتاب شمولين : نوعي ومكاني ، وإن استأثرت حوادث « دولة المماليك » في مصر والشام بالحيز الكبير من حوليات الكتاب ، باعتبار أنها دولة الخلافة ، وباعتبار انتماء « ابن الأقرات » إليها بالمولد والنسأة والوفاة .

والملاحظ أن مكان الصدارة في تلك السجلات لم يفرد لنوع يعينه من الحوادث ، وإنما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر أنواعها ،

(٣٧) من ذلك الاشارة الى العديد من الاستقرارات الوظيفية ، وما يلحقها من تعديلات ، وما يتبع ذلك (في الوظائف العسكرية) من تغاير على الاقطاعات ، مما لم تخل حولية منه .

(٣٨) كتبت أحوال النيل - زيادة ونقصانا - وما يرتبط به من ارتفاع أو انخفاض في الأسعار (نفسه ج ٩ ص ٧، ٨، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٨٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٣٩، ٤٥٧) ، وما يكون من صك أو استحداث بعض العملات (نفسه ج ٩ ص ٦) ، وإبطال بعض الكوس (نفسه ج ٩ ص ٦٠، ٨٥، ٨٦، والمصادر (نفسه ج ٩ ص ١٦ ، ٤٣١) .

(٣٩) كالتكافل الاجتماعي أثناء النكبات المصاحبة لانخفاض النيل أو تفشى الطواعين والكثير من الأمراض الحارة (نفسه ج ٩ ص ٢٧ - ٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) ، والتأريخ لبعض الزيجات (نفسه ج ٩ ص ٣٤ ، ١٤٥) ، والضرب على أيدي المفسدين (نفسه ج ٩ ص ٩) .

(٤٠) كالتأريخ للحج (نفسه ج ٩ ص ٣٥١ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠) ، والمولد النبوي (نفسه ج ٩ ص ٣٦٥) ، وما يكون فيهما كل عام من الاحتفال ، والمجالس المعقدة بالعلماء للتعجيل بأخذ الزكاة (نفسه ج ٩ ص ١٢ - ١٣) ، أو بحث أمور الأوقاف (نفسه ج ٩ ص ١٠ - ١١ ، ٢٠) .

(٤١) كالتأريخ لسقوط بعض الأمطار ، وما يصاحبها من رعد وبرق ، أو تزلزل في المطرقات ، وظهور بعض النجوم والكواكب ، أو ما يحدث للقمر من خسوف (نفسه ج ٩ ص ٩ ، ١٠، ٢٥٤، ٤٤١، ٤٦٣) .

اللهم الا ان تكون للحوادث المفردة بالصدارة ، أو الطاغية بمادتها
على سائر العناصر غلبة على العصر ، لما لها من تأثير على الرأي
العام - آنذاك - كما هو الشأن فى احداث الفتنة « اليلبغارية -
المنطاشية » ، المتوسطة لفترتى حكم « الظاهر برقوق » ، والمثبتة فى
حوليتى احدى واثنتين وتسعين وسبعمائة للهجرة •

واما الترجمات ، فلم تقتصر على الوفيات ، وانما ترجم فيها
الى جانب ذلك للعديد ممن لم تقدر وفياتهم فى الحوليات المنتظمة
لترجماتهم ، على النحو المدرك من قول مؤرخنا :

« ٠٠٠ ومن لم أقف له على تاريخ وفاة ، ووقفت على تاريخ
مولد ، من اول هذا القرن الى سبعين سنة منه ذكرته فيه ، ومن
لم أقف له على تاريخ مولد أو وفاة وله ذكر فيه أو مع أحد من أهل
هذا القرن ذكرته فيه » •

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن يحيى بن مقلد القوصى ضمن
وفيات حولية أربع وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على الفخر ،
أبى عبد الله محمد بن ابراهيم :

« ٠٠٠ ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، وانما ذكرته
هنا ، فانه مذكور فى هذه السنة ، فلذلك ذكرته فيها ، والله أعلم
بحاله » •

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن نابت القنارى فى حولية اثنتين
وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على بعض الشيوخ :

« ٠٠٠ ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، ووجدت له ذكرا
فى هذه السنة - سنة اثنتين وستمائة - فلهذا ذكرته هنا ، والله
أعلم بحاله » •

وتلك الترجمات مرتبة فى حولياتها على حروف الهجاء فى الاسم العلم ، مع الفصل بين ترجمات الرجال وترجمات النساء ، حيث أتت الثانية تلو الأولى فى الترتيب ، وقد ترجم فيها للأعلام المشاهير فى الجنس ، أو فى الأصل ، أو فى الديانة ، أو فى المذهب ، أو فى المنصب أو الحرفة أو الوظيفة ، بما يجمع بين كل فئات الناس فى مجتمعه - غالباً - « من الملوك ، والأمراء ، والفرسان الشجعان ، والشعراء ، ورواة الحديث النبوى ، والقضاة ، والعلماء ، والفقهاء ، والنحاة ، ، والأدباء » ، وغيرهم .

وهى ترجمات يمكن تصنيف عناصرها - بعد دراستها مجتمعة - على النحو التالى :

(أ) الاسم :

ويتصدر الترجمة - دائماً - وقد تسلسل - فى مواضع يسيرة - ليحتوى على اسم المترجم له ، فوالده دُفأجداده ، كنعو قوله :

« عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن فرج » .

أو يرد ثلاثياً ، وقد احتوى على اسم المترجم له ، فوالده ، فجدّه ، كنعو قوله :

« يحيى ابن الشريف صدر الدين مرتضى ابن الشريف جلال الدين يحيى الحسينى » .

أو يرد ثنائياً ، ليحتوى على اسم المترجم له فأبيه ، وكثيراً ما يكون ، وعنه قوله :

« أحمد بن مطيع المصرى » ، و « اسماعيل ابن الشيخ يوسف الامبايى » .

أو يأتي أحاديا ، وقد اشتمل على اسم المترجم له دون سواء ،
ومنه قوله :

« أحمد القبانى » ، و « محمد الصفدى » .

وقد تأتى بعض الترجمات خلوا من هذا العنصر ، كنعو
قوله :

« والده الملك الصالح حاجى ، ابن الملك الأشرف شعبان ابن
الملك الأعجم جمال الدين حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك
المتصور قلاوون ، الألفى ، الصالحى ، النجمى ، زوجة الأمير صلاح
الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير الكبير سيف
الدين تنكز الحسامى » .

(ب) اللقب :

ويرد مع ما يضاف إليه ، كنعو قوله : « ٠٠٠ يلقب صارم
الدين » و ، « ٠٠٠ ويلقب شهاب الدين » ، و « ٠٠٠ ويلقب سيف
الدين » ، وليس : الصارم ، والشهاب ، والسيف .

(ج) الكنية :

وترد ، وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب ، كنعو قوله :
« ٠٠٠ يكنى أبنا العباس » ، و « ٠٠٠ يكنى أبنا على » ،
و « يكنى أبنا اليمى » .

(د) اسم الشهرة :

وإنك يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ، وقد تكون شهرته
بـ « ٠٠٠ » أو « يشهر بـ ٠٠٠ » أو « الشهير بـ ٠٠٠ » ، كنعو
بغير لقبه أو كنيته ، ولذا ورد اسم الشهرة مسبوqa بقوله : « يعرف
قوله :

• « ٠٠٠ ويعرف بزادة »

• « ٠٠٠ يشهر بابن ريشة »

• « ٠٠٠ الشهير بالمكينى »

وه حريص فى مواضع متعددة على تفسيره ، كنعو قوله :

• « ٠٠٠ يعرف باللازوردى ، لأنه كان يصنع اللازورد »

(ه) النسبىة :

وتكون بنسبة المترجم له الى الجنس ، كنعو قوله : « ٠٠٠
التركى الأصل » ، أو الى المذهب ، كنعو قوله : « المالكى » أو
« الشافعى المذهب » ، أو « الحنبلى » .

وقد تتوالى النسب الى المواضع ، ليكون المقصود بالانتساب الى
الأول تحديد الأصل الذى انحدر منه المترجم له ، وبالثانى الى
الموضع الذى ولد فيه أو نشأ به ، أو توفى فيه ، كنعو قوله :

• « ٠٠٠ السكندرى الأصل ، المصرى الندار والوفاة » ، و « ٠٠٠ »

الزرعى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة » .

(و) الألقاب العلمية والصفات الأصيلة :

كنعو قوله :

• « ٠٠٠ رئيس المغنين فى وقته »

• « ٠٠٠ رئيس المشببين فى زمانه »

• « ٠٠٠ الفقيه المالكى ، قاضى القضاة المالكى بالديار

المصرية » .

- « ٠٠٠ الأديب الفاضل ، شاعر العصر ، الناظم الناثر ، »
- « ٠٠٠ الكاتب الأديب ، الشاعر المشهور »
- « ٠٠٠ الفاضل العلامة ، أوجد الزمان ، فريد العصر والأوان ، كاتب السر الشريف بالشام المحروس »
- « ٠٠٠ المحدث ، المسند الصالح ، الزاهد ، الناسك الخاشع »

(ز) المولد :

- ويرد مؤرخا بالشهر فالسنة ، أو بالسنة فقط ، أو على وجه التقريب ، كتحقيقه :
- « ٠٠٠ (ولد) فى شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة »
- « ٠٠٠ مولده كان بدرب الأتراك بقرب الجامع الأزهر داخل القاهرة ، فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة »
- « ٠٠٠ ولد - تقريبا - سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه »
- « ٠٠٠ ولد - فيما كتب بخطه - فى سنة سبع هجرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه »

(ح) تقدير عمر المترجم له :

- وغالبا ما يجتهد فى تقدير عمر المترجم له حال الوفاة ، وإن ورد هذا التقدير لديه تقديريا فى أحوال كثيرة ، وعنه قوله :
- « ٠٠٠ وله خمس وسبعون سنة »
- « ٠٠ وتقدير عمره خمس وعشرون سنة »

- « ٠٠٠ قارب المائة سنة أو جاوزها »
- « ٠٠٠ وقد ناهز الخمسين سنة »
- « ٠٠٠ كانت وفاته عن نيف وستين سنة »

(ط) الوفاة :

- وهى مؤرخة لديه فى مواضع كثيرة على سبيل الاكتمال ،
 باليوم من الأسبوع ، ومن الشهر ، فالشهر ، فالسنة ، كنعو قوله :
- « ٠٠٠ توفى بالقاهرة ، قبل طلوع الشمس من يوم الجمعة ،
 سابع عشر شعبان المكرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، هذه
 السنة »
 - أو مؤرخة بأوائل ، أو منتصف ، أو آخر ، أو سلخ الشهر ،
 كنعو قوله :
 - « ٠٠٠ توفى فى أوائل شهر صفر سنة احدى وتسعين
 وسبعمائة »
 - « ٠٠٠ توفى فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وتسعين
 وسبعمائة »
 - « ٠٠٠ توفى فى العشر الأخير من شهر رجب الفرد سنة ست
 وتسعين وسبعمائة »
 - « ٠٠٠ توفى فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين
 وسبعمائة »
- وقد تاتى الوفاة مؤرخة بالشهر أو السنة فقط ، كنعو قوله :
- « ٠٠٠ توفى فى المحرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة »
 - « ٠٠ توفى فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة »

وهو معنى - فى مواضع كثيرة - بذكر موضع الوفاة ، كندو
قوله :

« ٠٠٠ توفى بداره بحارة الكافورى بالخرنفس ، داخل القاهرة
المحروسة » .

« ٠٠٠ توفى بمنزل سكنه بالدار المعروفة ببهادر المنجى ،
بقرب المشهد الحسينى ، داخل القاهرة » .

« ٠٠ قتل بجب السقا وضان شيخو ، مابين معرة النعمان
وكفر طاب » .

وكثيرا مايعنى بتحديد كيفية الوفاة ، من موت طبيعى ، أو
قتل ، والعلة المتسببة عنها الوفاة ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ توفى قتيلا موسطا بحلب » .

« ٠٠٠ توفى خنقا بأذن السلطان » .

« ٠٠٠ توفى قتيلا ، مسمرا ، موسطا فى الحائر ، بظاهر
القاهرة المحروسة » .

« ٠٠٠ توفى بالطاعون » .

« ٠٠٠ ضرب ضربا عظيما مرة بعد أخرى الى أن توفى
بخزانة شمائل » .

« ٠٠٠ توفى تحت العقوبة والضرب » .

« ٠٠٠ توفى من جراحاته » .

وكذا حال المترجم له عند موته من العمل والاشتغال ، أو
التبطل والعزل ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ تعطل فى آخر عمره » .

« ١٠٠٠ أقام في بيته بللقاهرة المحووسة بطلاً » .

« ١٠٠٠ انقطع في آخر عمره بدمشق ، وترك الانقطاع والوظائف
ويبقى يتردد الى الجامع الأموي أوقات الصلوات ، ويحضر الخانقاه
السميساطية ، ويواظب تلاوته القرآن العزيز » .

« ١٠٠٠ توفي وهو متولى قضاء قضاة الحنفية بالديار
المصرية » .

أو من حيث الامانة والتعذيب ، كنحو قوله :

« ١٠٠٠ وأقام في المصادرة والعقوبة قريب السننة ، وتوفى
ببخزانة شمائل » .

أو من حيث التمريض والضعف ، أو الموت القجاء ، كنحو
قوله :

« ١٠٠٠ حصل له في آخر عمره رعدة عظيمة ، انقطع بهها مدة » .

« ١٠٠٠ حصل له مرض شديد الى انه اختل عقله ولحقه
سرساب » .

« ١٠٠٠ حصل له استسقاء ومرض البيرقان وطال به » .

« ١٠٠٠ خرج متصيذاً ، فحصل له ضعف ، فأعيد الى منزله
محمولاً في محفة ، وأشاع بعض الناس أنه سقى ، وأشاع بعضهم
أنه حصل له رجفة من السلطان . . . توفي من ضعفه هذا » .

« ١٠٠٠ مرض يوماً واحداً وتوفى » .

« ١٠٠٠ كانت وفاته فجأة » .

« ١٠٠٠ توفي فجأة بعد أن صلى عشاء الأخوة » .

أو ما يكون عرض له في حياته من آفة ، كنحو قوله :

« ١٠٠٠ كف في آخر عمره » .

مع الاعتناء بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن ، مفصحا عن موضع الدفن ، ووقع الوفاة على أنفس الناس فى وقته ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ توفى يوم الجمعة ، خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، هذه السنة ، وصلى عليه بالجامع الحاكمى ، ودفن بزاويته التى بدرب الزراق بالحكر ، بالقرب من سويقة الريش ، بظاهر القاهرة المحروسة » .

« ٠٠٠ خرجت جنازته فكانت حفلة ، مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق فمن دونه من أعيان الأمراء بالديار المصرية الى تربة ابن عم السلطان بالقرب من قبة النصر ، ودفن بها ، وأمر السلطان أن تبنى له تربة بالشارع خارج بابى زويلة أحد أبواب القاهرة المحروسة ، فانشئت له هناك تربة نقل إليها » .

« ٠٠٠ أخرجت جنازته ، وحضرها جماعة من جيران منزله ، من سوقة وغيرهم ، ولم يحضرها أحد من الأعيان ، فسبحان من بيده ملكوت كل شىء ويعز ويذل ، ويحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير » .

« ٠٠٠٠ وكانت جنازته حفلة بالفقراء وغيرهم ، وفى هذا اليوم عمل الملك الظاهر برقوق مولده ، وتأسف من حضره على سليمان المذكور وما فاتته ، لأنه كان رسمه فى مثل هذا المولد ألف درهم » .

وما يتبع الوفاة من التصرف فى تركته أو وظيفته ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ وأهينت زوجته بعد وفاته ، من جهة المواريت وغرامة و « نالها » اخراق كثير » .

« ٠٠٠ وتولى عوضا عنه باستيفاء أوقاف السيدة نفيسة القاضى علم الدين ابن وجيه الطلبة » .

(ج) النشأة والتكوين :

وتختلف المادة المشكلة لهذا العنصر تبعا للاختلاف فى نوعية المترجم لهم ، ومن ذلك قوله مترجما بزلار الناصرى :

« ٠٠٠ أصله مملوك الملك الناصر حسن ، ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى . كان الناصر حسن رباه صغيرا مع أولاده ، ثم تنقل فى الأقطاعات والامريات الى أن صار نائب السلطنة بدمشق المحروسة » .

وقوله مترجما سودون المظفرى :

« ٠٠٠ نشأ بحلب عند مخدومه الأمير قطربغا المظفرى - أحد مقدمى الألوף بها - وتنتقلت به الأحوال الى أن تولى نيابة السلطنة بحماه ، ثم ولى نيابة حلب » .

(ك) منزلة المترجم له ومكانته :

ويأتى هذا العنصر فى عبارات ناعنة للمترجم له ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ صار فى مذهبه مفتى الفرقة ، وأوجد العلماء ، علامة العصر ، نادرة الوقت ، نسيج وحده ، ووحيد عصره فى فنون عديدة ، منها : الحديث والنحو واللغة والأصول والميقات ، وغير ذلك من العلوم » .

« ٠٠٠ كان أميرا محترما ، مكرما ، ذا وجاهة بين أرباب الدولة » .

« ٠٠٠ لم يزل أميرا كبيرا ، محترما عند الناس وعند السلطان الى أن مات » .

« ٠٠٠ كان رئيس القراء التلايين ، وشيخ الوعاظ المتكلمين ، وكان قد انتهت اليه رئاسة أهل جوق المقرئين ، وكان لو اجتمع جميع الجوق لم يقرأ أحد قبله ، ولم يتقدم عليه أحد ، وكان معظماً عند أرباب الدولة من الأمراء وغيرهم . . . ولم يزل مستمرا على رئاسته الى أن توفى » .

« ٠٠٠ كان من العلماء الأكابر ، وانتهت اليه رئاسة السادة الشافعية ببغداد ، ولم يكن - يومئذ - ببغداد من يماثله ولا يضاهيه فى علومه ورئاسته وعلو مرتبته » .

« ٠٠٠ وبموته انقطعت الولاية بكتابة السر من بيتهم ، بعد أن أقامت فيهم تسعة وستين سنة » .

« ٠٠٠ كان وجيهاً عند السلطان الظاهر برقوق ، وعند أكابر أمراء الأعيان » .

« ٠٠٠ له وجاهة عند الناس » .

(ل) وظائفه :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ تولى تدريس الحنفية بالمدرسة الأشرفية التى بالقرب من المشهد الثقيسى ، وتولى مشيخة خانقاة الركنى بيبرس داخل القاهرة المحروسة ، وتولى بعد وفاة أكمل الدين مشيخة خانقاة الشيخونية ، ودرس الحنفية بجامع الأمير سيف الدين شيخون العمرى » .

« ٠٠٠ تولى نظر ديوان الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، وقضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية ، ولم تجمع هاتان الوظيفتان مع غيره فيمن تقدم فيما نعلمه » .

(م - مهــــــــاراته :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ كان عاملا ، عارفا فيما يتعلق بالجنديّة والفروسية ولعب الرمح ورمى النشاب والضرب بالسيف ولعب الكرة والصيد بالجوارح من الطير ، وغير ذلك من مهمات الامرية » .

« ٠٠٠ كان عارفا بصناعة الكتابة ، ويكتب خطا حسنا » .

« ٠٠ ويكتب مليحا » .

« ٠٠٠ ويعرف علم الحساب والكتابة الجيدة » .

(ن - اعمــــــــاله :

ويقتصر في هذا العنصر على اهم الأعمال ، وهى مختلفة ، تبعا للتباين فى الوظائف ، ونوعية المترجمين ، ومن امثلة ذلك قوله :

« ٠٠٠ أحسن الى الناس فى مباشرته (وكالة الوريثة) ، ورفع عنهم كلف الثبوت ٠٠ ووجد الناس بذلك رفقا عظيما ، وشكروه فى مباشرته » .

« ٠٠٠ كان له نظم ونثر » .

« ٠٠٠ حصل مال جزيل ، لأنه كان أعزب ، فاشترى ريعا وأوقفه ، وشترط ريعه لمدرس شافعى وعشوة طلاب يعضرون فى وقت المدرس بجامع الأزهر ، داخل القاهرة » .

« ٠٠٠ كان مجتهدا فى فعل الخير ، وعمارة المساجد والسبل ، وجهات المعروف ، وله آثار حسنة بالديار المصرية والبلاد الشامية » .

(س) - السجایا والصفات :

وفى هذا العنصر يعنى مؤرخنا بذكر ما يتصل بالمرجم له من هيئة ، أو أخلاق ونموت ، ومقدرة عقلية ، ودين ، كأن يكون حسن الوجه ، لطيف الذات ، جميل الهيئة ، محبوب الصورة ، طوالا من الناس ، أو أن يكون مقداما ، شجاعا ، ذا همة عالية ، ومروءة ، وكرم ، أو متقشفا ، أو أن يكون نكيا ، وافر العقل ، فطنا ، متيقظا سيوسا ، جيد التركيب ، ملسانا ، أو ذا سكون وتواضع وانقطاع عن الناس ، أو خفيف الحركات ، أو دمث الأخلاق ، محتشما ، خيرا ، دينا ، يحب العلم وأهله ، طاهر اللسان والفرج ، أو ذا أخلاق شرسة ، « مولعا بسلب أعراض الناس ، مستهزئا بأقوال الأكابر من العلماء والصلحاء ، مواظبا على النفاق والاساءة واخلاف الوعد ، ومعاداة الأحياء بسوء ظنه وتخيله الفاسد » ، « كثير الضباط واللباط . والفن ، وسوء الرأى والتدبير فى كل وقت » أو حادا عند الغيظ ييسا فى المعاملات .

(ع) - علاقته بمؤرخنا :

كما لم يغفل « ابن الفرات » اثبات علاقته بالمرجم لهم ديه ، كتحوى قوله :

« ٠٠٠ كان لى به أنس عظيم » .

وقوله :

« ٠٠٠ كان رفيقا بحانوت الحنفية بحدرة البقر » .

التسقى التعبيرى

« ابن الفرات » عامى العبارة ، كثير الأخطاء النحوية واللغوية ، لايعنى بتنميق اللفظ ، أو حيك العبارة ، وهو مع ذلك قريب المأخذ ، وواضح اللفظ ، مفهوم القول .

ومن تلك الأخطاء الشائعة فى مؤلفه قوله :

« ٠٠٠ وليولئى (= يول) أحدا من النواب » (٤٢) .

« ٠٠٠ وهم خمس (= خمسة) نواب » (٤٣) .

« ٠٠٠ وصل الخواتين الذين حضروا (= اللاتى حضرن)
ة القان أحمد » (٤٤) .

« ٠٠٠ رأت امرأة النبى - صلى الله عليه وسلم - وكانت
أ يوجعا وجعا شديدا ، حتى أن الكمالين حاروا فيها ، فلما
النبى - صلى الله عليه وسلم - شكت اليه ما بها ، فقال لها :
، الى المكان الفلانئى ، وأشار الى مكان بسفح الجبل المقطم ،
ن من الحصا الذى هناك واعملهم كحل وتكحلى تبرأئى ،
بت الى المكان الذى أشار اليه النبى - صلى الله عليه وسلم -
ت من ذلك الحصا وعملته كحل ، واكتطت به ، فبرأت ، وحصل
شفاء ، فعرف الناس ، فاهرعوا الى ذلك المكان ، وأخذوا من
لحصا واكتحلوا به فنفعهم » (٤٥) .

كما أنه كثير التضمين للأمثال الشائعة ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ ورحل الفرنج عائدين الى بلادهم بخفى حنين » (٤٦) .
وقوله :

« ٠٠٠ ما أحسن قول القائل : معادة العاقل ولا مصاحبة
بل » (٤٧) .

(٤٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٢١ .

(٤٣) نفسه ج ٩ ص ٢٩٨ .

(٤٤) نفسه ج ٩ ص ٣٦٨ .

(٤٥) نفسه ج ٩ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٤٦) نفسه ج ١/٤ ص ٢٨ .

(٤٧) نفسه ج ٩ ص ١٤٧ .

وقوله :

« ... فكان جركس الخليلي كما قيل : باحث عن ظلفه
بظفره » (٤٨) .

وقوله :

« ... لكن المقدورات لا ينفع معها الحذر » (٤٩) .

وقوله :

« ... فكان كما قيل : من لم يمت بالسيف مات بغيره » (٥٠) .

(٤٨) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١ .

(٤٩) نفسه ج ٥ ص ١١٧ .

(٥٠) نفسه ج ٩ ص ٦٦ .

مصادر مادة الكتاب

اولا : انواع المصادر :

اعتمد « ابن الفرات » فى بناء مادة كتابه على اربعة انواع من المصادر ، وهى :

(١) المشاهدة والمشاركة :

ويمثلها قوله مترجما « منهاج الدين العجمي » :

« ٠٠٠ ومن حين رأيناه يحضر جامع (ابن) طوليون لم نسمعه يدرس فيه شيئا من الفقه ، وانما كان بعض الجماعة يقرأ عليه ، فى كراس بعض شىء من أصول الفقه ، ويستحسن هو ما يقرأه القارئ ، ويتكلم فى بعض الأحيان بكلام لا يفهمه » .

وقوله مشيرا الى « الشرف الدمامنى » ناظر الجيش :

« ٠٠٠ وفى يوم الثلاثاء ، ثامنه (ربيع الآخر سنة ٧٩٩ هـ) شاهدت القلاصبى شرف الدين الدمامنى ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية راكب فى سوكبه وهو لايس فوقافية خضراء ، صوف بالديار ، وعذبتة مسبلة عليها ، فعجبت من ذلك ، الأثا . لم نعهد فى زماننا هذا

نشأنا أن أحدا من قضاة القضاة ولا من أعيان المتعممين من كتاب السر ونظار الجيوش والوزراء وغيرهم إذا ركبوا يلبسوا صوف ملون من فواقين أو فراجى ، أو نما يلبسوا الصوف الأبيض خاصة ، ثم شاع أن السلطان قال لكاتب السر : لأى شىء أنتم ما تطلعوا قدامى الا بهذا القماش الأبيض خاصة ؟ فقال : بمرسوم مولانا السلطان يلبسوا الملوك . فقال : نعم . وشاع أن السلطان أمر المتعممين أن يلبسوا الصوف الملوك ، فسألت من قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم ابن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى عن ذلك ، فأخبرنى أن السلطان أمر بذلك ، فقلت له : وقضاة القضاة ؟ فقال : نعم ، فقلت : أمركم بذلك مشافهة ؟ فقال : لا الا على لسان كاتب السر » .

وهكذا ، فإن مؤرخنا لم يكتف باثبات مشاهدته وما صاحبها من التعجب ، وإنما قرن ذلك بما يفسرها استمدادا من الرواية الشفهية كذلك .

(ب) المشافهة :

وتكون عن رفاقه أو شيوخه ، ويمثلها قوله مترجما
« الزمخشري » :

« ... وسمعت جماعة من مشايخى يقولون : انه تاب عن مذهب الاعتزال قبل وفاته ، والله أعلم أى ذلك كان » .

وقوله مترجما « الشهاب القرشى » :

« ... وسمعت برهان الدين إبراهيم ابن نور الدين على ابن الحلوانى الواعظ يقول : القرشى بفتح القاف ، منسوب الى قرشة ، قرية من قرى الشام ، والله أعلم » .

وقوله وقد عمر « جسر الشريعة » بطريق الشام :

« ٠٠٠ أخبر القاضى أُوحد الدين عبد الواحد ابن القاضى تاج الدين اسماعيل ابن زكى الدين ياسين الحنفى ، كاتب السر الشريف بالديار المصرية بأن طوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا » .

وقوله فى حوادث شعبان من حولية (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) :

« ٠٠٠ وأخبرنى العدل تاج الدين محمد الزرعى ، الفقيه الحنبلى ، وكان ساكن بربع الخطيرى ببولاق أنه رأى يلغا الناصرى دخل جامع الخطيرى وهو متكئ على اثنتين ، وصلى يلغا - المذكور - الصبح بجامع الخطيرى مسفرا فى هذا اليوم ، وتسلمه رئيس الحراقة مقيدا ليوصله الى ثغر اسكندرية » .

وقوله فى حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة للهجرة :

« ٠٠٠ وسمعت ابن أبى الرداد القياس يقول : انتهت الزيادة فى هذه السنة الى عشرين أصبع من عشرين ذراع ، ثم تناقص على جارى العادة » .

وقد تكون المشافهة عن أقارب المترجم له ، ومنها قوله مترجما « ابن الزمردى » :

« ٠٠٠ توفى كما أخبرنى أخوه السيد الشريف ناصر الدين محمد - أحد رجال الحلقة المنصورة - فى يوم الثلاثاء ، ثامن جمادى الأولى سنة تسعين ، هذه السنة » .

(ج) الوثائق والخطوط :

ولعل أهم ما يميز تاريخ « ابن الفرات » استمداده الكثير من المعلومات التاريخية من هذا النوع من المصادر ، وحرصه على اثبات

العديد من النصوص الواردة فيها، سواء كان الاطلاع عليها في صورتها الأصلية أم، نقلاً عن المصادر المتقدمة الموردة لنصوصها ، ومن ذلك قوله :

« ... وفى يوم الاثنين ، سابع شوال - الشهر المذكور - رأيت كتاب من بعض المجريين الى الشام ، بعثه الى اهله ، فقزاته ، فكان من جملة ما ذكر فيه ... » .

وقوله :

« ... وأريت بخط أفضى القضاة موفق الدين أحمد ابن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى ، حين وصل كتاب والده اليه من تمزة يخبره فيه بوصولهم اليها ، ومضمون خط القاضى موفق الدين ... » .

وقوله :

« ... والذي سمعته من بعض الاخوان قال : فى يوم الاثنين . سادس صفر المذكور ، وصل الى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل بريدى من جهة الأمير علاء الدين على الطشلاقى متولى قطيا ، وصحبته كتليب عليه ، خط الملك الظاهر برقوق ، كان أرسله الى الأمير علاء الدين - المذكور - وأوصاه بحفظ الطرقات ، وأن يقبض على كل من مر ممن انهزم من العساكر المصرية ، ومضمون الكتاب بعد البسملة الشريفة والعلامة السلطانية ما صيفته ... » .

وقوله :

« ... وفى يوم الخميس ، تاسع صفر المذكور ، بلغنى ان كتاب من جهة الأمير سيف الدين طوغان - أستاذار العالية - وصل الى بعض أصحابه ، فسألته عنه ، فأحضره لى ، ونقلت منه ما صيفته ... » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفى جمادى الأولى المذكور ، وصل كتاب السيد الشريف صاحب الينبع ، فيه تهنئة السلطان بعوده الى مملكته ، ومن مضمونه ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وفى العشر الأخير من شهر رمضان المذكور ، رأيت كتاب مطالعة من متولى البقاعين ، ناصر الدين محمد ، الى ملك الأمراء مضمونه ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وأشيع أن عمر وأبو بكر ولدى الأمير نعيم - أمير العرب - وجماعة من عريه فارقه لما طال عليهم الهجاج فى البلاد ، ودخلوا فى طاعة السلطان الظاهر ، وأن ولدى نعيم حضراً الى نائب السلطنة بدمشق المحروسة وسلاه أن يشفع فيهما عند السلطان بأن يرضى عنهم ، وأن الأمير سيف الدين تنم - نائب السلطنة بدمشق - أرسل صحبة الأمير عامر بن ظاهر ، ابن أخى نعيم كتب الى السلطان تتضمن الشفاعة فى ولدى نعيم ومن معهما ، وأرسل نائب الشام ولدى نعيم كتب الى الأمراء بالديار المصرية ، يسألوهم الشفاعة عند السلطان بأن يرضى عنهم . »

فأما المطالعات المختصة بالسلطان فانى لم أقف عليها ، وأما كتاب نائب الشام الأمير سيف الدين بتخان حاجب الحجاب بالديار المصرية ، فانى وقفت عليه ، ومن مضمونه ٠٠٠ وأما كتاب أولاد نعيم الى الأمير بتخان حاجب الحجاب ، فانى وقفت عليه . أيضاً - ومن مضمونه ٠٠ »

وقوله مترجماً أياً الفتح الكنانى :

« ٠٠٠ ولد فيما كتب بخطه فى سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه » .

وقوله مترجما ابن الطرز :

« ٠٠٠ ولد - تقريبا - سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه » .

(د) المؤلفات السابقة :

وتعد البنية الأساسية ، والمورد الرئيسى لمادة الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب ، فضلا عن مشاركتها فى بناء مادة القسم المعاصر ، ويمكن أجمالها على النحو التالى :

- الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض (ت ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م) .
- الأنساب للسمعانى (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) .
- المنتظم لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .
- معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرقب لابن أبى طى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) .
- تاريخ ذى الرياستين لابن نجية (ت ٦٢٣ هـ / ١٢٣٥ م) .
- التاريخ المفسرى لابن أبى الدم الحموى (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) .
- تاريخ الجمال اليغمورى (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) .

- محاسن الفنون وحدائق العيون لابن الساعى (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- مفرج الكروب لابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) .
- صلة الصلة لابن الزبير الغرناطى (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .
- ذخيرة الكاتب لابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
- زبدة الفكرة لمبييرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) .
- ذيل مرآة الزمان للقطب اليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) .
- المختصر فى اخبار البشر لأبى الفداء (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م) .
- حوادث الزمان وانباته ووفيات الأكاير الأعيان من ابنائه للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) .
- الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- مشتبه النسبة للشمس الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- الوافى بالوفيات للصقدي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .
- المختصر الكبير فى سيرة البشير النذير للعز ابن جماعة (ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) .
- الاحاطة فى اخبار غرناطة لابن الخطيب (ت ٧٦٦ هـ / ١٣٧٤ م) .
- درة الأسلاك فى دولة الأتراك لابن جبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .
- طبقات الفقهاء لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) .

– الدر المنضد فى وفیات أمة محمد ، ویزهنة الأنام فى تاریخ الاسلام لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) .
– خطط الأوحدي (ت ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م) .
– نظم السلوك فى تاریخ الخلفاء والملوك للبساطامی (ت ٨٤٣ هـ / ٣٩ – ١٤٤٠ م) .
فضلا عن :

• التاریخ المنصوری لابن نظیف الحموی
– جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام لأبى الغنائم .
– الجوهر المنتخب فى اخبار اهل العلم والأدب ، لأبى الحسن على ابن أبى العلاء بن غالب البلدى .
– نزهة المقلتين فى تاریخ الدولتين (الفاطمية والایوبية)
لأبى محمد ، عبد السلام بن الحسن القهرى ، التیسراتى .
– وصاحب المعجم ، الذى لم يشأ « ابن الفرات » أن يفصح عن تمام تسميته ، أو يشير الى مؤلفه بأسمه .

ثانيا : الإسناد الى المصادر :

لم تكن طريق « ابن الفرات » فى الاسناد الى المصادر واحدة واتما كانت مختلفة متنوعه ، يمكن اجعلها فى الآتى :

(١) الاسناد الى المصدر القريب المنقول لديه عنه :

ويمثله قوله مترجماً « الشهاب القناوى » :

« ٠٠٠ قال الشيخ كمال الدين الأذوقى ما صيغته : رأيت سماع ابراهيم سنة اثنتين وستمائة ، وقد كتب له الخطيب أبو الرضى :
سمع على الامام العالم النحوى شهاب الشين ، انتهى ما قاله » .

ويقبله لدى الادفوى فى « الطالع السعيد » قوله :

« ٠٠٠ رأيت سماعه سنة اثنتين وستمائة ، وقد كتب له
الخطيب أبو الرضى : سمع على الامام العالم النحوى شهاب
الدين » .

(ب) الاستناد الى المصدر الرئيسى ، مع التصريح بالمصدر القريب
المنقول لديه عنه :

ويمثله ماورد فى الجزء الثانى من مخط ٠ (فينا) ، من الاسناد
الى « بيبرس الدودار » ، وقد اقترن بابن الاثير ، بينما لم يطلع
« ابن الفرات » على ثانيهما .

(ج) الاستناد الى المصدر الرئيسى ، اهمالا للمصدر القريب المنقول
لديه عنه :

كنحو قوله فى حوادث حولية سبع وثمانين وخمسائة للهجرة :

« ٠٠٠ وقال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد ششهدتهم
(الفرنج فى حرب عسقلان) وفى ظهر الواحد منهم النشابية والعشرة
مغروزة ، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر
من الرجالة مستريح ، يمشى على جانب البحر لا قتال عليهم ، فاذا
تعب هؤلاء المقاتلة وأتخنهم الجراح ، قام مقامهم القسم المستريح ،
واستراح القسم العمال . هذا والخيالة فى وسط الرجالة ، لا يخرجون
عنهم الا وقت الحملة لا غير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك
العتيق اللعين جفرى وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، واللعين
الانكلتير ، والافرنسية معه فى الوسط ، وأولاد الست أصحاب طبرية
وطائفة أخرى فى الساقة ، وبرج القوم فى وسطهم على عجلة ،
وعلمهم يسير فى وسطهم - أيضا - كالمنارة العظيمة على عجلة ،

وسار السلطان صلاح الدين فى جيوشه مساوقاً لهم ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين ، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رقيقاً الى أن أتوا المنزلة ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلة الظهر عندهم .

وطاف الجاليش عليهم ولزوهم بالنشاب ، وكلما ضعف قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضهم بعضاً ، والمسلمون محدقون بهم من ثلاثة جوانب » .

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » - المصدر القريب المنقول لديه عنه - قوله :

« ٠٠٠ قال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد شاهدتهم وفى ظهر الواحد منهم النشابية والعشرة مغروزة ، وهو يسير على هيدته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر من الرجالة مستريح يمشون على جانب البحر ، لا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء وأثخنهم الجراح قام مقامهم القسم المستريح ، واستراح القسم العمال ، هذا والخيالة فى وسط الرجالة لا يخرجون عنهم الا فى وقت الحملة لاغير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك العتيق جفرى ، وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، والانكلتير والافرنسيسة فى الوسط ، وأولاد السنت أصحاب طبرية وطائفة أخرى فى الساقية ، و برج القوم فى وسطهم كالمنارة العظيمة على عجلة .

وسار السلطان فى جيوشه ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين ، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رقيقاً ، الى أن أتوا المنزل ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلة الظهر

عليهم ، وطاف الجاليش حولهم ولزوهم بالانشاب ، وكلما ضعف
قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضهم بعضا . والمسلمون
يرمونهم من ثلاثة جوانب » .

(د) الاسسناد الى مذهبهم :

كنحو قوله :

« قال صاحب المعجم : ٠٠ » .

وقوله :

« ٠٠٠ وهذه خلط من أعظم الممالك ، وذكر بعض المؤرخين
أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين
بلدا ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما ملكها التتر » .

وهو منقول عن مفرج الكروب ، لابن واصل ، وقد ورد النص
فيه على النحو التالى :

« ٠٠٠ وهذه خلط كانت من أعظم الممالك ، وذكر أنها تقارب
الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا ،
ويعرف اقليمها بأرمينية ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما
ملكها التتر » ٠٠

وقوله :

« ٠٠٠ قال علماء التاريخ : فى هذه السنة وصل السلطان
غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان السلجوقى الى مرعش ،
ليقصد بلاد ابن لاون ، فأرسل الملك الظاهر - صاحب حماه - اليه
جماعة من عسكره يكونون فى خدمته مع الأمير سيف الدين بن علم
الدين جندر والأمير عز الدين أيبك فطيس ، فسار السلطان غياث

الدين كيخسروا ، ودخل بلاد ابن لاون وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه ، وشيد عمارته ، وشحنه بالرجال ، وفتح قلاعاً أخرى وخرّبها .

ثم رجع السلطان غياث الدين الى بلاده ، لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيراً من الحصون » .

ويقابله لدى « ابن واصل » - المصدر المأخوذ لديه عنه - قوله فى « مفرج الكروب » :

« ٠٠ وفى هذه السنة وصل غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان السلجوقى - صاحب بلاد الروم - الى مرعش ، لقصود بلاد ابن لاون ملك الأرمن . فأنفذ اليه الملك الظاهر جماعة من عسكره ، يكونون فى خدمته مع سيف الدين بن علم الدين بن جندر ، وعز الدين أيبك فطيس . فدخّل غياث الدين بلاد ابن لاون ، وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه وشيد عمارته ، وفتح قلاعاً أخرى وخرّبها .

ثم رجع غياث الدين لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيراً من الحصون » .

(هـ) أهمال الاسسناد الى المصدر :

حيث وجد أن « ابن الفرات » لم يصرح فى مواضع كثيرة من كتابه بالنقل عن مصادره ، وان كان النقل فى كثير منها عن المصدر نقلاً متتابعاً ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ وفى هذه السنة (٥٦٣ هـ) وصل الحاج العراقى سالمين ، فخرج عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة ، فقطعوا قطعة من الحاج ، فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » .

ويقابله لدى ابن الجوزى فى « المنتظم » قوله :

« ٠٠٠ فمن الحوادث فيها أن الحاج وصلوا الى العراق سالمين ،
فخرجت عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة فقطعوا قطعة من الحاج ،
فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » •

وقوله :

« ٠٠٠ وفيها (٦٠٠ هـ) كادت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد ،
مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل
والعراق ، ويقال : انها بلغت الى سبته من أقصى المغرب ، والله
أعلم » •

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » قوله :

« ٠٠٠ وفى هذه السنة كادت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر البلاد :
مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل
والعراق ، ويقال : انها بلغت سبته من أقصى المغرب » •

وصاحب هذا التنوع فى « طريق » الاسناد الى المصادر
التنوع فى صيغ الاسناد الى المصادر كذلك ، بحيث يمكن اجمال هذه
الصيغ على النحو التالى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم الكتاب دون مؤلفه :
ويمثله قوله :

« قال صاحب التاريخ المظفرى ٠٠ » مهمل الاشارة الى ابن
أبى الدم الحموى مؤلف الكتاب •

وقوله :

« قال صاحب كتاب الجوهر المنتخب فى أخبار أهل العلم والأدب
ما صيغته ٠٠ » . مغفلا التصريح بأبى الحسن البلدى •

(ب) الاستناد الى المصدر ، مصرحاً باسم المؤلف دون كتابه :

ويمثله قوله :

« قال جمال الدين يوسف اليعمورى ، ومن خطه نقلت ، ما صيغته ٠٠ »

(ج) الاستناد الى المصدر ، مصرحاً باسم المؤلف وكتابه :

ويمثله قوله :

« ٠٠ وقال الشيخ جمال الدين ، محمد بن سالم بن نصر بن واصل الحموى ، فى تأليفه مفرج الكروب فى أخبار دولة بنى أيوب ٠٠ » .

وقوله :

« ٠٠٠ قال أبو الغنائم ، فى كتاب جمهرة الاسلام ذات النشر والنظام ٠٠٠ » .

وهو حريص مع ذلك - فى مواضع كثيرة من كتابه - على تحديد بدايات النقول ونهاياتها ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ وذكره القاضى صلاح الدين الصفدى ، فقال : ٠٠٠ انتهى كلام القاضى صلاح الدين » .

وقوله :

« ٠٠٠ وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ٠٠ انتهى كلامه » .

وقوله :

« قال الشيخ محمد بن نظيف الحموى ما صيغته ٠٠ انتهى كلامه » .

ثالثا : طريق النقل :

لم يلتزم « ابن الفرات » - غالبا - بعبارة مصادره التزاما صارما ، اذ نادرا ما تكون عبارته مطابقة وعبارة المصدر المنقول لديه عنه ، وانما هو متصرف في النسق التعبيري لمنقوله عن مصدره مع الحفاظ على النسق الترتيبي المصاحب له ، أو هو متصرف فيهما معا .

ومن نماذج التطابق لديه قوله :

« قال علماء التاريخ رحمة الله عليهم : فى هذه السنة تحرك الفرنج - لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم - الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشق المحروسة ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » .

ويقابله لدى ابن واصل - المصدر المنقول لديه عنه - قوله فى « مفرج الكروب » :

« ... وفى هذه السنة تحركت الفرنج الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشق ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » .

وقوله :

« دخلت هذه السنة ، والسلطان صلاح الدين على شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع حيفا ، والبديل متصل الدخول الى عكا » .

ويقابله لدى « ابن واصل » قوله فى مفرج الكروب :

« ٠٠٠ ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، والسلطان على شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع نهر حيفا ، والبديل متواصل بالمدخول الى عكا » .

ويقترب منه قوله :

« ٠٠٠ وفي ثامن صفر ، الشهر المذكور ، عبر العيارين من الجانب الغربي من بغداد الى الجانب الشرقي الى الحاج ، وقد تحصنوا في داخل البلد ، فأخذوا أموالهم ، وانحدروا في السفن يضررون الطبل ، ولم يطلبوا ، ثم وقع منهم أقوام ، وظهر عليهم شيء يسير » .

ويقابله لدى « ابن الجوزي » - المصدر المتقول لديه عنه - في المنتظم قوله :

« ٠٠٠ وفي ثامن صفر عبر العيارون من الجانب الغربي الى الشرقي الى الحاج ، وقد تحصنوا بالديوت داخل البلد ، فأخذوا أموالهم ، وانحدروا في السفن يضررون الطبل ، ولم يطلبوهم ، ثم وقع منهم أقوام ، فظهر عليهم شيء يسير » .

وهكذا ، فإن التطابق بين عبارتي « ابن الأفرات » ومصدره لا يعنى الالتزام الصارم بعبارة المصدر المتقول لديه عنه ، وإنما يعنى النقل عنه باللفظ - اسقاطاً أو إضافة - مع الحفاظ على النسب في الترتيبى المصاحب له في المصدر .

ومن نماذج التصرف في النسق التعبيري قوله :

« ٠٠٠ وقال الشيخ محمد بن زظيف الحموي ماضيغته : وفي سنة إحدى عشرة وستمائة عاد الملك العادل الى الديار المصرية وصحبته كليام » .

ويدقابه لدى « ابن نظيف » قوله :

« ٠٠٠ وفيها عاد الملك العادل الى الديار المصرية ، وكليام
لا يفارقه » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفي ليلة النصف من شعبان من شهور هذه السنة
اتفقت ببعدها حادثة عجيبة ، وهي أن انسانا كان قاعدا عند عطار ،
بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط يلعب بقوارير النفط ، فخرجت من
يده بغير اختياره ، فدخلت بثياب الرجل ، فلم ينزع ثيابه حتى
انسليخ جلده من عنقه الى مشد سرواله ، وهرب النفاط ، ومات
الرجل » .

ويدقابه لدى « ابن الجوزي » في « المنتظم » قوله :

« ٠٠٠ وفي ليلة النصف من شعبان اتفقت حادثة عجيبة ، وهي
أن انسانا كان قائما عند دكان عطار بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط
يلعب بقارورة النفط ، فخرجت من يده بغير اختياره ، فأهلك ما في
الدكان كله ، وتعلقت بثياب ذلك الرجل القائم هناك الى أن نزع
ثيابه ، انسليخ جلده من عنقه الى مشد سرواليه ، وأخذ النفاط
شميس ، وجرت فتنة ، فتخلص النفاط » .

وهكذا ، فإن « ابن الفرات » قد نقل في هذا الموضع عن
مصدره بالفكرة .

ومن نماذج التصرف في النسق الترتيبي قوله مترجما ابا
العباس الأزجي :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد الأزجي البغدادي ، يكنى
أبا العباس ، قرأ القرآن - العزيز - بالقراءات ، وسمع من أبي

خبيرون وابن السلال وابن الحصين وأبى منصور القزاز ، وكان فيه خير • توفى فى طريق مكة المشرفة ، وكان خرج الى الحج فى سنة خمس وستين هذه السنة ، ودفن بزباله » •

ويقاله لى « ابن الجوزى » قوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد ، أبو العباس ، الأزجى • قرأ القرآن ، وسمع من ابن الحصين ، وابن خبيرون ، والقزاز ، وابن السلال ، وغيرهم • وكان فيه خير ، خرج الى مكة فتوفى فى الطريق ، ودفن بزباله فى هذه السنة » •

النقد التاريخي

المطلع على مادونه « ابن الفرات » في تاريخه يجده مؤرخا على درجة كبيرة من الوعي التاريخي ، كما يلحظ له اتجاها نقديا من خلال ما أثبت فيه من حوادث ، يمكن تصنيف عناصره في المجالات الآتية :

(أ) وصف الحوادث بالتفرد في بابها :

ويمثله قوله معقبا على مناداة المشاعلية في القاهرة ومصر وظواهرهما بجلوس « الظاهر برقوق » للحكم بين الناس يومى الأحد والأربعاء :

« ٠٠٠ وهذا لم يعهد من ملك قبله ممن أدركناه ، ولا سمع به من مشايخنا » ٠٠

(ب) استحسان التصرف في بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وفي صفر - الشهر المذكور - رتب القاضى نجم الدين الطنبدي محتسب القاهرة المحروسة جماعة من الفقهاء ، فى كل

سوق من أسواق القاهرة وظواهرها فقيه ، يعلم التجار وأصحاب الصنائع والمتعينين سورة الفاتحة وغيرها من السور ، ليقروا ذلك ، وجعل لكل فقيه على كل من يعلمه فلسين جدد ، وهذا ترتيب حسن لأبأس به » .

(ج) التهكم ، أو المسخرية من التصرف في بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وفي يوم الاثنين ، سابع عشد رصفدر – الشهر المذكور – أرسل الملك الظاهر برقوق الى الأمير سيف الدين اينال اليوسفي – أتاك دمشق – تقليد ابنيابة حلب ، عوضاً عن الأمير يلبغا الناصري ، فكان كما قيل :

وجادت بوصل حيث لا يذفع الوصل » .

وتعقيبه على تولية « جركس الخليلى » لحسين بن باكيش نيابة غزة ، قائلاً :

« ٠٠٠ فكان شر العشرة على أهل الديار المصرية ، ومن يصل اليه من جملتهم ، وكان عوناً عظيماً لمن يصل اليه من جهة الأمير يلبغا الناصري ، وخامر معه ، فكان جركس الخليلى كما قيل : باحث عن ظلفه بظفره ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

(د) تفسير بعض الحوادث ، بالكشف عن العلة فيها :

كنحو قوله معقبا على زواج « الجمال ، محمود القيصرى » بابنة ابن الطولونى :

« ٠٠٠ ولم يسمع حصل لأحد غير القاضى جمال الدين عقد نظير هذا العقد ، والأغلب أن ذلك جميعه فعل اكراما لابن الطيلونى ، لا لأجل جمال الدين محمود ، والله أعلم بجلية الحال » .

(هـ) الكشف عن مواطن العبرة والعظة في الحوادث :

كنحو قوله معقبا على طواعين مصر ، وقتن الشام :

« ٠٠٠ وكان قد اجتمع في أهل مصر وعسكرها في هذا الشهر
الطاعون بمصر والطعن بالشام ، فكان كما قيل :
من لم يمت بالسيف مات بغيره » .
وقوله :

« ٠٠٠ ثم أسفرت العاقبة أن الأمير الكبير منطاش طلب ממاليك
الملك الظاهر برقوق الذين قاتلوا معه (أى مع منطاش خذلانا
لأستناهم) ليحضروا النفقة ، فلما حضروا وصاروا بالاصطبل
أغلق باب السلسلة ، وقبض على تقدير مائتي مملوك منهم ، ورمى
ممالك منطاش من سور الاصطبل على الغلمان بالذشاب ، فهربوا
فكان كما ورد :

من أعان ظلما سلط عليه » .

وتعقيبه على ما تردد من أن « النور الحاضري » قال لصديقه
« الحسام الكوراني » - والى القاهرة - وقد ذكر اسم « برقوق » :
« ان كتبه تأتي الى جماعة بالقاهرة ، وتعود أجوبتها » ، ونبه عنه
لمنطاش ، الذي استجوبه ، فلما أنكر معرفته بذلك ضرب وعصر
حتى أشرف على الموت ، ثم حبس ، قائلا :

« ٠٠٠ هذا فائدة كثيرة القبول فيما لا يعنى الانسان ، ما
أحسن قول القائل : معادة العاقل ولا مصاحبة الجاهل » .

(و) الإفصاح عن عاطفته تجاه بعض الحوادث :

وهى عاطفة دينية قوية ، مجلة للسلطة ، متأسفة لما يصيب
المسلمين من انقسام الكلمة فى الداخل ، أو يفرض عليهم من مكوس ،

ولما يلحقه بهم الأعداء من هزائم ، داعية لجيوش الاسلام بالنصر .
وللمسلمين باجتماع الكلمة وصلح الأمور ، ولجيوش أعدائهم
بالخذلان واللعنة * .

ومن ذلك قوله فى أحداث الفتنة « المنحاشية » - جمادى الأولى
سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م - وقد حضر القضاة الأربعة الى مشهد
السيدة نفيسة لقراءة تقليد ابن الخليفة بولاية النظر عليه :

« ٠٠٠ وشاع أن القضاة بعد الفراغ من قراءة تقليد ابن الخليفة
مضوا الى المكان الذى به آثار سيدنا ونبينا محمد رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - يظاهر مصر المحروسة ، وقرأوا هناك
صحيح البخارى ، ودعوا الله - عز وجل - بالنصر للسلطان وعسكره
فانه - تعالى - يحسن العاقبة ، ويؤلف الكلمة ، ويصلح أحوال
المسلمين ، فانهم فى ضيق عظيم بسبب هذه الفتنة التى لم نر
مثلا فى زماننا ، فاننا لله وانا اليه راجعون » .

وقوله فى خروج الأمراء مطلبيين للاقاة الخارجين على
« الظاهر برقوق » فى الشام ، فى الأحداث ذاتها :

« ٠٠٠ ثم خرج يعد طلب الأمير جركس طلب المسالك
السلطانية ، وكان عليهم من الهبة والوقار ما اقشعرت منه الجلود ،
وحصل لى أسف عظيم ، حيث رأيت هذه الأطلاب كيف لم يكن خروجها
لجهد الكفار ونصرة دين الملك القهار ، فاننا لله وانا اليه راجعون » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفى هذا اليوم (الأربعاء ، سابع جمادى الآخرة سنة
٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) أعيد جميع الكوس على ما كانت عليه ، فاننا
الله وانا اليه راجعون » .

وقوله ، وقد أخذ « الفرنج » جربة :

« ٠٠٠ وفي هذا اليوم (الأربعاء ، سادس عشر صفر سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) أشيع أن وردت الأخبار الى الملك الظاهر بان الفرنج - خذلهم الله تعالى - أخذوا جزيرة جربة من المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وقوله ، وقد خرج الأمراء لملاقاة المغول فى الشام :

« ٠٠٠ وسافر الأمراء الأربعة المقدمين الألوفا وأتباعهم الى الشام ، فاثت - تعالى - يصحبهم بالسلامة ، ويعينهم على ما هم بصدده ، ويحسن عاقبتهم ، ان شاء الله تعالى » .

واقترن لفظتى « الفرنج » و « التتر » لديه - فى غير موضع - بقوله :

« لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم » .

ونعته كبار شخصيات « الفرنج » باللعين ، كنهو قوله :

« ٠٠٠ اللعين منك الأمان » ، (٠٠٠ اللعين مرى) : « ٠٠٠ ملك الانكلتير لعنه الله » ، « ٠٠٠ اللعين ملك الانكلتير » ، « ٠٠٠ اللعين ابن لاون » .

فضلا عن الدعاء عليهم بالهلاك ، ومنه قوله :

« ٠٠٠ فعن ملك الأمان أن يسبح فى النهر ، فسبح ، فعرض له مرض شديد ، أداه الى الموت ، عجل الله بروحه الى النار ، وأراح المسلمين منه » .

تقويم مادة الكتاب

تضاءلت القيمة الفعلية لمادة الكتاب فى غير الأجزاء المعاصرة والتي لم يبق منها سوى الجزء التاسع من « مخط ٠ فينا » ، الحاوى للحوليات فيما بين سنتى (٨٧٩ هـ / ١٣٨٧ م ٠ و ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م) ، حيث لم يكن « ابن الفرات » فيها سوى ناقل عن مصادره وكفى ، اللهم الا فى مواضع يسيرة جدا ، قابل فيها بين منقولين فى الحدث الواحد عن مصدرين متعارضين ، كابن واصل وابن نظيف^(٥١) ، مرجحا أولهما على ثانيهما ، دون اقتران الترجيح لديه بعلّة ترجع الى الحدث ذاته ، أو الى المصدر الراجح أو المرجوح ٠

كما كان النقل لديه - فى هذه الأجزاء غير المعاصرة - عن بعض المصادر نقلا متتابعا ، والاعتماد عليها فى بنسأ الكثیر من

(٥١) راجع : ابن الفرات ٠ التاريخ ج ١/٥ ص ٢٤ (= ابن واصل ٠ مفرج الكروب ج ٣ ص ١٧٢ ، ابن نظيف ٠ التاريخ المنصورى ق ٢٥٣ - ٢٥٤) ، ج ١/٥ ص ١٧٣ (= ابن واصل ٠ مفرج الكروب ج ٢ ص ١٩٠ ، ابن نظيف ٠ التاريخ المنصورى ق ٢٦٢ - ٢٦٣) ٠

أجزاء الكتاب اعتمادا رئيسا ، بحيث ظهرت الى جانبها المصادر الأخرى المصرح بالأخذ عنها مصادر ثانوية ، ومن ذلك الاعتماد فى بناء مادة الجزء السادس من « مخط . حسين شلبي » على تفسير القرطبي ، وفى الجزء الحادى عشر منه على المنتظم لابن الجوزى ، وفى « مخط . باريس » ، المعنون « بالأول من تاريخ ابن الفرات » على التاريخ المظفرى لابن أبى الدم الحموى والمنتظم لابن الجوزى ، وفى « مخط . تونس » على الدر المنضد فى وفيات أمة محمد لابن دقماق ، وفى الأجزاء الثلاثة الأولى من « مخط . فينا » على زبدة الفكرة لبيبرس الدوادار ، وفى الجزءين الرابع والخامس منه على مفرج الكروب لابن واصل . . وهكذا .

أما الجزء المعاصر ، فقد انتظم الكثير من حوادث الفترة التى عاشها مؤرخنا ، وسجلها بتفصيلاتها ، فكان بذلك مصدرا رئيسا ، اكتسب سمة الأصالة ، مما جعله موردا رئيسا للمؤرخين المعاصرين ، كالمقرئى ، وابن حجر ، والبدر العينى ، الذين نقلوا عنه مباشرة أحداث تلك الفترة فى بعض مؤلفاتهم التاريخية ، نسا أو تلخيصا .
وهكذا ، فان الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب لا تكتسب قيمتها العلمية الا بقدر حفاظها على الكثير من النصوص المنقولة عن بعض المصادر التى لم يكشف بعد عن مظان وجودها .

على أنه ليس صحيحا ما ردهه بعض الأحدثين الباحثين ، من أن ابن الفرات « لم يكتف بنقل ما جمعه - (فى هذه الأجزاء غير المعاصرة) - ولكنه صحح جوانب تاريخية مهمة ، كان سابقوه قد أغفلوها ، كما شرح كثيرا مما دونه وأحكم ما سجله ، ونقى ما ظنه بعيدا عن الأخبار التاريخية الصادقة » (٥٢) ، ان المتردد فى تلك

(٥٢) د . أحمد الشامى . دراسة فى مخطوط تاريخ الدول والملوك
مجلة الدارة مج ١٠ ، ج٢ ، ص ٧٤ .

الأجزاء غير المعاصرة من جوانب النقد التاريخي وما شاكله منقول
- غالبا - عن مصادر ، وليس لمؤرخنا فيه أدنى ابتكار أو إبداع ،
ومنه نقده لمذهب بعض المتصوفة في طلب الولد ، قائلا عقب قوله
تعالى : « هنالك زكريا ربه ، قال : رب هب لى من لى من لى ذرية طيبة ،
انىك سمى الدعاء » (٣٨ : آل عمران) :

« ٠٠٠ : وبلت هذه الآي على طلب الولد ، وهى سنة المرسلين
والصديقين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم أزواجا وذرية » . وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص
- رضى الله عنه - قال : أراد عثمان - رضى الله عنه - أن يتبتل ،
فنهاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولو أجاز له ذلك
لاختصينا . وخرج ابن ماجه عن عائشة - رضى الله عنهما قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتى ، فمن لم
يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ، ومن
كان ذا طول فليتكح ، ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فانه له وجاء .
وفى هذا رد على بعض جهال المتصوفة حيث قال : الذى يطلب الولد
أحمق ، وما عرف أنه هو الغبى الأخرق ، قال الله - تعالى - مخبرا
عن الخليل إبراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى
الآخرين » ، وقال عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من
أزواجنا وذرياتنا قررة أعين » . وقد ترجم البخارى - عفا الله عنه -
على هذا باب طلب الولد . قال النبى - صلى الله عليه وسلم -
لأبى طلحة حين مات ابنه : اعرضتم الليلة ؟ قال : نعم . قال :
بارك الله لكما فى غابر ليلتكما . قال : فحملت . وفى البخارى :
قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأ
القرآن ، وترجم - أيضا - باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ،
وساق حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قالت أم

سلمة (٥٣) : يارسول الله ، (خادمك أنس) ، أبع الله له • فقبال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته • وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين • خرجه البخارى ومسلم • وقال صلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فانى مكأثر بكم الأمم • أخرجه أبو داود • والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، تحت على طلب الولد وتندب اليه ، لما يجره الانسان من نفعه فى حياته وبعد موته • قال صلى الله عليه وسلم : اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث ، فذكر من جعلته : أو ولد صالح يدعو له • ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية » •

ويقابلة لدى المقرطى قوله :

« ••• دلت هذه الآية على طلب الولد ، وهى سنة المرسلين والصديقين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » • وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : أراد عثمان أن يتبتل ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أجاز له ذلك لاختصيتنا • وخرج ابن ماجه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتى ، فمن لم يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا فانى مكأثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فانه له وجاء • وفى هذا رد على بعض جهال التصوفة حيث قال : الذى يطلب الولد احمق ، وما عرف أنه هو الغبى الأخرق ، قال الله - تعالى - مخبرا عن ابراهيم الخليل : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ، وقال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين » • وقد

(٥٣) كذا فى الاصل ، وصحته : « أم سليم » •

ترجم البخارى على هذا باب طلب الولد . وقال صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة حين مات ابنه : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم . قال : بارك الله لكما فى غابر ليلتكما . قال : فحملت . فى البخارى : قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن . وترجم - أيضا - باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة . وساق حديث أنس بن مالك ، قال : قالت أم سلمة : يارسول الله ، خادمك أنس ، أدع الله له . فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته . وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين . خرجه البخارى ومسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فأنى مكأثر بكم الأمم . أخرجه أبو داود . والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، تحث على طلب الولد وتندب اليه ، لما يرجوه الانسان من نفعه فى حياته وبعد موته . قال صلى الله عليه وسلم : اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث . فذكر : أو ولد صالح يدعو له . ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية .

وقوله ناقدا أسامة بن منقذ ، من خلال الحديث عن قطب الدين ، مودود :

« ١٠٠ » وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ، ذكر فيه من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين - المذكور - توفى سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسائة ، وليس بصحيح ، فان أخاه الملك العادل نور الدين ، كان فى الموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور - كما سنذكره ان شاء الله تعالى - ولم يتوجه الملك العادل نور الدين إليها الا بعد وفاة أخيه السلطان قطب الدين .

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

« ٠٠٠ وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ذكر فى من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين - المذكور - توفى سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسائة ، وليس بصحيح ، فان أخاه نور الدين كان بالموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور ، ولم يتوجه نور الدين إليها الا بعد وفاة أخيه قطب الدين » .

وقوله :

« ٠٠٠ حكى القاضى عماد الدين الأصفهانى الكاتب ، قال . لما كثرت الأخبار بمصر ، بما يعتمده ضياء الدين ابن الأثير - وزير الملك الأفضل صاحب دمشق - من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة بالشام ، تحركت عزائم الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ، ووعد بإزالة ضياء الدين بن الأثير وطرده عن البلاد ، واصلاح ما فسد من الأحوال .

والظاهر أن الشيخ عماد الدين الكاتب - رحمه الله تعالى - إنما ذكر ذلك تقيّة فى ذلك الوقت ، وخوفاً من الملك العادل ، والا فالذى ذكره جماعة من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم الى دمشق نجدة للملك الأفضل ، ورأى من نكبة الملك الأفضل مارأى ، حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، فلما قصد الملك العزيز بلاد الشام بعساكره - كما قدمنا شرحه - توصل الملك العادل الى تحصيل عزمه ، بإيقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية وبين الأسدية والملك العزيز ، ونفر كلا منهما من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز الى مصر » .

ويقابلة لدى ابن واصل قوله :

« ٠٠٠ لما كثرت الأخبار بمصر بما يعتمده ضياء الدين بن الأثير - وزير الملك الأفضل - من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة

بالشام ، تحركت عزيمة الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ،
ووعد بإزالة ضياع الدين ابن الأثير وطرده عن البلاد ، واصلاح
ما فسد من الأحوال .

قلت : هكذا حكى عماد الدين الكاتب . وعندى أنه ربما ذكر
ذلك تقيّة في ذلك الوقت ، وخوفاً من الملك العادل ، والآ فالذى
أعتقده وبلغنى من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم دمشق نجدة
للملك الأفضل ، ورأى من ربكة الملك الأفضل ما رأى ، حدثته نفسه
بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، ولما
قصد الملك العزيز البلاد بعساكره ، توصل الملك العادل الى تحصيل
غرضه بإيقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية ، وبين الأسدية والملك
العزيز ، ونفر كلاً منهم من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز
الى مصر .

وقوله :

« . . . وأشار جماعة من الأمراء على الأمير عز الدين أسامة
بتسليم كوكب وعجلون ، الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضاً عنهما ،
فما فعل لم يطرأ عليه ما طرأ - مما سنذكره - من الاعتقال وأخذ
الأموال . لكن المقدرات لا ينفع معها الحذر » .

ويقابله لدى ابن واصل - أيضاً - قوله :

« . . . وقد قيل : أن جماعة من الأمراء كانوا أشاروا على
أسامة بتسليم كوكب وعجلون الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضاً عنهما ،
فما فعل ، ولو فعل لم يطرأ ما طرأ من الاعتقال وأخذ أمواله ، وكانت
جميع أمواله وذخائره بكوكب ، فاستصفت جميعها » .

الفصل الثالث

ابن دقماق وكتابه ((الجوهر الثمين
في سير الملوك والسلاطين))

« ابن دقماق » ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م

دراسة حياة

هو « صارم الدين ، ابراهيم^(١) بن محمد بن أيدير العلاني » ،
المعروف بابن دقماق^(٢) .

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٢٢
ب - ٢٣ ، ابن حجر . انباء الثمر ج ١ ص ٢٢٤ ، ٣٦٠ تر ١ ، ذيل الدرر
الكامنة ق ٨٧ ، المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى
ج ١ ص ٢٥ تر ٦٣ ، المنهل الصافى ج ١ ص ١٢٨ - ١٤٠ تر ٦٤ ، الصيرفى .
نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٣٧ تر ٤٥٨ ، السخاوى . الضوء اللامع
ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢١ ، ابن
العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٨٠ .

(٢) أخطأ كل من : ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ١ ص ١٢٠ تر
٦٣ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٢٥ تر ٦٢) ، والسخاوى (الضوء اللامع ج ١ ،
ص ١٤٥) عندما أشارا الى أن « دقماق » - ومعناه المطرقة - هو جد أبيه ،
وان مؤرخنا هو « محمد بن أيدير بن دقماق » ، ذلك أن «دقماق» هو «أيدير»
جد مؤرخنا لأبيه ، كما هو مثبت فى كنز الدرر للدوادارى ج ٩ ص ٣٥٩ ،
و درر العقود الفريدة للمقرئى ق ٢٢ ب ، والدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص
٣٩٤ .

تدرج جده لأبيه « عز الدين ، أيدير » - أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون - فى وظائف الدولة الملوكية الى أن ولى نقابة الجيوش المنصورة عوضاً عن « شمس الدين المهندار » (٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) . سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجرة ، وظل شاغلاً لهذه الوظيفة الى حين وفاته فى سادس رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة للهجرة (٣) .

أما والده « بدر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا أنه توفى بالعقبة سنة احدى وستين وسبعمائة للهجرة (٤) .

على حين ولد مؤرخنا « صارم الدين ، ابراهيم » فى حدود الخمسين وسبعمائة ، ونشأ فى طبقة اولاد الناس ، وتزياً بزى الجند، وتفقّه على المذهب الحنفى ، واشتغل بالعلم ، وأسندت اليه وظيفة خزن الكتب فى الخانقاة الصلاحية (٥) ، كما تولى قبل وفاته ولاية « دمياط » ، فلم ينتج أمره فيها ، وعزل ، وعاد الى القاهرة ، فمات بها بعد قليل ، ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة تسع وثمانمائة ، عن نحو السنتين عاماً (٦) .

(٢) الدوادارى . كنز الدرر ج ٩ ص ٢٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٣٠ تر ١٢٢ ، السخاوى . الضوء الملامع ج ١ ص ١٤٥ .

(٤) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩٤ تر ١٠٤٣ .

(٥) أشار « ابن الفرات » (التاريخ ج ٩ ص ٤٠٦) الى أنه استقر فى هذه الوظيفة يوم الخميس ، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٥م) .

(٦) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٢٠٠ أ ، ابن تفرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ ، السخاوى . الضوء الملامع ج ١ ص ١٤٥ .

أخلاقه :

أشار « المقرئى » الى أنه « كان جميل العشرة ، فكة الحادثة ، كثير التردد ، حافظا للسان من الوقعة فى الناس ، لا تراه يدم أحدا من معارفه ، بل يتجاوز عن ذكر ما هو مشهور عنهم مما يرمى به أحدهم ، ويعتذر عنه بكل طريق » (٧) .

ثقافته :

طلب المعلم وتفقه يسيرا بجفاغة ، وأحب الأدب واشتغل به - على الرغم من كونه عريا عن العربية ، عامى العبارة - ثم حبب اليه التاريخ ، فانكب عليه حتى كتب فيه نحو مائتى سفر من تأليفه وغيره (٨) .

مكانته بين علماء عصره :

أشار « المقرئى » - وقد صحب « ابن دقماق » مدة وتجاوزا عدة سنين - الى أنه « كان عارفا بأمر الدولة التركية » مذاكرا بجملتها أخبارها ، مستحضرا لتراجم أمرائها ، ويشارك فى أخبار غيرها مشاركة جيدة » (٩) .

ونعته « ابن حجر العسقلانى » بمؤرخ الديار المصرية فى زمانه (١٠) ، وجاراه على ذلك « السيوطى » فى حسن المحاضرة (١١) . وأشار « ابن حجر » فى صدر كتابه « الانباء » الى

(٧) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٢٣ ١ .

(٨) نفسه ق ٢٢ ب ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ .

(٩) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٢٣ ١ .

(١٠) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ١ .

(١١) السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٦ .

انه اجتمع به كثيرا ، وغالب ما ينقله فى الانباء من خطه ، ومن خط
« ابن الفرات - الحنفى » عنه (١٢) ، وعاد الى توكيد ذلك بما اوردته
فى « ذيل الدرر الكامنة » من ترجمته (١٣) .

كما اشار « ابن تغرى بردى » فى المنهل الصافى الى ان
« تصانيفه جيدة مفيدة ، واطلاعه كثير ، واعتقاده حسن ، ولم يكن
عنده فحش فى كلامه ولا فى خطه » (١٤) .

واعتمده كل من « ابن الفرات » (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ،
و « النقى المقرئى » (ت ٨٤٥ هـ / ١٣٤١ م) ، و « ابن حجر »
(ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، و « البدر العينى » (ت ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م) ، وغيرهم مصدرا هاما فى كتاباتهم التاريخية ، ونقلوا
عنه نصا وتلخيصا .

(١٢) ابن حجر . انباء الفجر ج ١ ص ٤ .
(١٣) ابن حجر . ذيل الدرر الكامنة ق ٨٧ .
(١٤) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ .

مجهوداته في الكتابة التاريخية

على الرغم من غزارة كتابات « ابن دقماق » في التاريخ ، فانه لم يبق لدينا من مؤلفاته أو عنواناتها الا القليل ، المبعثر في مكتبات العالم ، أو المثبت اسمه لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، والتي يمكن اجمالها على النحو التالي :

- ١ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار (١٥) .
- ٢ - ترجمان الزمان في تراجم الاعيان (١٦) .

(١٥) ذكره حاجي خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ١٧٤) . مشيرا الى انه في عشره مجلدات ، نشر منه « فولرن » المجلدين الرابع والخامس عن مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ١٢٤٤ - تاريسخ ، وهي بخط مؤلفه .

(١٦) كتاب في التاريخ ، مرتب على حروف الهجاء في التراجم ، توجد منه أجزاء من نسخة بخط المؤلف ، كتبت سنة ٧٨١هـ . ، وهي : السابع . والحادي عشر ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث - تركيا ، تحت رقم : ٢٩٦٧ .

- ٣ - الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (١٧) .
- ٤ - الدر المنضد فى وفيات أمة محمد (١٨) .
- ٥ - عقد الجواهر فى سيرة الملك الظاهر (١٩) .
- ٦ - فرائد الفوائد (٢٠) .
- ٧ - الكنوز الخفية فى تراجم الصوفية (٢١) .

(١٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، منها نسخة كتبت سنة ٨٦٠ هـ . ، تحتفظ بها مكتبة حكيم أوغلى - تركيا ، تحت رقم : ٧٢٧ ، وتقع فى ١٣٠ ورقة ، مقاسها ١٣ × ١٧ سم ، ونسخة كتبت سنة ٩١٠ هـ ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث - تركيا ، تحت رقم ٢/٢٩٨٤ ، وهى مشكولة ، وبخط نسخ حسن ، وان كانت كثيرة الاسقاطات والحذف والتبديل والتعديل ، ونسخة ثالثة كتبت سنة ٨٧٢ هـ برسم الأمير «فرج» نجل المقر «بردبك» أمير آخور الظاهرى ، وتحتوى على ١٣٠ ورقة ، وتحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث تحت رقم : ٢٩٠٣ ، ونسخة تقع فى حوالى ٢٢٠ ورقة ، مقاسها ١٥ × ٢٠ سم ، تشترك مع سابقتها فى المواصفات ، تحتفظ بها دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٤٩٢ - تاريخ ، تيمور . وسوف نعرض له بالدراسة فى الصفحات التالية .

(١٨) استمد منه ابن القرات - الحنفى (التاريخ مخط . تونس) مصرحا فى عدة مواضع .

(١٩) أحال عليه ابن دقماق (الجوهر الثمين ، مخط . حكيم أوغلى ق ١١١ ب) .

(٢٠) كتاب فى « التعبير والرؤيا » ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٢٨٠) ، وببيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٨٠ ، « مائة : ابن بقماق ») .

(٢١) ذكره بيدرسن (نفسه) .

- ٨ - نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام (٢٢) .
- ٩ - نظم الجمان فى طبقات أصحاب امامنا النعمان (٢٣) .
- ١٠ - ينبوع المظاهر فى سيرة الملك الظاهر (٢٤) .

(٢٢) مرتب على السنين ، انتهى به مؤلفه عند سنة ٧٧٩هـ ، ويقع فى نحو اذنتى عشرة مجلدة ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٦٢) ، ويوجد منه :

● مجلد بخط مؤلفه ، ناقص من أوله ، وأول ما فيه حوادث سنة ١٢٨٠هـ ، وينتهى بوفيات سنة ١٦٥٩هـ ، تحتفظ به المكتبة الأهلية - باريس ، تحت رقم : ١٥٩٧ .

● مجلد يبتدىء بسنة ٢٧٩ ، وينتهى أثناء وفيات سنة ٥٤٢٢هـ ، مع تداخل سنوات ٤٣٦ : ٤٩٩ فى أثناء ذلك ، كتب سنة ٨٠٩هـ ، بخط «أحمد بن عبد الحميد بن محمد المصرى» ، وتحتفظ به مكتبة فيض الله - تركيا ، تحت رقم : ١٤٥٩ .

(٢٣) يقع فى أربعة أجزاء ، تناول فى أولها مناقب الامام «ابى حنيفة» ، بينما ترجم فى باقيها لأصحابه .
ذكره المقرئى (درر العتود الفريدة ق ٢٢ ب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٦١) .

ويوجد منه الجزء الثانى ، ويبتدىء بترجمة «ابراهيم بن أدهم» وينتهى بترجمة «نصر بن بشر» ، وهو ناقص الأخر ، تحتفظ به مكتبة أحمد الثالث ، تحت رقم : ٢٨٣٢ .

(٢٤) أشار حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٨) الى انه مختصر من « عقد الجواهر » ، وتابعه على ذلك بيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٢٨٠) .

الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (٢٥)

محتواه وتنظيمه :

احتوى هذا المؤلف على مقدمة قصيرة (٢٦) ، أشار مؤلفه فيها الى أنه جمعه بإشارة السلطان « الظاهر برقوق » ، تتبعها ترجمات سريعة ، متعجلة المحتوى ، كتبت بأسلوب عامى العبارة ، لايعنى من قريب أو بعيد بقواعد اللغة أو فقها ، وانما هو مثبت لما توارد على الفكر وردته الألسن (٢٧) ، مما جعله يغفل الكثير من تفصيلات الحوادث ، وما يجرى فى حياة المترجمين لديه ، فضلا عن اغفال اثبات بعض الحوليات ، واهمال التاريخ للممالك الاسلامية المستقلة فى المغرب والأندلس (شبه جزيرة ايبيريا) ، أو الكثير من الدول

-
- (٢٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوطات الكتاب السابق الاشارة اليها ، مع الاحالة الى صفحات « مخط . حكيم أوغلى » .
- (٢٦) راجع : ابن دقماق . الجواهر الثمين ق ١٢ .
- (٢٧) مثل قوله : « أخلع = خلع » ، و « غلق = أغلق » ، و «أرماه = رماه» ، و «أبيع = بيع» ، و «مسك = أمسك» ، بالإضافة الى الكثير من الأخطاء النحوية ، وهى سمة عامة فى الكتاب .

المستقلة فى المشرق الاسلامى ، من أمثلة الغزنوية والسلاجوقية
والسامانية والديلمية ٠٠ على الرغم من ادراك « ابن دقماق »
لتأثيرها فى الخلافة العباسية فى طورها الثانى ، ونصه على ذلك
فى ثنايا ترجمات الكثير من خلفاء بنى العباس - مكتفيا بإثبات
ترجمات الخلفاء الراشدين ، وخلفاء الدولة الأموية فالعباسية
فالمفاطمية ، فسلطين الأيوبيين والمماليك الى سلطنة « الظاهر برقوق »
الثانية ٠

لكنه مع ذلك يبقى مادة أساسية لدارسى التاريخ الاسلامى ،
لا غنية لهم عنها ، باعتباره الكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفات
« ابن دقماق » مكتملا ، مما يعد أنموذجا فريدا فى التعريف بمنهجه
فى الكتابة التاريخية ومفهومه لها ، فضلا عن اعطاء صورة سريعة ،
أو خطوط عريضة ، لحال الدولة الاسلامية فى أطوارها المختلفة ،
وعلى مدى ثمانية قرون من الزمان ، وإن قصر فى اكمال هذه
الصورة ٠

ثم ان القسم الأخير منه ، والذى رتبته على الحوليات المتعاقبة
الواردة فى ثنايا ترجمات سلاطين المماليك يعد مادة أساسية ، استقى
منها عمداء الكتابة التاريخية فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين ،
من أمثال « ابن الفرات » و « التقى القرينى » و « ابن قاضى
شبهة » و « ابن حجر العسقلانى » و « ابن اياس » ، على نحو
ماسوف ينبه اليه ٠

منهجه :

يمكن اجمال منهج « ابن دقماق » فى الجوهر الثمين فى النقاط
الآتية :

أولا : الترجمة لبعض الشخصيات ذات التأثير الفعال فى
جوانب الحياة المصاحبة للشخصيات المترجم لها ضمن ترجمات
الكتاب الرئيسية ، وفى اطار محتواها ٠

ومن أمثلة ذلك الترجمة « للحجاج بن يوسف الثقفى » ، فى أثناء الترجمة « للوليد بن عبد الملك » ، بل لقد أتت هذه الترجمة الفرعية أكثر طولا واستيعابا من الترجمة الرئيسة ، وكذا الترجمة « للموفق طلحة » ضمن الترجمة « للمعتمد العباسى » ، والترجمة للسُلطان « طغر ليك السلجوقى » ضمن الترجمة « للقائم العباسى » .
والترجمة « لنور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر » ، ضمن الترجمة « للناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى » .

ثانياً : ومع ذلك ، فان ترجمته « لابن المعتز » الخليفة العباسى ، قد أتت مندمجة فى ترجمة « المقتدر العباسى » ، وربما لكونه ملك يوماً واحداً ، مما يعد انقلاباً فاشلاً ، لم يحقق غايته ويرسخ بقدم صاحبه فى السلطة .

أما ترجمات الخلفاء والسلاطين ، فقد اعتنى فيها بالابانة عن العناصر الآتية :

(أ) اللقب والكنية والاسم ، كنعو قوله : « الهادى موسى » ، هو أبو محمد ، موسى بن المهدي محمد بن عبد الله المنصور .

(ب) المولد ، كنعو قوله فى ترجمة هارون الرشيد : « ٠٠٠ ومولده بالمرى ، لثلاث بقين من ذى الحجة ، سنة تسع وأربعين ومائة ، فى خلافة المنصور » .

(ج) تقدير عمر المترجم له حال توليه الخلافة أو الوفاة ، كنعو قوله مترجماً المقتدر : « ٠٠٠ اجتمع رأى أصحاب العقد والحل عليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثلاثة أيام » ، وقوله مترجماً محمد الأمين : « ٠٠٠ عاش سبعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر » .

وقد يقترن ذلك بتحسديد تاريخ ولايته ، كنعو قوله مترجماً محمد المعتز : « ٠٠٠ بويغ بالخلافة يوم السبت ، لست خلون من المحرم ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين » .

(د) مدة الخلافة أو السلطنة ، كنهو قوله مترجما المعتضد :
« ٠٠٠ وكانت خلافته عشر سنين ، وتسعة أشهر ، وثلاثة أيام ،
وقيل : تسع سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما » .

(هـ) أهم أعماله : من فتوحات ، أو رد مفسدة ، أو بناء
مدينة أو مسجد ٠٠٠ الخ ، كنهو قوله مترجما عمر بن الخطاب
رضي الله عنه : « ٠٠٠ فتوحاته : افتتح دمشق على يد أبي عبيدة بن
الجراح وخالد بن الوليد في سنة ثلاث عشرة ، وفتح الجابية ، وفتح
بيت المقدس في سنة ست عشرة ، وفتح القادسية من بلاد العجم
على يد سعد بن أبي وقاص ، وفتح سروج والرها ونصيبين والرقعة
والجزيرة وعين التمر على يد عياض بن غنم في سنة ست عشرة ،
وفتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان ، وفتح مدائن كسرى
في سنة تسع عشرة ، وفتح مصر والاسكندرية ودمياط وبرقة على
يد عمرو بن العاص ، وفتح نهاوند على يد النعمان بن مقرن في
سنة احدى وعشرين ، وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر ،
وفتح طرابلس الغرب - وهي أول مدن الغرب - على يد عمرو بن
العاص ، وفتح كور الأهواز واصطخر على يد أبي موسى الأشعري ،
وفتح همدان وأصبهان على يد عبد الله الخزاعي ، وفي أيامه دخل
معاوية - رضي الله عنه - أرض الروم حتى بلغ عمورية ، وفتح
خراسان وأعمالها في سنة ثلاث وعشرين ، وفتح فلسطين وعسقلان
وفي أيامه زالت دولة الفرس » .

وقوله مترجما عمر بن العزيز رضي الله عنه : « ٠٠٠ ومنع من
لعن الامام على بن أبي طالب آخر الخطبة ، وجعل مكانه : « ان
الله يأمر بالعدل والاحسان » (٩٠ : النحل) » .

وقوله مترجما عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ٠٠٠ وعمر
في أيامه البصرة والكوفة في سنة ست عشرة ، وعمرت الحيرة

بمصر بالجانب الغربى فى سنة احدى وعشرين ، وعمر مسجد النبى
- صلى الله عليه وسلم - ووسعه فى سنة تسع عشرة ، *

وقوله مترجما أبا جعفر المنصور : « ٥٥٥ » وفى أيامه شكك
الناس اليه ضيقة المسجد الحرام ، فكتب الى زياد بن عبد الله
الحارثى أمير مكة أن يشتري المنازل التى تلى المسجد الحرام
ويخربها حتى يزيد فيه ضعفه ، فامتنع الناس من البيع ، فذكر
المنصور ذلك للامام جعفر الصادق ، فقال : سلهم ، أهم نزلوا على
البيت أم هو نزل عليهم ؟ فكتب بذلك الى زياد ، فقال لهم ، فقالوا :
نحن نزلنا عليه ، فقال جعفر بن محمد : ان للبيت فناء ، فكتب
أبو جعفر الى زياد يهدم المنازل التى تليه ، فهدمت المنازل ، وأدخلت
عامة دار الندوة فيه ، حتى زاد ضعفه ، وكانت الزيادة مما يلى
دار الندوة وناحية باب بنى جمح ، ولم يكن مما يلى الصفا والوادي ،
وكان البيت فى جانب الحرم ، وكان ابتداء العمارة فى سنة ثمان
وثلاثين ومائة . *

وهو الذى عمر مسجد الخيف بمنى ، وصيره على ما هو عليه
من السعة ، وحج سنة أربعين ومائة لينظر ما زيد فى المسجد
الحرام ، *

وقوله مترجما المستنصر بالله العباسى : « ٥٥٥ » عمر ببغداد
المدرسة المستنصرية ، ووقفها على المذاهب الأربعة ، ولم يكن بنى
على وجه الأرض مثلها ، لأنها بالعراق مثل جامع بنى أمية بالشام ،
وأوقف عليها الكتب النفيسة ، *

وقوله مترجما الظاهر بالله اسماعيل : « ٥٥٥ » وهو الذى عمر
جامع الفكاھين بالشوايين ، *

(و) سجاياه ، وصفاته ، كنجو قوله مترجما المتوكل : « ٥٥٥ »
وكان أسمر رقيقا ، مليح العينين ، خفيف اللحية ، ليس بالطويل ،

أحيا في أيامه السنة وأمات البدعة ، ولكنه كان فيه انهماك على
الطهور والشراب - سامحه الله تعالى - وكان فيه كرم زائد » .

وقوله في ترجمة المنتصر : « ٠٠٠ كان مربوعا ، سميئا ،
أقنى الأنف مليحا ، مهيبا ، كامل العقل ، يحب الخير » .

(ز) الوفاة من حيث تأريخها ، وكيفيتها ، والعلّة فيها ،
وموضع الدفن - أحيانا - ومن أمثلة ذلك قوله مترجما المعتضد
« ٠٠٠ وكانت وفاته - رحمه الله - ليلة الثلاثاء ، لست بقين من شهر
ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين ببغداد ، وقيل : سنة تسع
وثمانين ٠٠ ودفن في دار محمد بن عبيد الله بن طاهر ، فقبره في
حجرة الرخام بها » .

وقوله مترجما محمد المنتصر : « ٠٠٠ وكان سبب موته أنه
أصابته علة الخوانيق ، وقيل : بل سم في كمثرى ، وقيل : أصابه
ورم في معدته ، وقيل : فصد بمبضع مسموم ، وقيل : بل وجد علة
في رأسه فقطر طبيبه ابن طيفور في أذنه دهنا فورم رأسه ومات » .

(ح) وزرأه وكتابه وقضاته ، كنحو قوله مترجما أبا بكر
الصديق رضي الله عنه : « ٠٠٠ كاتبه : عثمان بن عفان رضي الله
عنه ، قاضيه : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حاجبه : سديد
مولاه » .

(ط) بعض الطرائف أو الحكايات الغريبة المتعلقة بالمترجم له ،
كنحو قوله مترجما الحسن بن علي رضي الله عنه :

« ٠٠٠ ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان
ابن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبي
عتيق : ان دفعتها اليك ، أتقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال :
إذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ في مآثر قريش ، ثم أمسك

عن الحسن ، فلمنى على ذلك ، فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : الا تذكر أولية أبى محمد ، فان له ماليس لأحد ؟ قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أيمى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ، ودفعا اليه » .

وقوله مترجماً المهدى :

« . . . ومن أغرب الحكايات أن المهدى رأى رجلاً فى المنام يخبره بهدم قصره ، فمات بعد ذلك بعشر ليال » .

وقوله مترجماً جعفر المتوكل :

« . . . ومن العجب العجيب أنه قدم الى المتوكل سيفاً قاطعاً لا يكون مثله فى السيوف أبداً ، فطلبه منه سائر أهل مملكته ، فأبى ان يعطيه لأحد منهم ، وقال : هذا ما يصلح الا لساعد بأغر ، فأعطاه له دون غيره ، فقتل بأغر - المتوكل بذلك السيف » .

(ى) العناية بأثبات الأوليات والأخريات المتعلقة بالترجم له .
كنحو قوله مترجماً يزيد بن معاوية :

« . . . ويزيد هذا أول من أتخذ المغانى والندماء ، وجلس فى المحفة » .

وقوله فى ترجمة المهدى :

« . . . وهو أول من مشوا بين يديه بالسيوف المسللة والقسى والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالأكرة والصولجان فى الاسلام » .

وقوله فى ترجمة المقتدر بالله العباسى :

« . . . وهو أول من ولى من بنى العباس وهو غير بالغ » .

وقوله مترجماً أحمد الراضى بالله :

« ٠٠٠ والراضى آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة » .

(ك) لكنه مع ذلك يسلم ببعض الخرافات ، ومنها ما جاء في معرض حديثه عن هدية « دهمى » ملك الهند الى « المأمون العباسى » من قوله : « ٠٠٠ وكانت هديته ٠٠ وفرش من جلد حية تبتلع الفيل ، ونقش جلدها نقط سود كالدراهم فى أوساطها نقط بيض ، لايتخوف من جلس عليها مرض السمل » .

وقد ترد هذه العناصر بهذا الترتيب فى الترجمات ، وقد يختل ترتيبها ، وقد تحتوى الترجمة الواحدة على هذه العناصر مجتمعة ، وقد تحتوى على جملة منها ، وقد يطول الكلام فى العنصر الواحد ليطغى على سائر العناصر ، وقد تشغل الترجمة الواحدة أكثر من ورقتين ، بينما لا تتعدى ترجمة أخرى السطور القلائل .

وأما الصوليات ، فإن « ابن دقماق » لم يقتصر فيها على الحوادث السياسية ، وإنما تناول معها الكثير من الأوضاع الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠٠ حيث أشار الى العديد من الاستقرارات الوظيفية ، وما يطرأ عليها من تغاير ، وترق أو عزل الأمراء والجند .

كما أورد الكثير مما تعلق بالناحية السياسية ، سواء فيما يخص علاقات الدولة المملوكية بالمغول والصليبيين (الفرنج) والنوبة وأولاد الكنز واليمن والعراق والمغرب العربى والتكرور بالاغارة الحروب ، أو بالسفارات وتبادل الهدايا والزيارات أو فيما يتعلق بالأوضاع السياسية الداخلية ، وما يطرأ عليها من هزات تودى بمياة بعض السلاطين ، مشيراً الى اطاعة الولاة للسلاطين أو تطاولهم عليهم ، وما يتبع ذلك - عادة - من تصدى السلاطين لمثل هذه الحالات ، وانزال الكثير من أنواع العقوبات بهم ، ومصادرة

بعضهم ، وما يتبع ذلك بالضرورة من التغيرات فى كثير من المناصب والوظائف الادارية . وكذا ما يقع فى دولهم من اغارات العربان ، وتصديدهم لها ، ما يكون فى عهودهم من فتوحات .

كما اهتم بابرار أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء ، سواء ببناء المدارس أو الجوامع والمساجد أو البيمارستانات أو الخوانق أو القصور أو الجسور والقناطر أو الأحواش والبيادين .

كما لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين وذويهم ، ذاكرا لمواكبهم ، وما يقع لهم أو لأولادهم من الزيجات ، أو انجاب ذكuran الأولاد ، وعمل المهمات لظهورهم (ختانهم) ، ولعبيهم ، وما الى ذلك .

وأهتم - كذلك - بذكر بعض المراسم الصادرة عن الادارة الملوكية ، فيما يتعلق بإبطال بعض المكوس والضمانات(٢٨) ، أو الحكم والقضاء بين الناس(٢٩) ، أو أبطال الضرب بالمقارع فى مصر والشام ، فضلا عن أحكام أهل الذمة .

كما اهتم بتسجيل الأحوال الاقتصادية والصحية ، مشيراً الى سلك (ضرب) بعض العملات ، وما يعترى فيضان النيل من توقف

(٢٨) المصدر السابق ق ٦٢ ب (فيما تعلق بإبطال ضمان الموز وجهاته) ، ق ٦٣ أ (فيما تعلق بإبطال ضمان الحشيش) ، ق ٨٠ (فيما تعلق بإبطال حقوق الغلة ، والعرضات ، والمساحة بنصف السمسرة ، ورسوم الولاية ، والمقدمين ، وكتاب الولاية ، وحقوق السجون وضماناتها وقرود الخيل ، وعداد النخل ، واتبان المعاصر ، ومقرر الملاحى ، والمناشر ، وما يطلب به الحي عن الميت ، والحاضر عن الغائب ، والمحدث على بركة الحيش ، والبرطيل من الولاية والنظار وأرباب الوظائف) ، ق ١٠٠ أ (فيما تعلق بإبطال ضمان الغنائى) .

(٢٩) نفسه ق ٩٤ ب (فيما تعلق بوكلاء باب الشرع الشريف) ، ق ١٠٩ أ (فيما تعلق بحكم السلطان الظاهر برفوق بنفسه بين الناس) .

أو وفاء ، وما يتبع ذلك من رخص أو تمايز في أسعار بعض المأكولات ، كالقمح والشعير والبقول والخبز ، وما يحدث في بعض الأزمات الاقتصادية (أو المجاعات) من تكافل اجتماعي (٣٠) ، وما ينزل بالبلاد من الطواعين والأوبئة .

كما سجل بعض الظواهر الطبيعية (٣١) ونبه على بعض المفاست الاجتماعية ، كظهور « خناقة » ، أو احتيال بعضهم للأيهام بوجود الجان ، أو الاختلاس والسرقات .

كما اهتم بأمر الحج ، وما يكون من اصلاح لطرقه ومناسكه . ونبه من خلال هذه الحوليات الى وفيات كثير من الملوك والسلاطين والأمراء والخلفاء والعلماء في مصر وفي خارجها . وهكذا ، فان « ابن دقماق » لم يرد بمادة الكتاب الترجمة البحتة لسلاطين المماليك ، اقتصارا على العناصر المدروسة في ترجماتهم (٣٢) بعيدا عن ما يحوطهم من حوادث - على اختلاف أنواعها - هادفا من وراء ذلك الى قياس مراكز دولهم ، لما فيه من أهمية في تقويمهم .

(٣٠) نفسه ق ٦٢ ، حيث أشار الى ذلك في حولية سنتين وستمئة قائلا : « ٠٠٠ وفيها ، غلت الأسعار ، وعمدت الغلة ، فجمع السلطان الحرافيش وعدهم وقسمهم ، فأخذ لنفسه خمسمئة ، ولولده الملك السعيد خمسمئة ، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمئة ، وفرق البقية على الأمراء ، ورسم أن يعطى لكل حرفوش في كل يوم رطلين خبزا ، فما رنى أحد يسأل بالديار المصرية من الفقراء » .

(٣١) نفسه ق ٦٣ ب ، ٨٨ ب ، ٨٩ أ .

(٣٢) المصدر السابق ق ٧٧ ، حيث أشار الى بعض الزلازل ، قائلا : « ٠٠٠ وفيها (سنة ٧٠٢ هـ) زلزلت الأرض الزلزلة العظمى ، وتساقطت البيوت ، وتشقق الجبال ، وتشعثت الأسوار ، وخرجت النساء حاسرات الى الطرقات ، وكان تأثيرها بالاسكندرية أشد وأعظم » .

(٣٢) وان أراد ذلك في ترجمات الخلفاء والسلاطين الأيوبيين السابقين عليهم ، ربما لانتمائه الى هذه الدولة ، فضلا عن بقائها أو معاصرتها .

مصادر مادة الكتاب

أولاً : أنواع المصادر :

(١) المشافهة : ويمثلها قوله مترجماً « الظاهر برقوق » :

« ٠٠٠ أخيرنى بذلك قاضى القضاة ، عماد الدين العامرى الأزرقى ، ونكر لى انه ٠٠ »

(ت) المؤلفات السابقة ، وتتمثل فى :

- ١ - صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) .
- ٢ - الطبقات لمسلم القشيرى (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) .
- ٣ - تاريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .
- ٤ - الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) .
- ٥ - التاريخ لابن أبى مريم (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) .
- ٦ - التاريخ لثابت بن قره (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) .
- ٧ - الجليس الصالح الكافى والأندلس الناصح الشافى للمعافى بن زكريا النهروانى (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) .

- ٨ - سيرة أحمد بن طولون للبلوى .
- ٩ - الاستيعاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) .
- ١٠ - مرآة الزمان لسبسط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) .
- ١١ - وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- ١٢ - نيل مرآة الزمان لليونيني (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) .
- ١٣ - نهاية الأرب للنويرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) .
- ١٤ - تاريخ الاسلام ودول الاسلام للذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- ١٥ - قوات الوفيات لابن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤/١٣٦٣ م) .
- ١٦ - الامام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في واقعة الاسكندرية للنويرى السكندرى (كان حيا سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م) .
- ١٧ - درة الأسلاك في دولة الأتراك للمحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .

ثانياً: الإسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « ابن دقماق » في الإسناد الى المصادر على النحو التالي :

(أ) الإسناد الى المصدر ، مصرحاً بعنوان واسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ ذكر مسلم في الطبقات من حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين - رضی الله عنها - قالت : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ حكى القاضى أبو الفرج المعافى فى كتابه الجليس
والأنيس ، قال : ٠٠٠ »

(ب) الاستناد الى المصدر ، مضمونها باسم المؤلف دون عنوان الكتاب :

ويمثله قوله :

«قال أبو عمر بن عبد البر : ٠٠٠»

وقوله :

« ٠٠٠ وحكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبي - فيما رآه
مكتوبيا بخط الامام العالم العلامة علم الدين البرزالي - قال : ٠٠٠ ،
(ج) الاستناد الى المصدر البعيد ، مع اغفال ذكر المصدر القريب
الماخوذ اديه عنه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ وقال قتادة : كان عمر - رضى الله عنه - يلبس جبة
صوف مرقوعة بأدم ، ويطوف فى السوق ، ومعه الدرة يؤدب بها
الناس » .

ويقابله فى « دول الاسلام » للذهبي قوله :

« ٠٠٠ وقال قتادة : كان عمر يلبس جبة صوف مرقوعة بأدم ،
ويطوف فى السوق ، معه الدرة يؤدب الناس بها » .

وقوله مترجما الحسن بن على رضى الله عنه :

« ٠٠٠ ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن
مروان بن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال
له ابن أبى عتيق : ان دفعتها اليك تقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال :

نعم ، قال : اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ، ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : الا تذكر أولية أبى محمد ، فان له ماليس لأحد ؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ودفعها اليه .

ويقابله لدى « ابن خلكان » قوله :

« . . . ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : ان مروان ابن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن عتيق : ان دفعتها اليك اتقضى لى ثلاثين حاجة ؟! قال : نعم ، قال : فاذا اجتمع الناس عندك العشية ، فانى آخذ فى مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض فى أولية قريش ، قال له مروان : الا تذكر أولية أبى محمد ، وله فى هذا ماليس لأحد ؟ قال : انمسا كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد ، فلما خرج ليركب تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها اليه . »

(د) اغفسال الاستناد الى المصدر :

كما وجد أن « ابن دقماق » قد نقل الكثير من مادة كتابه عن «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و « دول الاسلام» للذهبي ، غير مصرح فيها بالنقل عنهما ، ومن ذلك قوله :

« . . . وكان نور الدين الشهيد ملكا عادلا ، كثير الصدقات ، زاهدا ، عابدا ، مستمسكا بالمشريعة ، مائلا الى اهل الخير ،

مجاهدا فى سبيل الله - تعالى - بنى المدارس بأكثر بلاد الاسلام الكبار : دمشق وحلب وحماه وحمص وبلعبك ومنبج والرحبة ، وبنى بالموصل الجامع النورى ، وبحماه الجامع الذى على نهر العاص ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، والمارستان بدمشق ودار الحديث بدمشق » .

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

« ٠٠ وكان ملكا عادلا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، مستمسكا بالمشرية ، مائلا الى أهل الخير ، مجاهدا فى سبيل الله تعالى ، كثير الصدقات ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار ، مثل : دمشق وحلب وحماه وحمص وبلعبك ومنبج والرحبة ٠٠٠ وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ، ورتب له ما يكفيه ، وبحماه الجامع الذى على نهر العاصى ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، وبمارستان دمشق ، ودار الحديث بها - أيضا - وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف » .

وقوله :

« وكان (القادر بالله) أبيض ، كبير اللحية ، يخضبها ، وكان كثير التهجد بالليل ، كثير الصدقات » .
ويقابله لدى « الذهبى » قوله :

« ٠٠٠ وكان أبيض ، كبير اللحية ، يفضبها ، وكان دائم التهجد ، كثير الصدقات » .

ثالثا : طرق النقل :

راوح « ابن دقماق » فى « السجهر الثمين » بين النقل الحرفى عن مصادره - قدر الامكان - والنقل عنها متصرفا فى عباراتها ، ويمثل الاتجاه الأول قوله مترجما « الناصر ، صلاح الدين الأيوبى »

« قال الشيخ شمس الدين ابن خلكان : سمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصيح » .

وهو قول مطابق وقول مصدره :

« . . . وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصيح ، رحمه الله تعالى » .
بينما يمثل الاتجاه الثانى قوله فى « الحجاج بن يوسف الثثنى » :

« حكى القاضى أبو الفرغ المعافى فى كتابه الجليس والأنيس قال :

لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة الى مكة - شرفها الله تعالى - خطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمدا ابنى ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الأنصار ، فانه أوصى : أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، ألا وانى أوصيت عليكم : أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وانكم قائلون بعدى كلمة لا يمنعكم من اظهارها الا الخوف : لا أحسن الله الصحابة ، ألا وانى معجل لكم الجواب : وانتم ، لا أحسن الله لكم الخلافة » .

ويقابله لدى « النهروانى » قوله :

« حدثنا الحسين بن أحمد الكلبى » قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثنى أبى ، قال : أراد الحجاج الخروج من البصرة الى مكة، فخطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد

استخلفت عليكم محمدا ابني ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأنصار ، فإنه أوصى في الأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، إلا واني قد أوصيته فيكم ألا يقبل من محسنكم ولايتجاوز عن مسيئكم ، إلا وانكم قائلون بعدى كلمة ليس يمنعكم من اظهارها الا الخوف ، الا وانكم قائلون : لا أحسن الله له الصحابة ، واني معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة » .

وبالمقابلة بين النصين نجد أن « ابن دقماق قد تصرف في منقوله عن مصدره ، في بعض مواضع ، يمكن اجتمالها على النحو التالي :

ابن دقماق	النهرواني
لما أراد	أراد
الحجاج بن يوسف	الحجاج
مكة شرفها الله تعالى	مكة
خطب	فخطب
فإنه أوصى	فإنه أوصى في الأنصار
أوصيت عليكم أن لا يقبل	قد أوصيت فيكم ألا يقبل
لا يمنعكم	ليس يمنعكم
×	ألا وانكم قائلون
لا أحسن الله الصحابة	لا أحسن الله له الصحابة
إلا واني معجل	واني معجل
وانتم لا أحسن الله لكم الخلافة	لا أحسن الله عليكم الخلافة

ومن أمثلة ذلك - أيضا - قوله فى « الفضل المطيع » :

« ٠٠٠ ولم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمى ، فرتب له فى كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت درجة الخلافة جدا » .

ويقابله قول مصدره :

« ٠٠٠ فكان من تحت يد معز الدولة لا له معه حل ولا ربط ، وقرر له فى الشهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت رتبة الخلافة جدا » .

وقوله فى : الراضى بالله » :

« ٠٠٠ وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، مرض أياما ثم تقيأ دما ومات ، وكان أكثر آفاته الجماع »

ويقابله قول مصدره :

« ٠٠٠ وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، كانت خلافته ست سنين وأشهرا ، وله شعر جيد مدون ، مرض أياما ، ثم قاء دما كثيرا ومات ، وكان أكبر آفاته كثرة الجماع » .

النقد التاريخي

« ابن دقماق » - شأنه شأن كثير من المؤرخين التقليديين - لا يتوغل في الحوادث لمعرفة الأسباب الدافعة اليها ، حتى يمكنه تعليها أو اصدار حكم صائب على ذويها ، ولذا فانه وقد أدرك السبب في ضعف الخلافة العباسية في طورها الثاني ، وهو تغلب أمراء الجند على مقاليد الأمور في بغداد وأطرافها ، وحجبهم للخلفاء والتحجير عليهم ، والاستئثار بالسلطة من دونهم الى الحد الذي جعل الفضل المطيع « لم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمي » ، وحكم المستظهر العباسي « لايتعدى باب داره » ، يحمل تلك الشخصيات الضعيفة التي كانت في أيدي من أقاموها من السلاطين والأمراء كالدمى في أيدي اللاعبين ، مسئولية اضعاف دست الخلافة ، وبالتالي يعزو خلعها أو ثمل أعينها وتعذيبها ، أو قتلها الى مانسب اليها من أعمال ، كنعو قوله في ترجمة المستعين العباسي : « ٠٠٠ فلما أقام ببغداد بايع الأتراك المعتز بالله بسر من رأى ، وخلعوا المستعين ، لأن أموره كانت قد اضطربت ، لأنه كان يولى الرجل في وظيفة ثم يعزله عنها . ثم يرده اليها ، ثم يعزله عنها . وقال الحكماء : ما على الدول

شر من تقلب الولاة ، ولا اختلفت الآراء على الدولة الا تعجل هلاكها ،
ولا قدم السفلة وترك أعيان الناس الا احتقرت تلك الدولة » .

ولكن ، ماذا يكون تأثير هذا مع مثل هؤلاء المتغلبين ، بل
كيف يكون منه ما نسب اليه ، دون علم وتخطيط المحجرين عليه
السالميين لسلطاناه ، الى الحد الذى جعله يقول عن بعضهم فى
الترجمة للقادر بالله : « ٠٠٠ وكان الديلم قد عظم أمرهم ، وزاد
شهرهم ، حتى خشى على الخلافة منهم » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانه متعاطف مع الخلافة
العباسية - أيما تعاطف - حيث تطالعنا بين ثنايا كتابه عبارات ،
منها قوله فى معرض الحديث عن خلافة هارون الرشيد :

« ٠٠٠ وفى أيامه كملت الخلافة بكماله وعدله ، وتواضعه ،
ودينه ، وزيارة الصالحين فى ديارهم » .
وقوله فى الترجمة للحسن المستضىء :

« ٠٠٠ فاستنصاعت الدنيا ببيعته ، وهاجروا - الناس - الى
بغداد لعدله وحسن سيرته » .

وقوله فى خليفة وقته ، « المتوكل على الله ، أبى عبد محمد » :

« ٠٠٠ واستقر عالياً مناره ، ياديا فخاره ، شائعة بالخير
أخباره ، واستمر يهتدى من أفق التوفيق بأنور مقياس ، ويقتفى
آثار من سلف من آياته خلفاء بنى العباس ، اللهم أصلحه بما
أصلحت به الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين ، الذين قضوا بالحق
وبه كانوا يعدلون يارب العالمين » .

وتأله لثمل أعين بعض خلفاء بنى العباس ، كما يستشف من
قوله :

« ٠٠٠ وأجتمع في بغداد ثلاثة خلفاء عميان ، فلا حول ولا قوة الا بالله » ٠٠

والشئ عينه (التعاطف والاجلال) يفعله مع سلطان عصره
« الظاهر برقوق » ، وقد ولى له بعض الوظائف في ظل الادارة
الملوكية ، كما كان انشاء الكتاب باشعارته ، حيث يختتم كتابه
بقوله فيه :

« ٠٠٠ وفيها (سنة ٧٩٧ هـ) ، في يوم الثلاثاء ، ثالث عشر
صفر حضر الركاب الشريف السلطاني الملكي الظاهري ، وفرشت له
الشقق من قبة النصر الى القلعة ، وطلع الى قلعته مؤيدا منصورا ،
واستقر على سرير ملكه ، وقال الشاعر :

قلو استطاعت مصر أن تأتي الى

أبوابه بالشام لم تتأخر

لكن دعاه ملكها يشقاه

شوق الرياض الى السحاب الممطر

فأجابه من مجده عزم له

لو لف سسيل السفح لم يتحدر

(الكامل)

ولو استطاعت الممالك تسعي الى حيث حل ، ولو قدرت على
اتحاف خزائنه بما فيها أتحت بكل ما أودعت ، فالأقاليم والحصون
في انتظار عساكره ، وأجناد الممالك بين نواهيه وأوامره ، فهو خلد
الله ملكه المنتظر لا المنتظر ، والملك على الحقيقة ، وليس العيان

كالخير ، وهو - أذل الله أعداء دولته وأبادهم بقره وسطوته - كما
قال الشاعر :

يامن قضى الله أن الأرض يملكها

عجل ففي كل قطر أنت منتظر

(البسيط)

وقال الشاعر :

خاقت كما أراذك المعالي

فأنت لمن رجاك ما تريد

عجبت أن سيفك ليس يروى

وفي جبل السور يد له ورود

وأعجب منه رمحك كيف يسقى

فيصحو وهو نشوان يميم

(الوافر)

فإن الله - تعالى - يديم أيام مولانا السلطان الملك الظاهر في
سعادة مستقرة ، وسيادة على ملوك الزمان مستمرة ، فالسعيد
يسأله من خوف سطوته ، والملوك تخدمه لشمول نعمته ، والكتب
تخلد بمحاسن سيرته ، والألسن والأقلام تتوافق على فضائل دولته ،
جعلها الله - تعالى - للعدل مواسم ، وللمجرمين مياسم ، بمنه وكرمه -

ومع ذلك فإن لابن دقماق فلسفة خاصة في إثبات ترجمات
كتابه ، حيث وجد وقد جرد بعض الشخصيات المترجم لها في الكتاب

من صفة « السلطنة » ، أو أسقطها من التسلسل الترتيبي المتبع فى كتابه ، ومن ذلك ترجمته لشجر الدر ضمن تراجم سلاطين « الدولة الأيوبية » ، معنونا لذلك بقوله : « نذكر سلطنة شجر الدر ، أم خليل » ، ومع ذلك فانه قد أسقطها من حيث التسلسل الترتيبي لسلاطين هذه الدولة ، فقد سبقتها ترجمة « المعظم ، تورانشاه » معنونة بقوله : « السلطان السابغ من بنى أيوب » ، وتبعها ترجمة « الأشرف ، مظفر الدين ، موسى » معنونة بقوله : « السلطان الثامن من بنى أيوب بمصر » ، لتكون فترة وسطا بين هذا وذلك ، لتكون سلطنتها فى مصر حدثا جرى فى حينه ، وعدم عدها ضمن سلاطين الدولة اقرارا بعدم شرعية ذلك ، حسبما ورد فى رسالة الخليفة العباسى اليهم . ثم ان « شجر الدر » ليست من نسل الأيوبيين لتعد ضمن سلاطينهم ، وليست جديرة بالسلطنة لكونها امرأة - على الرغم مما عد لها من صفات - لتكون من سلاطين الدولة المملوكية ، ولذا ترجم « المعز ، أيك التركمانى » معنونا بقوله : « السلطان الأول من ملوك الترك » .

وهذه الحاسنة التاريخية الواعية لم يلتفت اليها كثير من المؤرخين المعاصرين - على الرغم من اطلاعهم على كتابه ، ونقلهم عنه - فعدها البعض آخر سلاطين « الدولة الأيوبية » ، بينما جعلها البعض الآخر السلطان الأول من سلاطين « المماليك » .

والشئ عينه - مع فارق فى التقدير - يمكن أن ينسحب على اسقاطه ترجمة « المنصور ، محمد ، ابن العزيز ، عثمان » من عداد السلاطين المترجم لهم على التتابع ، ضمن سلاطين بنى أيوب فى مصر ، مما دفع ناسخى مخط . دار الكتب المصرية ، وأحمد الثالث (ذات الرقم : ٢٩٠٣) الى اثبات ترجمته ضمن ترجماتهم ، والعمد

الى تعديل الترتيب ، فأتت فى متن الأولى وفى حاشية الثانية ، ليخالف « ابن دقماق » بذلك سائر من أرخ لهذه الدولة من السابقين والمعاصرين . وهذه المخالفة ليست عن غير وعى بما يدون ، ولكنها مخالفة مقصودة ، توجهها فلسفة تاريخية لديه ، جعلته يعتبر فترة حكمه - القصيرة - فترة وسطا بين سلطنتين قويتين ، هما « العزيز عثمان » و « العادل أبو بكر » ، مما يجعله - من وجهة نظره - غير جدير بالاستحواذ على لقب سلطان ، وعده من سلاطين هذه الدولة المؤرخ لها .

بين المخطوط والمطبوع

ما كاد الدارس يفرغ من اعداد هذا الجزء من البحث ، حتى طولع بنشرة للجوهر الثمين ، صادرة عن « جامعة أم القرى » (٣٣) . ونظرا لانسابها الى علمين لهما مكانة مرموقة في مجال الكتابة التاريخية - دراسة وتحقيقا - فلعله يكون مفيدا دراسة هذه النشرة تقويما لها .

أولا : عنوان الكتاب :

أتى عنوان الكتاب في هذه النشرة على النحو التالي :
« الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين » ، دون دراسة أو تحقيق (٣٤) .

(٣٣) راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين . تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور . ومراجعة د . أحمد السيد دراج . جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، بدون تاريخ .

(٣٤) اذ لم يقابل المحقق بين النسخ الخطية للمكتاب - في هذا الموضوع - كما لم يعمل لاقتصاره في اثبات العنوان على هذه النسخة دون سواها .

وهذا العنوان وان اتفق مع محتوى الكتاب ، لا يتخذ أصلا
يعول عليه فى التحقيق ، لاعتبارين هما :

أولا : انفراد نسخة « أحمد الثالث » ، ذات الرقم
« ٢/٢٩٨٤ » بإيراد هذا العنوان على هذه الكيفية ، بينما خالفها
سائر النسخ فيه ، موردة له على النحو التالى :

• « الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » .

ولما كانت هذه النسخة كثيرة الابدال والتعديل فى جوانب
النص - كما اتضح لى عند المقابلة بين النسخ الخطية للكتاب -
فان احتمال تعديلها للعنوان يظل قائما .

ثانيا : أن خطبة الكتاب فى نسخ : « حكيم أوغلى » و « آيا
صوفيا » و « التيمورية » و « أحمد الثالث ، ذات الرقم : ٢٩٠٣ » ،
قد ورد فيها العنوان على النحو التالى :

• « الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » .

مما لا يعد اهمالا فى تحرير عنوان الكتاب قد أغفلته تلك النسخ ،
والا لاستدرك فى المتن .

ثانيا : منهج التحقيق :

اعتمد المحقق فى اخراج هذه النشرة على التلفيق بين سائر
النسخ المخطوطة ، وقد كان الأولى به اتخاذ مخطوطة « حكيم
أوغلى » أصلا للتحقيق مع مقارنتها بسائر النسخ ، لنقلها عن خط
المؤلف ، ولكونها أصلح النسخ وأضبطها ، ولذا أثقل النص بالكثير
مما أتى محرفا ممسوخا فى مخطوطتى « أحمد الثالث ، ذات الرقم :
٢/٢٩٨٤ » و « آيا صوفيا » .

ثالثا : لم تراجع النسخة المحققة على الأصول مراجعة جيدة ،
وكذا لم تراجع تجارب الطباعة على الأصول ، ولذا أتى النص
كثير الاستقطاعات والتحريف .

أما الإسقاطات ، فيمكن حصرها على النحو التالي(٣٥) :

« ٠٠٠ وروينا فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى ، رضى
الله عنه (قال) : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فقال ٠٠٠ » (٣٦)

« ٠٠٠ بويح فى اليوم الذى مات (فيه) رسول الله ٠٠ » (٣٧)

« ٠٠٠ فقرع (عليها) الباب ، ففتحت له ٠٠٠ » (٣٨)

« ٠٠٠ والدخان يطلع من (بين) شعر لحيته ، حتى استوت
عصيدة ، فجعلها (فى) قصعة ٠٠٠ » (٣٩) .

« ٠٠٠ وروى أن عليا قسم ما فى بيت (المال بين) المسلمين ،
ثم أمر به فكنس ٠٠٠ » (٤٠) .

« ذكر الشيخ شمس الدين ابن خلكان أن امرأته جعدة بنت
الأشعث سمته « (فمكث شهرين) ، وأنه ليرفع من تحته فى اليوم
كذا وكذا طست من دم » (٤١) .

(٣٥) سوف يستكمل الساقط بوضعه بين قوسين .

(٣٦) ابن دقماق . الجوهر الثمين ص ٢٨ .

(٣٧) نفسه ص ٢٩ .

(٣٨) نفسه ص ٤٠ .

(٣٩) نفسه ص ٤١ .

(٤٠) نفسه ص ٥٢ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٥ .

« ٠٠٠ قال معاوية رضى الله عنه : (ما زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : يا معاوية ، اذا ملكت فأحسن » (٤٢) .

« ٠٠ وأقام خليفة تسع عشرة سنة وأشهر ، (ولما مات قام بالأمر بعده ولده يزيد » (٤٣) .

« ٠٠٠ قيل : ان زوجته سمته (فمات) » (٤٤) .

« ٠٠٠ (لا) وانكم قائلون بعدى كلمة ٠٠٠ » (٤٥) .

« ٠٠٠ فذكر له ذلك (فضحك) ، وقال : والله ان أحدهما ابن ياقلانى ، والآخر ابن حجام » (٤٦) .

« ٠٠٠ ودفن بها ، وعفى (قبره) ، وأجرى عليه الماء » (٤٧)

« ٠٠٠ وكان الوليد (من) أجمل الناس ٠٠٠ » (٤٨) .

« ٠٠٠ فجهز يزيد عسكريا اليه (فحاربوه) » (٤٩) .

« ٠٠٠ بويع بالخلافة بعد أخيه (يزيد) فى ٠٠ » (٥٠) .

« ٠٠٠ هو أبو العباس ، عبد الله بن محمد بن (على بن)

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى » (٥١) .

٠ (٤٢) نفسه ص ٥٧ .

٠ (٤٣) نفسه ص ٥٩ .

٠ (٤٤) نفسه ص ٦٣ .

٠ (٤٥) نفسه ص ٦٧ .

٠ (٤٦) نفسه ص ٦٨ .

٠ (٤٧) نفسه ص ٦٩ .

٠ (٤٨) نفسه ص ٧٨ .

٠ (٤٩) نفسه ص ٨٠ .

٠ (٥٠) نفسه ص ٨٣ .

٠ (٥١) نفسه ص ٨٨ .

« (وكانت بيعته بالكوفة) ، وصعد المنبر ، وخطب قائما ٠٠٠ » (٥٢) .

« وكان أبو العباس السفاح أبيض ، مليحاً ، (سميماً) ، حسن اللحية » (٥٣) .

• « ٠٠٠ فكتب (بذلك) الى زياد ٠٠٠ » (٥٤) .

• « ٠٠٠ الى أن وصل (الى) مكة » (٥٥) .

• « ٠٠٠ وزرأوه : (يحيى بن) خالد ٠٠٠ » (٥٦) .

« ٠٠٠ وهو أول خليفة أبواه (هاشميين) من بني العباس » (٥٧) .

« ٠٠٠ كان اماماً عالماً ، محدثاً ، (نصويياً) ، لغوياً ، أدبياً ٠٠٠ » (٥٨) .

« ٠٠٠ وأسأله أن يصلى على محمد (عبده) ورسوله ، وعلى أهل بيته » (٥٩) .

• « ٠٠٠ ولولا أن السنة (لنا) جارية ٠٠٠ » (٦٠) .

• (٥٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

• (٥٣) نفسه ص ٩٠ .

• (٥٤) نفسه ص ٩٢ .

• (٥٥) نفسه ص ١٠٢ .

• (٥٦) نفسه ص ١٠٣ .

• (٥٧) نفسه ص ١٠٤ .

• (٥٨) نفسه ص ١٠٦ .

• (٥٩) نفسه ص ١٠٨ .

• (٦٠) نفسه ص ١٠٩ .

- « ٠٠٠ ومنعوه من الماء (حتى) عاين التلف ٠٠٠ » (٦١) .
- « ٠٠٠ فلما قتله الأتراك ، تضاربوا على السيف ، (ظنوا أن فيه ذخائر ، فلما رأوا ما فيه ندموا على قتله) « (٦٢) .
- « ٠٠٠ ابن الأمير الموفق (بالله) طلحة ٠٠ » (٦٣) .
- « ٠٠٠ وقيل (يوم) الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه ٠٠٠ » (٦٤) .
- « ٠٠٠ فنذرت لله - تعالى - أن ولاني الله - عز وجل - (الخلافة) لأقتلنه » (٦٥) .
- « ٠٠٠ وإنما اشتهر بجعفر (تشبهه بجعفر المتوكل » (٦٦) .
- « ٠٠٠ ثم فى سنة (ست) عشرة وثلاثمائة ٠٠٠ » (٦٧) .
- « ٠٠٠ يصرف فى كلفة الحاج و (الى) أهل الحرمين فى كل سنة ٠٠٠ » (٦٨) .
- « هو أبو منصور ، محمد بن المعتضد أحمد بن (الأمير) الموفق طلحة بن جعفر المتوكل » (٦٩) .

-
- ٠ (٦١) نفسه ص ١٢٤
- ٠ (٦٢) نفسه ص ١٢٧
- ٠ (٦٣) نفسه ص ١٣٠
- ٠ (٦٤) المصدر السابق
- ٠ (٦٥) نفسه ص ١٣٢
- ٠ (٦٦) نفسه ص ١٣٥
- ٠ (٦٧) نفسه ص ١٣٧
- ٠ (٦٨) نفسه ص ١٤٠
- ٠ (٦٩) نفسه ص ١٤١

« (ولم يغدر بأحد قط) ، وكان وفى العهد ، حسن الخلق والخلق » (٧٠) .

« ٠٠٠ و (كان) سبب ذلك أن معز الدولة كان رافضيا » (٧١)

« ٠٠٠ وحمل الى بغداد ، (فدفن) بتربة ٠٠٠ » (٧٢) .

« خرج فى غزوته ، (يوم السبت) ، ثانى عشر جمادى الأولى ٠٠٠ » (٧٣) .

« ٠٠٠ كما سياتى (فى) ترجمته ان شاء الله تعالى » (٧٤) .

« ٠٠٠ وعنفه على سوء (ما) فعله مع أستاذة ٠٠٠ » (٧٥) .

« ٠٠٠ فلقى عليها الأمير على بن حديثة - من آل فضل - فى أربعمائة فارس من العرب (فرحلوا) فى خدمته » (٧٦) .

« ٠٠٠ فلما (أصبح) جاء قرابغا يمن معه من التتار » (٧٧)

« ٠٠٠ فلما جاءت الأخبار (بوفاته) عزل ابراهيم ٠ » (٧٨)

« ٠٠٠ (الامام) المعتضد بالله أبو بكر » (٧٩) .

(٧٠) نفسه ص ١٤٥ .

(٧١) نفسه ص ١٤٧ .

(٧٢) نفسه ص ١٥٠ .

(٧٣) نفسه ص ١٥٢ .

(٧٤) نفسه ص ١٦٥ .

(٧٥) نفسه ص ١٧٩ .

(٧٦) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٧٧) نفسه .

(٧٨) نفسه ص ١٨٩ .

(٧٩) نفسه ص ١٩١ .

- « ٠٠٠ وقيل : ان هذا (هو) الذى يدعو أبو عبد الله الشيعى له ٠٠٠ » « (٨٠) .
- « ٠٠٠ وبنى مدينة (و) سماها المنصورية واستوطنها » « (٨١) .
- « ٠٠٠ هو الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور (ابن) العزيز ٠٠٠ » « (٨٢) .
- « ٠٠ ومات (يوم) السبت ، لأربع خلون من جمادى الآخرة ٠٠٠ » « (٨٣) .
- « ٠٠٠ ومات العاضد (بالقصر) يوم عاشوراء » « (٨٤) .
- « ٠٠٠ وقلعة صافيتا (وقلعة هونين) وقلعة بانياس ٠٠ » « (٨٥) .
- « ٠٠٠ سمع الحديث بالاسكندرية (ومصر) » « (٨٦) .
- « ٠٠٠ فى (سنة) ست وستمائة » « (٨٧) .
- « ٠٠٠ كان رحمة الله (- تعالى -) ذا رأى سديد ٠٠ » « (٨٨) .
- « ٠٠٠ وكان تورانشاه (مقيما) بقلعة حصن كيفا » « (٨٩) .
- « ٠٠٠ ومات (و) فى حبسه ٠٠ » « (٩٠) .

٠ (٨٠) نفسه ص ١٩٥

٠ (٨١) نفسه ص ٢٠٠

٠ (٨٢) نفسه ص ٢٠٤

٠ (٨٣) نفسه ص ٢١٢

٠ (٨٤) نفسه ص ٢٢٠

٠ (٨٥) نفسه ص ٢٢٢

٠ (٨٦) نفسه ص ٢٢٠

٠ (٨٧) نفسه ص ٢٢٢

٠ (٨٨) نفسه

٠ (٨٩) المصدر السابق ص ٢٤٦

٠ (٩٠) نفسه ص ٢٤٧

- « السلطان السابع من (بنى) أيوب » (٩١) .
- « ٠٠٠ فاعتقل بدار ابن لقمان (بالمنصورة) ٠٠ » (٩٢) .
- « ٠٠٠ ويقرب غلمانة الذين حضروا (معه) من حسن
كيفاً » (٩٣) .
- « ٠٠٠ وهو الذى يقال (فيه) مخاطبة للفرنسيين ٠٠ » (٩٤)
- « ٠٠٠ فاستشار (الأمير) سيف الدين قطز الأمراء فى
أمرهم ٠٠٠ » (٩٥) .
- « ٠٠٠ فخافت الناس (خوفاً) من عود البحرية
اليهم ٠٠٠ » (٩٦) .
- « ٠٠٠ ومقدمهم (الأمير) عز الدين أيقان سم الموت » (٩٧) .
- « ٠٠٠ ونزلوا تحت الجبل الأحمر ، فاتصل بالأمراء (الذين
بمصر قدومهم) ، وكان نائب الغيبة ٠٠٠ » (٩٨) .
- « ٠٠٠ فانكسر (سنقر) الأشقر ، وطلع الى صهيون ،
فعصى بها » (٩٩) .

-
- ٠ (٩١) نفسه
- ٠ (٩٢) نفسه ص ٢٤٩
- ٠ (٩٣) نفسه
- ٠ (٩٤) نفسه ص ٢٤٩
- ٠ (٩٥) نفسه ص ٢٦٣
- ٠ (٩٦) نفسه ص ٢٧٢
- ٠ (٩٧) نفسه ص ٢٧٧
- ٠ (٩٨) نفسه ص ٢٨٨
- ٠ (٩٩) نفسه ص ٢٩٦

- « ٠٠٠ وفيها أرسل السلطان الأمير عز الدين (الـ) أفرم
 (الى النوبة) « ٠٠٠ » (١٠٠) .
- « ٠٠٠ وهم خشداشيته : سنقر الأشقر ، وببسىرى ،
 والأيدمرى ، (والأفرم) « ٠٠٠ » (١٠١) .
- « ٠٠٠ فساق ولحق بالأمراء (الذين) مع الطلب ٠٠ » (١٠٢)
- « ٠٠٠ فخرج (من مصر) فى رمضان على أن يتصيد بالكرك
 والشوبك « ٠٠٠ » (١٠٣) .
- « ٠٠٠ من أجرة أملاكه فى (كل) يوم ألف دينار « (١٠٤) .
- « ٠٠٠ من بقايا أمواله أربعين ألف دينار ، وألف (ألف)
 ومائة ألف درهم « (١٠٥) .
- « ٠٠٠ وعمره سبعة وخمسون (سنة) وأشهر « (١٠٦) .
- « ٠٠٠ وقتل طشتمر (والفخرى) « (١٠٧) .
- « ٠٠٠ وأى وقت أردت أحضر (الى) عندكم « (١٠٨) .
- « ٠٠٠ فكتب نائب الشام للمسلطان (والأمراء) بما
 جرى « (١٠٩) .

٠ (١٠٠) نفسه ص ٣٠٢

٠ (١٠١) المصدر السابق ص ٣٠٨

٠ (١٠٢) نفسه ص ٣١٥

٠ (١٠٣) نفسه ص ٣٣٦

٠ (١٠٤) نفسه ص ٣٤٢

٠ (١٠٥) نفسه ص ٣٦٣

٠ نفسه

٠ (١٠٧) نفسه ص ٣٧٤

٠ نفسه

٠ (١٠٩) نفسه ص ٣٩٢

- « ٠٠٠ ورسم أن فلاحا لا يركب فرسا (ولا يشتري فرسا) ،
ثم ٠٠٠ » (١١٠) .
- « ٠٠ ورسم بمسك الأمير طاز واخوته ، (فمسك) ٠٠ » (١١١)
- « ٠٠٠ وتولى بعده (ولده) الملك المنصور أحمد » (١١٢) .
- « ٠٠٠ فاتفق أكابر مماليك (المقر) الأتابكي يلبغا » (١١٣) .
- « ٠٠٠ فأخبرهم أن السلطان نزل (الى) العقبة ٠٠ » (١١٤) .
- « ٠٠٠ فالبس خلعة (الخلافة) وركب من باب الأدر الى
الايوان ٠٠٠ » (١١٥) .
- « (وفى) سنة احدى وثمانين وسبعمائة ٠٠٠ » (١١٦) .
- « ٠٠٠ فوجد ابن عرام (قد قتله) ، فمسكه ٠٠ » (١١٧) .
- « وفيها سافر جاركس (الخليلى) الى الحجاز الشريف ،
وفيها مسك السلطان المقر (العلائى) قطنبا الجوبانى » (١١٨) .

-
- (١١٠) نفسه ص ٣٩٥ .
• (١١١) نفسه ص ٣٩٧ .
• (١١٢) نفسه ص ٤١١ .
• (١١٣) نفسه ص ٤١٥ .
• (١١٤) المصدر السابق ص ٤٣٣ .
• (١١٥) نفسه ص ٤٣٧ .
• (١١٦) نفسه ص ٤٤٩ .
• (١١٧) نفسه ص ٤٥٣ .
• (١١٨) نفسه ص ٤٦٤ .

- « ٠٠٠ فراسل نائب حلب فى أنه يدخل بينه وبين السلطان
فى (أمر) الصلح » (١١٩) .
- « ٠٠٠ ثم خرج (منها) الى حمص ٠٠ فدخل منطاش الى
دمشق ، و (نزل) بالقصر الأيلق ٠٠٠ » (١٢٠) .
- « ٠٠٠ فرشت (له) الشقق الحرير من ٠٠٠ » (١٢١) .
- « ٠٠٠ وأقامت الزينة الى أن حضرت رأس العدو المخذول
(منطاش) على ما يأتى » (١٢٢) .
- « ٠٠٠ وحملها طولوا (صحبتة) الى حماه ٠٠٠ » (١٢٣) .
- « ٠٠٠ وسافر بعده تمرىفاً - مملوك نائب حلب - وقاصد
السلطان (أحمد) بالجواب » (١٢٤) .
- « ٠٠٠ ثم أحضر له فرساً بقماش ذهب (السرچ) والكنبوش
والسلسلة واللجام » (١٢٥) .
- « ٠٠٠ بعد أن عمره وفرشه (له) » (١٢٦) .

-
- ٠ (١١٩) نفسه ص ٤٨٠
٠ (١٢٠) نفسه ص ٤٨١
٠ (١٢١) نفسه ص ٤٨٣
٠ (١٢٢) نفسه ص ٤٨٧
٠ (١٢٣) نفسه .
٠ (١٢٤) نفسه ص ٤٩٠
٠ (١٢٥) نفسه ص ٤٩٢

أما التحريف والتصحيف ، فيمثل له بالآتى :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٣٠	رضى الله عنها	رضى الله عنهما
٤١	أحب	أحبيب
٤٦	وجئتم بأمر جائر	٠٠٠ حائر
٤٩	قال ابن اسحاق	قاله ابن اسحاق
٥٠	وسعد بن حمدان	وسعد بن نمران
٥٠	يقول فضلا	يقول فضلا
٥٠	ويأنس الليل ووحشته	ويأنس بالليل ووحشته
٥٣	لا يفتى الا على	لا فتى الا على
٦١	عمر العذارى	عمر العذرى
٦٧	كان يطوف الليل	كان يطوف بالليل
٦٨	يفرح بفرحه	يفرح لفرحه
٧٠	أمير الجيوش	أمير الجيش
٧٤	ما تنال منى	ما تناله منى
٧٥	بباب الجابية ٠٠٠	بين باب الجابية ٠٠٠
٧٧	وهو اليوم	وهى اليوم
٨٢	عمر بن موسى	عمرو بن موسى
٨٤	رودان مولاه	وردان مولاه
٨٥	بأرض مصر	فى أرض مصر
٨٥	شديدا	شديدها
٩٣	بئر ميمون	بئر ميمونة
١٠٧	صحن الذهب	صحاف الذهب

الصفحة	الخطا	الصواب
١١٧	من خشب مسحورة	من خشب مسمورة
١٢٢	ثم يعزله منها	ثم يعزله عنها
١٢٣	أستودعكم الله	استودعتكم الله
١٢٤	ولقب المعتز	ولقب بالمعتز
١٢٧	وعمل عليهم	وحمل عليهم
١٢٧	فى جبة	فيه جبة
١٣٥	المقتدر	المتوكل
١٣٧	وأخرجوا	وخرجوا
١٤٢	فتتبعوه	فتبعوه
١٥٦	وأصلح ستورها	وأصلح سورها
١٥٨	ودفع فى وجهه ضربة	ووقع فى وجهه ضربة
١٦٠	ولبس جبة الصوف	ولبس جبته الصوف
١٦١	وفى عهده أخذ الفرنج	وفى أيامه أخذ الفرنج
١٨٥	فى الضفرات	فى الفرات
١٨٨	وبراءة الذمة	فى براءة الذمة
١٩٢	فأقام على ذلك	فأقام على ذلك
١٩٤	ويقتفى من آثار من سلف	ويقتفى آثار من سلف
٢١٤	ولقب الظافر	ولقب بالظافر
٢٣٨	وكان يحضر الدواوين أمامه	وكان يحضر الدواوين قدامه
٢٤٤	وشرح الصالح فى تدبير	وشرح الصالح فى تدبير
٢٤٥	فاستولى الفرنج عليها مرة	٠٠٠ ثانى مرة
٢٤٥	فان السلطان ضعيفا	فكان السلطان ضعيفا

الصفحة	الخطا	الصواب
٢٥٢	وفى تاسع عشر جامدى الآخرة	وفى تاسع عشرين ٠٠٠
٢٥٩	فركب ممالك الفارس اقطاى	فركبوا ممالك الفارس اقطا
٢٥٩	يتوجهون	يتوجهوا
٢٦٦	وأمر بخروج العسكر	وأمر بخروج العساكر
٢٧٠	فقدم الأمير اقطاى	فتقدم الأمير اقطاى
٢٧٠	رماه بهادر المعزى سهما	رماه بهادر المعزى بسهم
٢٧٤	يعقوب أمير آخور	يعقوبا أمير آخور
٢٨١	فعاينوا (أعداءهم)	فعاينوا التتار
٢٨٧	ويبعدهم من بابه	ويبعدهم عن بابه
٢٨٨	بأنهم مهما طلبوا	بأنه مهما طلبوا
٢٨٩	الجيشى	وبلبان الحبشى
٢٩٢	وحلفوه أن لا يكاتب	وحلفوه أنه لا يكاتب
٢٩٣	تولى السلطان	تولى السلطنة
٢٩٨	ورقع على الأرض	ورقع الى الأرض
٣٠٢	عز الدين أفرم	عز الدين الأفرم
٣٠٤	(وأمرهم) أن يكتموا امره	وعرفهم أن يكتموا امره
٣٠٨	فغير السلطان ذلك الذى	الذى ٠٠٠
٣٠٨	مملوك جركسى	مملوك جركس
٣٠٩	يؤخذ مه	يؤخذ منه
٣١٠	وحمل على الاعتقال	وحمل الى الاعتقال
٣٢٦	فقال كرجون	فقال كرجى
٣٢٨	أثيم الآراء	أشام الآراء

الصفحة	الخطا	الصواب
٣٣٢	فيها تواترات مطالعات النواب	فيها تواترات ٠٠٠
٣٣٧	فيمن يقوم منكما بالأمر	فيمن يقوم منهما بالأمر
٣٣٨	فحلف الأمراء	فحلفوا الأمراء
٣٤٢	فدخل عليه بطعام	فدخل اليه بطعام
٣٤٢	كان يدخل له	كان يدخل اليه
٣٥٠	والمسامحات	والمسامحة
٣٦٠	يفتحون شونهم ويبيعون	يفتحوا شونهم ويبيعوا
٣٦٩	يوم الثلاثاء ، بعد عصر	يوم الثلاثاء ، بعد العصر
٣٧٠	وكانت اشارته	وكان اشارته
٣٨٦	ولهاز وشيخو	وطاز وشيخو
٣٩٦	بيزر صفر	بئزر صفر
٣٩٩	الى أوائل ذى القعدة	الى أواخر ذى القعدة
٤٠٠	ودكاكين صليبية الأعجام	ودكاكين الصليبية الأعجام
٤٠٣	ولم يعد له مكان	ولم يعلم له مكان
٤٠٨	وعهد بالخلافة لوالده	وعهد بالخلافة لولده
٤١١	ورسم بالعساكر بالرحيل	ورسم للعساكر بالرحيل
٤١٣	وجدوا بثغر الاسكندرية	حبسوا بثغر الاسكندرية
٤١٦	وكان يتصيدان بالعباسية	وكانا يتصيدان بالعباسية
٤١٩	وحنطه وغسله	وحنطه وغسله
٤٢٦	واستدعى القاضي	واستدعى بالقاضي
٤٣٠	ملك سيس الا الأبواب العالية	ملك سيس الى الأبواب العالية
٤٣٧	الصلبي النائب	الحنبلى النائب

الصفحة	الخطا	الصواب
٤٣٩	الشفري	الشرقى
٤٣٩	جنفرا	جنفرا
٤٤٠	ونزل السلطان	وانزل السلطان
٤٤٥	(اقتصر الصاحبى)	الحنبلى
٤٤٩	المعز الأتابكى	المقر الأتابكى
٤٤٩	وانكسرا	وانكسروا
٤٥١	وأمر بالنشاب	وأمرى بالنشاب
٤٥٢	أنعم على الأمير محمد	أنعم على سيدى محمد
٤٥٥	والده المقر	والد المقر
٤٥٨	وسمر الاثنان	وسمر الاثنين
٣٦٢	ثلاث أيام	ثلاثة أيام
٤٧٠	وجاؤوا	وجاءوا
٤٧٠	ولم يسمع سلطان	ولم يسمع بسطان
٤٧٤	الأرزقى	الأزرقى
٤٧٤	والمكوفات	والعلوفات
٤٧٤	حسن بن باكيش	حسين بن باكيش
٤٧٦	وبعض عساكره	وبعض عسكره
٤٨١	لعساكر الشام	بعساكر الشام
٤٩٢	أروس خيل	أروس خيل
٤٩٥	هو وعسكره	هو وعساكره
٤٩٧	لو كن سيل السفح	لو لف سيل السفح
٤٩٧	الى حيث حل حلت

رابعاً : كما لم يكن المحقق دقيقاً فى النقل عن الأصول يظهر ذلك طيه لما بيض له فى الأصول ، دون تنبيه أو تنبيهه ، ومنه قوله :

« هو أبو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » (١٢٧) .
ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو ٠٠٠ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » .
وما بيض له يمكن اثباته من المصادر على النحو التالى :
« هو أبو (العباس) (١٢٨) ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » .
وقوله :

« هو أبو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » (١٢٩)
ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو ٠٠ يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » .
وما بيض له يمكن اثباته على النحو التالى :
« هو أبو (خالد) (١٣٠) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » .

(١٢٧) المصدر السابق ص ٧٨ .
(١٢٨) راجع : ابن قتيبة - المعارف ص ٣٦٦ ، المسعودى - التنبيه والاشراف ص ٣٢٣ ، ابن العمرانى - الانباء ص ٥١ ، القلقشندى - مآثر الانافة ج ١ ص ١٥٦ .
(١٢٩) ابن دقماق - الجواهر الثمين ص ٨١ .
(١٣٠) راجع : ابن يزيد - تاريخ الخلفاء ص ٣٥ ، ابن قتيبة - المعارف ص ٣٦٧ ، ابن العمرانى - الانباء ص ٥٢ .

كما أنه نقل خطأ عن بعض الأصول قوله :

« هو أبو القاسم بن عبد الله المكتفى بالله على » (١٣١) .

وصوابه كما جاء في مصادر ترجمة « عبد الله المستكفى »
وفي عنوان الترجمة في هذه النشرة :

« هو أبو القاسم ، عبد الله المستكفى بالله » .

خامساً : كما أنه لم يلتزم خطة واحدة في النقل عن الأصول
حيث صوب الكثير من لغة النص ونحوه - متبهاً الى ذلك ، أو مغفلاً
التنبه اليه - بينما أهمل تصويب أكثره ، مما جعل النص ممسوخاً
في مواضع جملة .

سادساً : كما أنه اعتمد في تصويب لغة النص على مصادر
متأخرة كـمقد الجمان « للعيني » والنجوم الزاهرة « لابن تفرى
بردى » ، وقد كان الأولى الرجوع الى المصادر المتقدمة ، كالوزراء
والكتاب للجهمشيارى ومروج الذهب للمسعودى والأمالى للقالى
والاستيعاب لابن عبد البر . وما الى ذلك .

(١٣١) ابن دقماق . الجواهر الثمين ص ١٤٧ .

الفصل الرابع

التقى المقرئى وكتابه ((الواعظ والاعتبار
فى ذكر الخطط والآثار))

التقى المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

دراسة حياة

ولد « تقى الدين ، أبو محمد (١) ، أحمد (٢) بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن

(١) هكذا كناه ابن حجر (المجمع المؤسس ق ٢١٤) ، بينما كناه السخاوى (التبر المسبوك ج ١ ق ٤٠ ، الذيل التام ق ٨٢ ب الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ تر ٦٦) : «أبا العباس» .

ولعل الكنية المصرح بها لدى ابن حجر هي الألق ، لاطلاع المقرئى على ترجمته فى «المعجم» ، وعدم اعتراضه عليها ، على النحو الوارد فى قول السخاوى (التبر المسبوك ج ١ ق ٤٥ ب) : «و . . . وقد ذكره شيخنا فى القسم الأخير من معجمه الذى وقف صاحب الترجمة عليه ، » .
مع ملاحظة أن باقى مصادر ترجمته لم تصرح بكنيته .

(٢) استفيد هذا النسب مما أورده « المقرئى » فى ترجمة جده لأبيه (السلوك ج ٢ ص ٣٦٥) ، فأبيه (نفسه ج ٣ ص ٣٢٦) ، وأن كان كل من « ابن حجر » (انباء الغمر ج ٩ ص ١٧٢) و « ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠) قد نسبها الى أنه ربما تجاوز فى نسبة « عبد الصمد

بن تميم ، الى «على بن ابي طالب» - رضى الله عنه - من قبل الخلفاء الفاطميين ، حيث وردت عبارة ابن حجر بشأن ذلك على النحو التالى :

« ٠٠٠ وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئا من تصانيفه ، فكتب فى أوله نسبه الى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ٠٠٠ ثم انه كشط ما كتبه ذلك الملكى من أول المجلد ، وكان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه عبد الصمد بن تميم ، ووقفت على ترجمة جده عبد القادر بخط الشيخ تقى الدين بن رافع ، وقد نسبه أنصاريا ، فذكرت ذلك له ، فأنكر على ابن رافع ، وقال : من أين له ذلك ؟! وذكر لى ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه تقى الدين فى الانتساب الى العبيديين ، فذكر له انه دخل مع والده جامع الحاجم ، فقال له وهو فى وسط الجامع : يا ولدى ، هذا جامع جدك . »

كما وردت عبارة ابن تغرى بردى على النحو التالى :

« ٠٠٠ وقد أملى على نسبه الناصرى محمد ابن أخيه بعد وفاته ، الى أن رفعه الى على بن ابي طالب من طريق الخلفاء الفاطميين » .
والمستخلص من قولهما ، »

(أ) أن «المقريزى» كان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه «عبد الصمد بن تميم» ، لكن ربما زيد فى نسبه الى «على بن ابي طالب» .

(ب) أن نسبه الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد وردت فى كتابات غيره ، استنادا الى ما اشاعه هو لمن يثق به ، وهو المستفاد من قول ابن حجر (الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢) : « ٠٠٠ فكان يذكر ان أباه ذكر له أنه من ذرية تميم بن المنتصر بانى القاهرة ، ولا يظهر ذلك الا لمن يثق به ، »

(ج) أن نسبه الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد يخدم فيها نسبة «ابن رافع» جده «عبد القادر» أنصاريا ، وان توقف «المقريزى» فى ذلك .

أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، المقرئ (١) ، الشافعي (٤) ،

(د) ان هذه النسبة الى «علي» من قبل الخلفاء الفسطاطيين يدرؤها الغموض ، ويعتريها الشك ، لاستناده فيها على قول أبيه وقد دخل جامع الحاكم وتوسطاه : «يا ولدي ، هذا جامع جدك» ، وهو قول يعوزه دليل تصديقه ، ويبدو أن ذلك كان مدركا لدى مؤرخنا ، ولذا لم يجاوز - فيما كتبه من مؤلفاته - في نسبه «عبد القادر بن تميم» ، بل وعمد الى محو ما ازاده غيره عليه ، مما يجعل ما تبه اليه «ابن حجر» من تزيد مؤرخنا في نسبه «لن يتق به» لا يعدو كونه أكثر من دلموح قرن لديه بالمتشكك .

(٣) أشار «ابن حجر» (المجمع المؤسس ق ١٢١٤) وتلميذه «السخاوي» (التبر المسبوك ق ١٤٠ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦ تر ٦٦) الى أن «المقرئ» . نسبة الى حارة المقارزة في بعلبك ، حيث نزلها جده الأعلى «ابراهيم» .

ويلحظ أن أولاده فمن دونهم نسبوا اليها ، وصارت علما عليهم . فلقد تردد اسما جده ووالده في المصادر مقتربين بهذه النسبة .

(٤) أشار ابن حجر (انباء الثمر ج ٩ ص ١٧١ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤) الى أن جد مؤرخنا لأبيه «عبد القادر» وأباه «عليا» سنا حنبلين ، وان مؤرخنا نشأ حنفيا على مذهب جده لأمه ، ثم تحول شافعي بعد أن جاوز العشرين . بينما يشير ابن تغري بردي (المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٦) الى أن مؤرخنا «كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله الى مذهب الظاهر» .

لكن ينبغي كونه ظاهريا قول ابن حجر (انباء الغمر ج ١ ص ١٧١) فيه :

« ٠٠٠ كان يتهم بمذهب ابن حزم ، لكنه كان لا يعرف به » ، وما أورده ابن تغري بردي (حوادث الدهور ج ١ ق ٩) مناقضا قوله الأول :

« ٠٠٠ وكان ينسبه بعض الناس الى الليل لمذهب الظاهر - والله أعلم بالباطن - لأنه كان يعظم ابن حزم المغربي الى الغاية ، وليس في ذلك ما يعاب لأن ابن حزم كان رجلا حافظا عالما ، ولو كان ظاهريا لم ينكر فضله » :

في القاهرة (٥) في حارة برجوان (٦) (في قسم الجمالية الحالي (٧) سنة ست (٨) وستين وسبعمئة للهجرة ، ونشأ في كنف أسرة عرفت

(٥) المقرئى . الخطط ج ١ ص ٢ ، ٤ .

(٦) حارة برجوان : نسبة الى أبى المفتوح برجوان ، خادم العزيز الفاطمى، ومدبر دولته . قتله الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة تسعين وثلاثمئة للهجرة ، بعد أن عظم فى دولته ، وكان بيده نظر مصر والشام والحجاز والمغرب وأعمال الحضرة ، وأمر القصور الفاطمية .
راجع : ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١ تر ١١٢ ، المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٣ - ٤ ، د . حسن عبد الوهاب ، حول دار المقرئى ص ٧٥ - ٧٩ ، ضمن «دراسات عن المقرئى» .

(٧) د . محمد مصطفى زيادة . المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس

عشر ص ٦ .

(٨) بينما يشير المقرئى (الخطط ج ١ ص ٤) الى أن مولده «بعد سنة ستين وسبعمئة من سنى الهجرة» ، ويئنه ابن تغرى بردى (حوادث الدهور ج ١ ق ٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١) الى أنه سأل مؤرخنا عن مولده فقال : «بعد الستين وسبعمئة بسنيات» ، يحدد ابن حجر (انباء الغمر ج ٩ ص ١٧١) مولده بسنة «ست وستين وسبعمئة» ، وأن بيض لسنة «ست» فى ترجمته من المجمع المؤسس (ق ٢١٤) .

ويعلل السخاوى (التبر المسبوك ص ٢٢ - ٢٣) لما ذهب ابن حجر اليه

قائلا :

« . . . وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين . وقال شيخنا أنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه فى سنة ست وستين ، لكونه قد حضر وهو فى الثالثة على ابن الصائغ مع أبى هريرة ابن الشرف المقدسى وهو فى الرابعة ، وكان مولد أبى هريرة سنة ٧٦٧ ، فيكون مولد المقرئى فى سنة ست » .

ويترجع ما ذهب اليه ابن حجر بما أشار اليه المقرئى (درر العقود الفريدة ق ١٢١ ب) ، وعنه ابن حجر (انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ٢٣) من اقتران أم مؤرخنا بأبيه فى المحرم سنة خمس وستين وسبعمئة، إذ لا يبعد أن يكون انجابهما له فى السنة التالية لزواجهما ، فيكون بذلك بكر أولادهما .

أصولها بالمشاركة فى تحصيل العلم وبثه .

فجده لأبيه « محبى الدين ، أبو محمد ، عبد القادر »^(٩)
(ت ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م)^(١٠) نشأ فى بعلبك ، وسمع فيها على
« زينب بنت كندى »^(١١) (ت ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م) ، وكانت له رحلة
فى طلب الحديث النبوى وتحصيله الى حمص وحلب ودمشق
والقاهرة والاسكندرية^(١٢) ، سمع فيها على عدد وافر من اعلام
الحفاظ والمسندين فى عصره ، كأبى المكارم النصيبى^(١٣) (ت
٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، و « ابن القواس »^(١٤) (ت ٦٩٨ هـ /

(٩) له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٧٢ ، ابن رجب . الذيل
على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤١٦ - ٤١٧ تر ٥٠٧ ، المقرئى السلوك ج ٢
ص ٣٦٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ تر ٢٤٧٠ .

(١٠) جعل المقرئى (السلوك ج ٢ ص ٣٦٥) وفاته فى السنة التالية ،
بينما تشكك ابن حجر (الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١) فى سنة وفاته ، فأرخ
لها على النحو التالى :

« ... ومات فى أواخر ربيع الأول سنة ٢ أو ٣ أو ٧٣٤ » .

(١١) هى زينب بنت عمر بن كندى بن سعيد بن على البعلبكية الدار ،
الدمشقية المحتد ، أم محمد ، لها ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤
ص ٤٨٨ ، العبر ج ٥ ص ٣٩٨ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص
١٩٣ .

(١٢) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ .

(١٣) هو كمال الدين أحمد بن محمد عبد القاهر بن النصيبى ،
الحنبلية ، له ترجمة فى : الذهبى . العبر ج ٥ ص ٣٧٤ ، ابن تغرى بردى .
النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٤٠ .

(١٤) هو « ناصر الدين ، أبو محمد ، عمر بن عبد المنعم بن عمر بن
عبد الله بن غدير بن القواس الحلبى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام
ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٨٩ .

(١٢٩٩ م) و « أبى الفضل ابن عساكر » (١٥) (٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م)
و « ابن مشرف » (١٦) (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٩ م) و « ابن
النحاس » (١٧) (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « البهاء بن القيم » (١٨)
(ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « أبى الحسن بن الصواف » (١٩)
(ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) و « سبط زيادة » (٢٠) (ت ٧١٢ هـ /

(١٥) هو « شرف الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن هبة الله بن أحمد بن
عساكر » ، له ترجمة فى . الذهبى . المعبر ج ٤ ص ١٤٨٧ ، ابن كثير .
البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣ .

(١٦) هو « شهاب الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبى العز بن مشرف » ،
له ترجمة فى : الصفى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٩٤ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ٤ ص ٤٩ تر ١٤١ .

(١٧) هو « كمال الدين ، اسحاق بن أبى بكر بن إبراهيم بن هبة الله
ابن طارق الأسدى ، الطلبى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٥٥ ،
أليافى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٤٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص
٣٥٦ - ٣٥٧ تر ٨٨٨ .

(١٨) هو « بهاء الدين ، أبو الحسن على بن عيسى بن سليمان بن
رمضان الثعلبى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص
٢١٦ ، ذيل المعبر ص ٥٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٩١ - ٩٢ تر
٢٠٤ .

(١٩) هو « نور الدين ، أبو الحسن على بن نصر الله بن عمر بن
عبد الواحد القرشى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٧١
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٦ تر ٣٠٩ .

(٢٠) هو « زين الدين ، أبو محمد ، الحسن بن عبد الكريم بن
عبد السلام المعرى ، المالكى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٧٢ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ تر ١٥١٨ .

١٣١٣ م) و « عبد الأحد بن تيمية » (٢١) ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)
و « النقي سليمان » (٢٢) (ت ٧١٥ هـ / ١٣٠٦ م) و « يحيى بن
سعد » (٢٣) (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) . و عدد من أعيان الحنابلة
وكبار المحدثين فى الشام ، مما أهله لتولى مشيخة دار الحديث
البيهائية (٢٤) ، فانتفع به جمع وافر من الطلبة ، لعل من أبرزهم
« الشمس الذهبى » (٢٥) (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) .

(٢١) هو « شرف الدين ، أبو البركات ، عبد الأحد بن أبى القاسم بن
عبد الغنى بن تيمية الحرانى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص
٧٠ - ٧١ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤٦٨ - ٤٦٩
(وفيه : عبد الواحد) ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥ تر
٢٢٥٩ .

(٢٢) هو « تقي الدين ، أبو الفضل ، سليمان بن حمزة بن أحمد بن
عمر بن قدامة المقدسى الصالحى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام
ج ٢ ص ٢٢١ ، ذيل العبر ص ٨٥ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص
٧٥ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٦ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ تر ١٨٣٧ .

(٢٣) هو « يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصارى ،
المقدسى ، الصالحى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٢١ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ تر ١١٨٠ .

(٢٤) دار الحديث البيهائية : كانت دار سكنى - داخل باب توما فى
دمشق - لسند الشام الشيخ الطبيب « بهاء الدين ، أبى محمد ، القاسم
ابن المظفر بن محمود بن تاج الأمان بن عساكر » (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ،
فوقفها دار حديث ، ضمن ما وقف ، وعرفت به .
راجع : الذهبى . ذيل العبر ص ١٣٠ - ١٣١ ، طبقات الحفاظ ج ٤ ص
١٤٩٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠٨ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ تر ٦١٠ .

(٢٥) ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤١٧ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ .

وجده لأمه « ابن الصائغ الحنفى » (٢٦) (ت ٧٧٦ هـ /
 ١٣٧٥ م) نشأ فى القاهرة ، وأخذ العربية عن « أبى حيان
 الغرناطى » (٢٧) (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) ، والمعانى والبيان عن
 « علاء القونى » (٢٨) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) و « الجلال
 القزوينى » (٢٩) (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) ، والفقه عن « ابن
 عبد الحق » (٣٠) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ م) ، والقراءات افرادا
 وجمعا للسبعة والعشرة عن « محمد المصرى » (٣١) (ت ٧١٨ هـ /

(٢٦) مر التعريف به ، راجع ج ١ ص ٢٢٨ من هذا البحث .
 (٢٧) مر التعريف به ، راجع ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ من هذا البحث .
 (٢٨) هو « علاء الدين ، أبن الحسن ، على بن اسماعيل بن يوسف
 القونى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ابن
 كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص
 ٢٤ - ٢٩ تر ٥٤ .

(٢٩) هو « جلال الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر
 بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن القزوينى ، ثم الدمشقى ،
 الشافعى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٥ ، ذيل
 العبر ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، الصفدى . الوافى ج ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ تر ١٢٥٥ ،
 الياقى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص
 ١٨٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣ - ٦ تر ٢ .

(٣٠) هو « برهان الدين ، ابراهيم بن على بن أحمد بن على بن محمد
 بن أحمد بن يوسف بن ابراهيم بن على ، المعروف بابن عبد الحق : جده
 لأمه » ، له ترجمة فى : الحسينى . ذيل العبر ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ابن كثير .
 البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢١٢ ، ابى الوفاء القرشى . الجواهر المضية ج ١
 ص ٩٣ - ٩٤ تر ٣١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ تر ١٢١ ،
 رفع الاحسر ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص
 ١٠٨ - ١٠٩ تر ٥٧ .

(٣١) هو « محمد بن نصير بن صالح بن جبريل بن خلف المصرى » ،
 له ترجمة فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ تر ٣٥٠٠ ،
 ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٧٧٦ تر ٧٧١ .

١٣١٩ م) و « التقى ابن مكى » (٣٢) (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ،
والحديث النبوى عن « الدبوسى » (٣٣) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م)
و « ابن سيد الناس » (٣٤) (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) ، وكانت له
رحلة الى دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة (٣٥) ، سمع
فيها على « الحجار » (٣٦) (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) و « المزى » (٣٧)

(٢٢) هو « تقى الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عبد الخالق
ابن على بن سالم بن مكى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام
ج ٢ ص ٢٢٣ ، ذيل العبر ص ١٢٩ ، الصفدى . الوافى ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧
تر ٥٠٥ ، ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ٦٥ - ٦٧ تر ٢٧٣٨ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٢٠ - ٣٢١ تر ٨٦٢ .

(٢٣) هو « فتح الدين ، أبو التون ، يونس بن ابراهيم بن عبد القوى
الكندى العسقلانى ، ثم المصرى ، الدبابيسى أو الدبوسى » ، له ترجمة فى :
الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦١ - ١٦٢ ،
المقريزى . السلوك ج ٢ ص ٣١٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٨٤ -
٤٨٥ تر ١٣٢١ .

(٢٤) مر التعريف به ، راجع . ج ١ ص ٢٨٢ من هذا البحث .

(٢٥) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢٦) هو « شهاب الدين ، أحمد بن أبى طالب بن نعمان بن حسن
الصالحى ، المعروف بابن الشحنة ، وبالحجار » ، له ترجمة فى : الذهبى .
دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن كثير . البداية
والنهاية ج ١٤ ص ١٥٠ ، المقريزى . السلوك ج ٢ ص ٢٢٦ ، ابن حجر .
الدرر الكامنة ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ تر ٤٠٤ ، ابن طولون . القلائد الجوهريّة
ج ٢ ص ٤١٢ - ٤١٤ .

(٢٧) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن
يوسف المزى ، الدمشقى » ، له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤
ص ١٤٩٨ - ١٤٥٠ ، الحسينى . ذيل العبر ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ابن رافع
الوفيات ج ١ ص ٣٩٥ - ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤
ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٦١ تر ١٢٦١ ،
ابن طولون . القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٣ .

(ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) و « السبزيالى » (٣٨) (ت ٨٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ، وتصدر فى الجامع الأموى للعربية والاقراء (٢٩) ، وأقرأ الشناطبية هناك غير مرة (٤٠) ، ثم عاد الى القاهرة ، وعد من أعيان علمائها (٤١) ، وولى فيها افتاء (٤٢) دار (٤٣) العدل يوم الخميس : ثانى عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة - فكان بذلك أول حنفى ولى هذه الوظيفة (٤٤) - ثم ولى قضاء العسكر (٤٥)

(٢٨) هو « علم الدين ، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف ، له ترجمة فى : ابن شاکر الكتبى . فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٤ تر ٣٥١ ، ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ تر ١٦٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ تر ٦٠٩ .

(٢٩) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٢ .

(٤٠) نفسه .

(٤١) راجع : المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٠٦ .

(٤٢) افتاء دار العدل : وظيفة أشار القلقشندى (صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٠٧) الى أن موضوعها : « الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ، والافتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل ، وهى وظيفة جليلة ، لمصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن فى معناهم » .

(٤٣) المقصود بذلك « الايوان » الذى أنشأه « المنصور قلاوون » ثم جده « الأشرف خليل » ، ثم هدمه وأعاد بناءه « الناصر محمد بن قلاوون » .

راجع : المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤٤) المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٩٢ .

(٤٥) قاضى العسكر : عرفت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية ، وفى عصر الغزنويين ، ويبدو أنها انتقلت الى السلاجقة ، ثم الاتابكة ثم الأيوبيين . وصارت هذه الوظيفة فى عصر المماليك ثامنة الوظائف الدينية ،

وتدريس الفقه الحنفى فى الجامع الطولونى (٤٦) يوم الاثنين ، ثانى عشر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٤٧) ، كما كان نابهو الطلبة يقصدون داره ليلا لتحمل علم القراءات عنه (٤٨) ، وظل على وظائفه تلك الى أن توفاه الله اليه فى شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة للهجرة ، تاركا « ثروة واسعة » (٤٩) وعدة مؤلفات ،

=

وكان لصاحبها مجلس بحضرة السلطان فى دار العدل ، دون القضاة الأربعة .

ويشير « القلقشندي » الى أن قاضى العسكر كان ينخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وكان عليه أن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة - لتعذر وجود الشهود المعدين لتحمل الشهادة فى العسكر - وأن يكون له منزل معروف ، يقصد فيه اذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ، وأن يكون مستعداً للأحكام التى يكثر فصلها فى العسكر ، وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم ، لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب .

راجع . ابن فضل الله العمري . التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٢٣ - ١٢٤ ، القلقشندي . صبيح الأعمش ج ٤ ص ٣٦ ، ١٩٢ ، ج ١١ ص ٩٦ ، د . حسن الباشا . الغنون الاسلامية ج ٢ ص ٨٦٦ - ٨٦٧ .

(٤٦) الجامع الطولونى : ابتداء بناءه الأمير « أحمد بن طولون » سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين ، وقد بلغت النفقة فيه مائة وعشرين ألف دينار ، وجددت فيه أماكن فى الدولة المملوكة .
راجع : المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٩ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٠ .

(٤٧) المقرئى . السلوك ج ٣ ص ١٩٨ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١١ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٠٠ .

(٤٨) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤٩) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٠٠ .

منها : « شرح ألفية ابن مالك » و « التذكرة النحوية » و « الاستدراك على المغنى لابن هشام » و « شرح البردة » و « المثانى فى المعانى » و « الثمر الجنى فى الأدب السنى » و « المنهج القويم فى القرآن العظيم » و « الغمز على الكنز » (٥٠) .

وأشار اليه سبطه (٥١) بأنه « كان من الأفراد فى أمور الدين والدنيا » ، كما نعته « ابن حجر » بأنه « كان فاضلاً بارعاً حسن النظم (٥٢) والنثر ، كثير الاسـتمـضار ، قوى البادرة ، دمث الأخلاق » (٥٣) وذهب « ابن الجزرى » الى أنه « لم يكن فى زمنه حنفى أجمع للعلوم منه ، ولا أحسن ذهنًا وتدقيقًا وفهماً وتقريباً وأدباً » (٥٤) .

أما والده « علاء الدين ، على » (٥٥) (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م) فلا تمدنا المصادر بما يفيد كثيراً فى نشأته وتكوينه ومقدار ثقافته ، فجل ما يعرف عنه أنه ولد فى دمشق ، وسمع فيها الحديث النبوى (٥٦) ، وأن الغالب عليه من بين معارف وعلوم عصره « كتابة

(٥٠) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٩٥ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٥٠ .

(٥١) المقرئى . السلوك ج ٤ ص ١١٠٧ .

(٥٢) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٩٥ .

(٥٣) راجع نماذج من شعره فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٤ ، المقرئى ، السلوك ج ٣ ص ٢٩ ، ٥٣ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٥٤) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٣ .

(٥٥) له ترجمة فى . المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٣٢٦ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ تر ٢٨ .

(٥٦) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ .

الانشاء والحساب» (٥٧) ، وأنه تحول من الشام الى القاهرة ، وتولى فيها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء ، وكتب التوقيع (٥٨) عند نائب السلطنة (٥٩) فى مصر « آقتمر بن عبد الغنى » المعروف بالحنبلى (٦٠) (ت ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) ، وكان « العلاء » عاقلا ، عقيفا ، متدينا (٦١) ، صاهر « ابن الصائغ الحنفى » على ابنته « أسماء » (٦٢) (٧٤٧ - ٨٠٠ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٩٧ م) ، التى تزوجها بعد زيجة لها سابقة (٦٣) ، فى المحرم سنة خمس وستين

(٥٧) المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٥٨) راجع بشأن هذه الوظيفة : ج ٢ ص ١٦٥ من هذا البحث ، د . أحمد السيد دراج . صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الوسطى . مكة ١٤٠١ هـ . ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٥٩) نائب السلطنة فى مصر ، ويسمى - أيضا - كسافل الممالك ، والسلطان الثانى أو الصغير أو المختصر . كان يختار من بين العسكريين ، ومن مهامه القيام مقام السلطان أثناء غيابه ، والاشتراك معه فى توزيع الاقطاعات وترشيح الموظفين .

راجع : د . حسن الباشا . الفنون الاسلامية ج ٣ ص ١٢٣٠ - ١٢٣٤ ، د . عبد المنعم ماجد . نظم دولة سلاطين الممالك ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٦٠) له ترجمة فى المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٤٦٢ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ تر ١٢ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ١٤١ تر ٤٩٧ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢١٩ .

(٦١) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ .

(٦٢) لها ترجمة فى : المقرئى . درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب - ١٣٢ ب ، ابن حجر . انباء الغمر ج ٢ ص ٣٣ تر ٤٨ .

(٦٣) أشار المقرئى (درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب) الى انها زفت بنت اثنتى عشرة سنة على رجل يعرف بنجم الدين المهلبى ، ففارقها ، ثم خلفه عليها أبوه .

وسبعمائة للهجرة ، منجبا منها مؤرخنا(٦٤) - الذى يرجح أنه بكر أولاده - فى السنة التالية لزوجهما ، وكانت الزوجة عفيفة ، فاضلة ، دينة ، تحدث عن أبيها وزوجها ، وتتشدد الشعر ، وظلت زوجا له الى أن توفاه الله إليه يوم الأحد ، الخامس والعشرين من رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وعاشت بعده الى سنة ثمانمائة ، وقد اقترنت بزوج غيره .

أما مؤرخنا(٦٥) ، فقد نشأ نشأة حسنة ، فحفظ القرآن - الكريم - وبعض المختصرات فى الفقه الحنفى ، عارضا لهما على جده لأمه « ابن الصائغ الحنفى » ، ثم تتلمذ فى الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ ، وجييره من فنون المعرفة المتداولة فى عصره - آنذاك - على عدد وافر من أعلام العلماء ، الذين بلغوا حسب احصائه لهم ستمائة شيخ ، لعل من أبرزهم :

- ١ - الحراوى (ت ٧٨١ هـ - ١٢٧٩ م) .
- ٢ - جويرية الهكارية (ت ٧٨٣ هـ - ١٢٨١ م) .

(٦٤) أشار المقريزى (نفسه) الى أن أباه أنجب منها كذلك محمدا وحسينا ، كما أنها اتصلت بعد موت أبيه بآخر منجبة منه ولدا ذكرا .

(٦٥) راجع فى ترجمته : ابن حجر . انباء الغمر ج ٩ ص ١٧٠ - ١٧٢ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ أ ، العينى . عقد الجمان (ط . الزهراء) ص ٥٧٤ تر ١٩٥ ، ابن تغرى بردى . حوادث الدهور ق ٨ - ٩ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٦٣ تر ٢١٧ ، المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٩ تر ٢١٧ ، النجوم الزاهدة ج ١٥ ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، السخاوى : التبر المسبوك ص ٢١ - ٢٤ ، الذيل التام ق ١٨٢ - ٨٣ ب ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ - ٢٥ تر ٦٦ ، عبد الباسط الحنفى . الروض الباسم ج ١ ق ٥١ - ٥٢ ب ، المجمع المعنون ق ١٠٢ ب - ١٠٤ أ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

- ٣ - أبا الفضل النويرى (ت ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) .
- ٤ - ابن طراد (ت ٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م) .
- ٥ - الجمال الأميوطى (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٦ - العز ابن الكويك (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٧ - العفيف النشاورى (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٨ - النجم ابن رزين (ت ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م) .
- ٩ - ابن الشهيد (ت ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م) .
- ١٠ - ابن الشيخة (ت ٧٧٩ هـ - ١٣٩٦ م) .
- ١١ - النجم ابن الكويك (ت ٧٩٩ هـ - ١٣٩٧ م) .
- ١٢ - ابن أبى المجد (ت ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٣ - البرهان التتوخى (ت ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٤ - الشمس ابن سكر (ت ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٥ - السراج ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٦ - السويداوى (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٧ - العماد الحنبلى (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٨ - الزين التاجر (ت ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣ م) .
- ١٩ - السراج البلقىنى (ت ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣ م) .
- ٢٠ - الزين العراقى (ت ٨٠٦ هـ - ١٤٠٤ م) .
- ٢١ - الفرسيسى (ت ٨٠٦ هـ - ١٤٠٤ م) .

- ٢٢ - النور الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) .
- ٢٣ - البرهان الظاهري (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) .
- ٢٤ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٥ - طاهر بن حبيب (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٦ - الشهاب الأشموني (ت ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٧ - الشهاب الأوحدي (ت ٨١١ هـ - ١٤٠٨ م) .
- ٢٨ - الزين المراغي (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٤ م) .
- ٢٩ - المجد الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م) .
- ٣٠ - التاج الفرغاني (ت ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ م) .
- ٣١ - ابن خطيب الناصرية (ت ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م) .

كما أجازته (اجازت عامة) في غير كتاب ، كم لا يستهان به من جلة العلماء ، كالجمال الاسنوي (ت ٧٧٢ هـ - ١٣٧٠ م) ، والعماد ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م) ، والبدر بن الخشاب (ت ٧٧٥ هـ - ١٣٧٣ م) ، وأبى البقاء السبكي (ت ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م) ، وأبى اسحاق الآمدى (ت ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م) ، والشرف بن عسكر (ت ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م) ، والشهاب الأذرعى (ت ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م) ، وأبى الفضل النويرى (ت ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) .

ونتيجة لهذه الثقافة الواسعة ، فضلا عن الاتصال ببعض الأمراء كشـيخ الصفوى (ت ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) ، وأحمد بن كندغدى (ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) ، ويشبك الشعبانى (ت ٨١٠ هـ - ١٤٠٧ م) تمكن « المقريزى » من منادمة « الظاهر بـرقوق » (ت ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) وابنه «الناصر فرج» (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

وحظى عندهما ، وتقلب فى عهدهما فى عدة وظائف ، أجمل
« السخاوى » الاشارة اليها قائلا :

« ٠٠ وناب فى الحكم ، وكتب التوقيع ، وولى الحسبة بالقاهرة
(والوجه البحرى) غير مرة ، أولها سنة احدى وثمانمائة
والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة (الناصر) حسن ، والامامة بجامع
الحاكم ونظره ، وقراءة الحديث بالمؤيدية ، عوضا عن المحب بن
نصر الله ، حين استقراره فى تدريس الحنابلة بها ، وغير ذلك .
وحمدت سيرته فى مباشراته ٠٠ وكذا دخل دمشق مرارا ، وتولى
بها نظر وقف القلانسى والبيمارستان النورى - مع كون شرط نظره
لقاضيهما الشافعى - وتدريس (دار الحديث) الاشرافية و (المدرسة)
الاقبالية ، وغيرها » .

كما عرض عليه « الناصر فرج » قضاء القضاة الشافعية فى
الشام ، فأبى ، ورشحه لأن يكون رسولا (سفيرا) له لدى « تيمور
لنك » ، ثم قام بتنفيذ هذه المهمة بدلا عنه « أحمد بن كندغدى » .

وهكذا ، فقد أسند الى « المقرئى » وظائف متنوعة ، كان
بعضها فى مصر وبعضها فى الشام ، كما رشحت له بعض الوظائف
التي لم يقبلها ٠٠ لكن يشير « السخاوى » الى اعتقاله لوظائفه
تلك جملة ، دون تأريخ أو تعليل لذلك ، قائلا :

« ٠٠٠ ثم أعرض عن ذلك ، وأقام ببلده ماكفا على الاشتغال
بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره ، وبعد فيه صيته ، وصارت له فيه
جملة تصانيف » .

ويبدو من استقراء الحوادث ، أن « الاعراض » عن تلك
الوظائف كان قاسما مشتركا بين « المقرئى » وبين أرباب الدولة ،
وأن ذلك كان اثر مقتل « الناصر فرج » (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

حيث ظل مؤرخنا الى حين وفاته ، قرابة ثلاثين عاما لا يمسه وظيفة بيده ، سوى اقراء الحديث فى القاهرة ومكة *

ويؤيد ذلك قول ابن تغرى بردى :

« ٠٠٠ غير أن الشيخ تقي الدين المقرئى - رحمه الله - كان له انحرافات معروفة عنه (عن الأشرف برسباى) ، وهو معذور فى ذلك ، فانه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات فى فنه ، ومؤرخ زمانه ، لا يدانيه فى ذلك أحد ، مع معرفتى بمن عاصره من مؤرخى العلماء ، ومع هذا كله كان مبعودا فى الدولة لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرتيه وحلو منادمتيه * على أن الظاهر برقوق كان قريبه وناديه وولاه حسبة القاهرة فى أواخر دولته ، ومات الظاهر قلم يمش حاله على من جاء بعده من الملوك ، وأبعده من غير احسان ، فأخذ هو - أيضا - فى ضبط مسأولتهم ، فمن أساء لا يستوحش - على أنه كان ثقة فى نفسه ، دينا ، خيرا - وقد قيل لبعض الشعراء : الى متى تمدح وتهجو؟! فقال : مادام المحسن يحسن والمسيء يسيء * »

وهكذا ، فقد تغايرت الدول ، وأبعد مؤرخنا عن وظائفه التى طالما توزع فى بعضها مع حظوته لدى من قلدها أمورها ، ولم يكن مستعدا ماديا أو معنويا للسعى الحديث فى استرجاعها ، فقد كان تولى الوظائف - آنذاك - أمرا مكلفا ، إذ لا يتم ذلك - غالبا - بسعى غير مقترن بالرشا ، ولم يكن « المقرئى » ممن يجوزون التوظيف بالرشا ، فضلا عن أنه لم يكن من آل اليسار ، الذين يجدون فائضا من المال يتلقونه فى المنافسة على الوظائف ، يظهر ذلك ما ورد فى « السلوك » من عزوفه عن شراء « فروجين » فى مرضه لارتفاع ثمنهما ، وقد كان - آنذاك - موظفا ، وسكنه - فيما بعد - علو بيت ، بما لعله يشير الى عدم امتلاكه له ، أو استقلاله بسكناه ،

ولم يكن من سبيل الى العود الى تلك الوظائف - دون رشا - الا
بامتهان النفس لدى الأمراء وأرياب الجاه في الدولة ، وهو ما يأتاه
« المقرئى » ان التعفف « عن التردد الى ذوى الجاهات مع الاملاق ،
مما امتدحه فى مترجميه ، كما أن « السعى الى أبواب الأمراء
وأعيان الدولة وذوى الجاهات » طلبا للوظائف مما عابه عليهم .

كما كان « المقرئى » حيبا منذ الصغر ، وربما كان هذا الحياء
صائنا له عن ابتذال النفس طلبا للوظيفة ، بل ومستجاش
العاطفة (٦٦) ، ذا مشرب صوفى سلفى (٦٧) ، وفى تلك العاطفة ما
يدفع بصاحبها الى الاستغراق فى الماضى ، ليكون عوضا عن

(٦٦) يظهر ذلك ما أورده فى السلوك (ج ٤ ص ١٠٢٨ - ١٠٢٩) ضمن
حوادث حوية احدى وأربعين وثمانمائة للهجرة من البكاء لاشاعة بعضهم
موت الخطيب يوم الجمعة ، على النحو لتالى :

« ٠٠٠ وفى يوم الجمعة تاسعه (شوال) ، اتفقت حادثة لم ندرك مثلها ،
وهو ن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب ، وأسمع الناس الخطبة
- وأنا فيهم - حتى أتمها على العادة ، وجلس للأستراحة بين الخطبتين ،
فلم يقم حتى طال جلوسه ، ثم قام وجلس سريعا ، واستند الى جانب المنبر
ساعة قدر ما يقرأ القارئ ربع من القرآن ، والناس فى انتظار قيامه ، وإذا
برجل من الحاضرين يقول : مات الخطيب ، فارتج الجامع وضح الناس
وضربوا أبدعهم بعضها على بعض أسفا وحزنا ، وأخذنى البكاء وقد اختلت
الصفوف ، وقام كثير من الناس يريدون المنبر ، فقام الخطيب على قدميه ،
ونزل عن المنبر ، فدخل المحراب ، وصلى من غير أن يجهر بالقراءة ، وأوجز
فى صلاته حتى أتم الركعتين » .

(٦٧) يكشف عن ذلك ترجمته لأعلام المتصوفة فى عصره ، وتسليمه
بالكثير من مستغربات الحدوث ، على النحو الذى سوف يكشف عنه من خلال
نهجه فى الكتابة التاريخية ، ومناجاته للموتى فى مناماته (راجع : السلوك
ج ٤ ص ٨١٣ ، حيث مناجاته لابن المواز بعد موته) وتسجيله لذلك ضمن
ترجماتهم .

حاضره ، ولذا أثر مؤرخنا العكوف في بيته منصرفاً الى العبادة (٦٨) والتأليف (٦٩) ، وقد وجد فيهما « السلوى » عما أفتقده من وظائف ، و « السلوان » عما صادفه من الهزات الاقتصادية (٧٠) . والأوبئة والطواعين ، التي فقد في بعضها ابنته « فاطمة » (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) - وقد بلغت سبعا وعشرين سنة ونصفاً - وكانت آخر من بقي من أولاده ، كما كان هو عينه فريسة مرض طويل ، أفضى به الى الموت ، عصر يوم الخميس ، السادس والعشرين من رمضان سنة (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ودفن يوم الجمعة - قبل الصلاة - بحوش « الصوفية البيبرسية » ، خالفاً وراءه تراثاً ضخماً جديراً بدراسته والانتفاع به ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى « ابن حجر » بأنه « كان اماماً بارعاً ، مفقناً ، متقناً ، ضابطاً ، خيراً ، محباً لأهل السنة ، يميل الى الحديث والعمل به حتى نسب الى الظاهر ، حسن الصحبة ، حلو المحاضرة » ولدى « السخاوى » بـ « حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة لمن يقصده ، والمحبة في المذاكرة ، والمداومة على التهجذ ، والأوراد ، وحسن الصلاة ، وفريد الطمأنينة فيها ، والملازمة لبيته » .

(٦٨) أجمعت مصادر ترجمته على ذلك .

(٦٩) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

(٧٠) راجع : المقريزى . اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٧٦ - ٨٠ .

مجهوداته في الكتابة التاريخية

ترك « المقرئى » - رحمه الله - مؤلفات عديدة ، فى مجال التاريخ ، والأنساب ، والعقائد ، والفقه ، والأدب ، والعلوم البحتة (٧١) زادت على نحو مائتى مجلدة كبار (٧٢) ، لكن لم يبق من هذه المؤلفات أو من عنواناتها سوى النزر اليسير ، المبعثر فى مكتبات العالم ، أو المثبت عنواناته لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، ويمكن اجمال مؤلفاته على النحو التالى :

١ - اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (٧٣)

أرخ فيه « المقرئى » للدولة الفاطمية منذ قيامها فى المغرب

(٧١) أشار السخاوى (الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٤) الى أن مؤرخنا كانت له خبرة بالزايحة والاصطلاب والرمل والميقات ، فابن خلدون التمس منه تعيين وقت ولايته ، فأخذ له طالعا ، وعين له يوما فكان كذلك .

(٧٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(٧٣) نشر فى القاهرة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) فيما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ م . فى ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الدكتورين جمال الدين الشيبان ، ومحمد حلمى عبد الهادى .

العربى وحتى سقوطها فى مصر ، مترجما لخلفائها ، مشيرا من خلال ترجماتهم الى الحوادث الواقعة فى زمانهم ، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعة ، مقدما لترجماتهم بالحديث عن اولاد « على ابن أبى طالب » وأعقابهم ، مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين ، والتعريف بنشأة دولتهم فى المغرب العربى ، ومذيلا عليها بالتعريف برسوم دولتهم فى مصر ، وما عاينه الفقهاء والمؤرخون عليهم ، فضلا عما صار اليه أمر أهليهم وذويهم بعد سقوط دولتهم فى مصر .

٢ - الاخبار عن الاعذار(٧٤) :

يبدو أن « المقرئى » عالج من خلاله موضوعا تاريخيا - اجتماعيا ، دار حول ما يقام من ولائم فى البناء (الزواج) والختان(٧٥) .

٣ - ازالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء(٧٦) .

٤ - الاشارة والإيماء الى حل لغز الماء(٧٧) :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقرئى » يوم الثلاثاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) على سبيل التسلية ، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية ، واللغوية ، والبلاغية ،

(٧٤) السخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢ .
(٧٥) راجع : الفيروزابادى . القاموس المحيط ص ٥٦١ - ٥٦٢ ، مادة : « عذر » .

(٧٦) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٨ ، السخاوى . الضوء اللامع ج٢ ص ٢٢ .

(٧٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، قدر لى الاطلاع على اثنتين منها ، فى مصورتين تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة ، تحت رقمى : « ٢٢٠٧٥ » و « ٢٦٢٤٧ » ، ضمن مجموع رسائل المقرئى .

والفقهية ، والعلمية البحتة ، وهى تدور حول حل (تفسير) لغز عن الماء ، تصدرها على النحو التالى :

« ٠٠٠ ما قولكم فى شىء يطير بلا جناح ، يبيض ويفرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وعينه فى موضع قلبه ، يسمع بأذن واحدة ، ويبصر بعين زائدة ، له قرن كالنخلة السحوق ، ويعجب من أبصره ويذوق ، يصلى الى المغرب بالليل ، ويسجد طول دهره لسهيل ، تتقرب به الملوك للخالق ، ويوحدون الله بقلب صادق ، تتقرب به النصارى واليهود ، والكتب المنزلة بذلك شهود ، ريشه كثير ، ووبره غزير ، وطعامه الجوز والعسل ، وبه يضرب المثل ، شرايه اللبن والخمر ، ونقله الملح والتمر ، يكره النسوان ، ويحب الغلمان ، يحمل الأثقال وهو ضعيف ، ويفترس الأسد وهو نحيف ، ان طلب أدرك ، وان طلب أهلك ، يقطع الأرض فى ساعة بلا مال ولا بضاعة ، تعرفه الملوك وتنكره ، وتفهمه السوقة وتخبره ، يسكن القصور ، ويأوى بالليل (الى القبور ، يبكى على الأحباب ، ويندب فقت الشباب ، ما ملكه - قط - بشر ، ولا حازه أنثى ولا ذكر ، تلعب به الصبيان ، وتغلى من سعره الأثمان ، يمازجه الايقاف ، ويتلى فى سورة « ق » ، يصلى ويصوم ، ويقعد ويقوم ، خلقتة لاتحصى ، وصفاته لا تستقصى » (٧٨) .

لكن يعيب هذا المؤلف ماتخلل مادته من التسليم ببعض الخرافات ومستغريات الحدوث ، ومنها قوله مؤكدا على كراهية الماء للنساء وحبه للغلمان :

« ٠٠٠ وقوله : يكره النسوان ويحب الغلمان ، فانه معنى مستغلق ، بعيد الرمى ، يحتاج الى ايضاح ، لأنه لا يعرفه الا الأقل

(٧٨) المقرئى . الاشارة والايماء (مخط . رقم : ٢٢٠٧٥) ق ١ .

من القليل ، ولولا خشية الظن أن أتكثر بما لا أعرف لما سمحت به ،
فإن كثيراً من أصحابنا - غفر الله لهم - يتوهم أحدهم أنه يعرف
العلم كله ، فإذا فضحته شواهد الامتحان تبين أنه لا يعرف شيئاً ،
فنقول :

الأسرار المعتبرة عند أئمة السحرة ، أنه إذا نزل المطر والبرد
تجردت امرأة من جميع ثيابها ، واستلقت على قفاها ، ورقعت
رجليها ، وباعدت ما بينهما ٠٠ نحو السماء ، فإن المطر يرتفع نزوله
عن تلك المزرعة أي الساحة التي بها تلك المرأة ، ولا ينزل عليها منه
شئ مادامت المرأة كذلك ، وشرط بعضهم أن تكون المرأة حائضاً ،

وأما حب الغلمان ، فسر بديع ، لم أر أحداً أبداً تكلم به ، وهو
- أيضاً - من علوم الأقدمين ، وذلك أن العين إذا أرادوا استنباطها
أي كان ماؤها قليلاً وقصدوا غزارته ، فأنهم يعمدون إلى سبعة غلمان
بارعين الجمال ، زائدين في الحسن ، مجيدين بضرب الموسيقى ،
ذوى أصوات مطربة ، ثم يقومون صفاً واحداً متحاذين ، ويبد كل
منهم عود ، وقد استقبلوا بوجوههم منبع العين ، ويحركون أوتار
عيدانهم تحريكاً واحداً ، بإيقاع واحد ، مدة ثلاث ساعات ، بطالع
معروف ، فإن ذلك الماء يسح حتى يبيل أقدامهم ، فكلما تأخروا تبعهم ،
حتى يحصل به الغرض ، فيمضوا .

فاعتبر ذلك بأن تجلس جماعة على شط النيل - سيما وقت
المد - ويكون من الجماعة صبي ، فإذك إذا طلبت البحر تجده عند
تأمله يقذف بموجه إلى جهة الصبي أشد ما يقذف إلى جهة غيره
من الجماعة .

والله في خلقه أسرار بديعة ، يهدى منها ما يشاء لمن شاء « (٧٩) .

(٧٩) المصدر السابق ق ١٧ - ١٨ .

٥ - الإشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام (٨٠) .

٦ - اغاثة الأمة بكشف الغمة (٨١) :

رسالة لطيفة الحجم ، فرغ « المقریزی » من تأليفها فى المحرم سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م (٨٢) ، على أثر المجاعات والكوارث الاقتصادية التى لحقت بمصر فيما بين عامى (٧٩٦ و ٨٠٨ هـ) . عارضا من خلالها لما حل بمصر من غلاء ، وما ترتب عليه من مجاعات أو « كوارث مجيعة » فيما قبل نشوء الاسلام وبعده حتى سنة ثمان وثمانمئة للهجرة ، محصيا منها سنا وعشرين حادثة ، خص مصر الاسلامية منها عشرين ، وردت على سبيل التمثيل لا الحصر ، وقد أشير من خلالها الى أن فيها ما هو أشد وأنكى من المحن المعاصرة ، معللا لهذه المحن بأسباب طبيعية ، كقصور جرى النيل فى مصر ، وعدم نزول المطر فى الشام والعراق والحجاز ، وما يصيب الغلال من الآفات وسماثم الرياح (٨٣) ، وأخرى غير طبيعية ، ترجع الى سوء تدبير ولاة الأمور ، وتقتصر فى ثلاثة ، وهى : ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشا، وغلاء ايجار الاطيان مع زيادة نفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، ورواج الفلوس النحاسية (٨٤) ، وفى هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها فى رأى « المقریزی » ، ولذا صرف

(٨٠) المقریزی . الذهب المسبوك ص ٢٦ .

(٨١) نشر فى القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٥٧ م) بتحقيق الدكتورين « محمد مصطفى زيادة » و « جمال الدين الشيال » .

(٨٢) المقریزی . اغاثة الأمة ص ٤٣ ، ٨٦ .

(٨٣) نفسه ص ٤١ .

(٨٤) نفسه ص ٤٣ - ٤٧ .

جل اهتمامه اليه ، مستطردا منه الى ثلاثة موضوعات ، يمكن
احتمالها على النحو التالى :

١ - النقد الاسلامى ، وتطور سك العملة ، وأثره فى النظام
النقدى فى مصر(٨٥) .

٢ - نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر فى مصر ،
وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب (لعدم ضربها ألبتة ، أو سيكها
حليا(٨٦) ، وما فى هذا التضخم النقدى من أثر على سائر طبقات
المجتمع ، التى حصرها فى سبع(٨٧) فئات ، وهى :

(أ) أهل الدولة .

(ب) أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية .

(ج) الباعة (أصحاب البز) ، وأصحاب المعاش (السوقة) .

(د) أهل الفلح (أهل الزراعات والحرث ، وسكان الريف) .

(هـ) الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ، ونحوهم

(و) أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن .

(ز) السؤال (ذوو الحاجة والمسكنة) .

٣ - أسعار النقد (ذهباً وفضة) ، وبعض السلع ، كالقمح
والشعير والفول والبسلة والحمص والأرز ، ولب اليقطين (الكوسا)
والجزر والفجل واللفت والرجلة ، والقرع والخيار ، الليمون ،

(٨٥) المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٧ .

(٨٦) نفسه ص ٤٧ - ٦٦ .

(٨٧) نفسه ص ٧٢ - ٧٣ .

والبطيخ والعنب والكمثرى ، والترنجيبين (ظل قريب من خيار شنبر
فى الخواص) ، وزهر النيلوفر ، والجمال والبقر والضأن ولحومهما ،
والدجاج وبيضه ، وزيتى السيرج والزيتون ، والسكر والكتان ،
وبعض الملابس القطنية فى مصر ، وما تعامل به هذه السلع من
وحدات الكيل أو الوزن أو القياس ، كالمقنطار والأردب والقسح
والرطل والذراع (٨٨) ، مدللا من خلال ذلك على أن هذه الأسعار « اذا
نسبت الى الدرهم أو الدينار لا يكاد يوجد فيها تفاوت » عما عهد
قبل هذه المحن البتة ، اللهم الا فى أشياء معدودة ، كالحوم الأبقار
لما نزل بالبقر من موت ذريع سنة ثمان وثمانمائة للهجرة ، والسكر
لقلة زراعة قصبه واعتصاره فى سنتى سبع ، وثمان وثمانمائة
للهجرة ، بالاضافة الى ما يقترن بذلك من سوء تدبير الحكام وغفلتهم
عن النظر فى مصالح البلاد (٨٩) .

مقترحا كحل لتفادى حدوث مثل هذه الكوارث الاقتصادية ،
الاقتصار فى النقد على التعامل فى اثمان المبيعات والأجور (قيم
الأعمال) على الذهب والفضة لا غير (٩٠) .

وهكذا ، فقد أخذ « المقرئى » فى دراسته تلك بمبدأ السببية .
متذكرا لمبدأ القدرية ، الذى كان رافضا له منذ الشروع فى انشاء
هذه الرسالة ، كما يفهم من قوله فى مقدمتها :

« . . . ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى
مثلا ، ولا مر فى زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد ، فقالوا : لا يمكن
زوالها ، ولا يكون أبدا فى الخلق انفصالها ، وذلك أنهم قوم لا يفقهون ،

(٨٨) نفسه ص ٧٦ - ٧٩ .

(٨٩) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٩٠) نفسه ص ٨٠ - ٨١ .

وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله آيسون» (٩١) .

منبها الى ما للنفد من اثر عظيم فى المجالين الاقتصـادى والاجتماعى للشعوب ، موجها بعض عناصر هذه الدراسة وجهة نقدية ، هادفة الى التخويف من الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠٠ وزعم كثير من أرباب الأموال أن هذا الغلاء كسنى يوسف - عليه السلام - وطمع أن يشتري بما عنده من الأقوات أموال أهل مصر ونفوسهم ، فأمسك الغلال وامتنع من بيعها ، فلما وقع الرخاء ساست كلها ولم ينتفع بها فرماها ، وأصيب كثير ممن اقتنى المال من الغلال ، فبعضهم مات عقب ذلك شر ميتة ، وبعضهم أجبح فى ماله ، وإن ربك لبالمرصاد ، وهو الفعال لما يريد » (٩٢) .

وقوله :

« ٠٠٠ وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم المائة والمائتين ، ويصيب الأقل من السوقة ربحا فى اليوم ثلاثين درهما ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع ، واكتفوا بذلك طول الغلاء ، وأصيب جماعة كثيرة ممن ربح فى الغلال - من الأمراء والجند وغيرهم - فى مدة الغلاء ، اما فى نفسه بأفة من الأقات ، أو باتلاف ماله التلاف الشنيع ، حتى لم ينتفع . فلقد كان لبعضهم ستمائة أردب باعها بسعر مائة وخمسين الأردب وبأزيد من ذلك ، فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الأول حيث لم ينفعه الندم ، فلما صار اليه ثمن الغلال أنفق

٠ ٤ - ٣ نفسه ص

٠ ٣٢ - ٣١ نفسه ص

معظمه فى عمارة دار ، وزخرفها ، وبالغ تحصينها واجادتها ، حتى اذا فرغت وظن أنه قادر عليها اتأها أمر ربهها ، فاحترقت بأجمعها ، وأصبحت لا ينتفع بها بشىء (٩٣) .

لكن شباب هذه الرسالة - كذلك - تسليم « المقرئى » من خلال مادتها بكثير مما جاء فى مصادرہ من المبالغات أو مستغريات الصدوت ، ومن ذلك اشارته الى أكل الناس - فى مصر - للكلاب والقطط واللحوم الآدمية ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠٠ فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب ، فإذا مر بهم أحد القوها عليه ونشلوه فى أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه » (٩٤) .
وقوله :

« ٠٠٠ فكان الأب يأكل ابنه مشويا أو مطبوخا ، والمرأة تأكل ولدها ٠٠٠ ويدخل بعضهم الى جاره فيجد القدر على النار ، فينتظرها حتى تنهى ، فإذا هى لحم طفل ، وأكثر ما يوجد ذلك فى أكابر البيوت ، ووجدت لحوم لأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مخفية ، وغرق فى دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك ، ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بنى آدم ، بحيث ألفوه ، وقل منهم منه لعدم القوت من جميع الحبوب وسائر الخضروات وكل ما تنبتة الأرض » (٩٥) .

وقوله مشيرا الى نطق ثور جبة عسال :

« ٠٠٠ ووقع بآخر الغلاء أعجوبة فى غاية الغرابة ، لم يسمع بمثلها ، وهى أن رجلا من أهل الفلح بجبة عسال - احدى

(٩٣) المصدر السابق ص ٣٦ - ٣٧ .

(٩٤) نفسه ص ٢٤ - ٢٥ .

(٩٥) المصدر السابق ص ٢٩ - ٣٠ .

قرى دمشق الشام - خرج بثور له ليرد الماء ، فاذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء ، فأورد الثور حتى اذا اكتفى نطق بلسان فصيح أسمع من بالمورد ، وقال : الحمد لله والشكر له ، ان الله - تعالى - وعد هذه الأمة سبع سنين مجدية ، فشفع لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وان الرسول أمره أن يبلغ ذلك ، وأنه قال : يارسول الله ، فما علامة صدقى عندهم ؟ قال : أن تموت بعد تبليغ الرسالة ، وأنه بعد فراغ كلامه صعد الى مكان مرتفع وسقط منه ومات ، فتسامع به أهل القرية ، وجاءوا من كل حذب ينسلون ، فأخذوا شعره وعظامه للمتبرك ، فكانوا اذا بخرها به موعوكا برىء ، وعمل بذلك محضر مثبت على قاضى البلد ، وحمل الى السلطان بمصر ، فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبره ، وشاع ذكره « (٩٦) .

٧ - الامام باخيار من بارض الحبيشة من ملوك الاسلام :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقرئى » أثناء مجاورته فى مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٥ - ١٤٣٦ م) مرتبا لها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة قصيرة جدا ، اقتصر فيها على الصلاة والتسليم .

٨ - امتاع الاسماء بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع (٩٧) .

(٩٦) نفسه ص ٢٨ - ٣٩ .

(٩٧) توجد منه مخطوطة محتفظ بها فى مكتبة « كوبرلى - تركيا » برقم : « ٠٠٤ » ، كتبت فى شوال سنة (٩٦٨هـ / ١٥٦١م) ، تقع فى ستة أجزاء ضمت (٩١٩) ورقة ، مقاسها : ٢٧ × ٤٠ سم ، ومسطرتها نحو ٣٥ سطرا ، وعنها مصورتى : دار الكتب المصرية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٨٨٦ - تاريخ ، ومعهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٦٢ - تاريخ . ولم يطبع منه سوى الجزء الأول - فقط - بتحقيق محمود شاكر . القاهرة ، ١٩٤١م .

مؤلف مطول فى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -
جمع مادته من مصادر رئيسة ومتعددة ، محررا فيه الخلاف حول
كثير من الوقائع ، مع العناية بتحقيق الكثير من المسائل الفقهية
المتصلة بحوادث السيرة (٩٨) ، حدث به « المقرئى » فى مكة (٩٩) ،
ثناء مجاورته فيها (١٠٠) سنتى (٨٤٣ هـ / ١٤٣١ م ، ٨٣٩ هـ /
١٤٣٦ م) .

٩ - الأوزان والأكيال الشرعية (١٠١)

١٠ - البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب (١٠٢) .

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها ، المقرئى « سنة (٨٤١ هـ /
١٤٣٧ م) ، مشيرا من خلالها الى القبائل العربية التى دخلت مصر
مع الفتح العربى ، وأماكن وجودها فى عصره ، مقررأ « أن العرب
الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر ، وجهلت أكثر أعقابهم ،
وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر » (١٠٣) ، حصرت لديه فى

(٩٨) راجع : المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، فيما
تعلق بالصلاة الوسطى .

(٩٩) كانت للمقرئى رحلات متعددة للحج والمجاورة فى مكة ، أتت
فى سنوات متعددة ، منها : ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٨٢٤ ، ٨٣٩ هـ . (= ١٢٨٥ ،
١٣٨٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٦ م) .

راجع : المقرئى . اللام ص ٢ ، درر العقود الفريدة ق ٤ ب ، ١١٧ ،
السلوك ج ٤ ص ٨٥٨ ، الطرفة الغربية ق ١١ .

(١٠٠) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٨٣ ب ، ١٨٦ ، السلوك ج ٤
ص ٨٥٨ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٧ ، السخاوى .
الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

(١٠١) نشره ، روستوك ، ١٧٩٧ م .

(١٠٢) أعاد نشره محققا د . عبد الحميد عابدين (القاهرة ، عالم
الكتب ، ط ١ ، ١٩٦١) ، مع دراسة عن تاريخ العروبة فى وادى النيل .
(١٠٣) المقرئى . البيان والاعراب ص ٣ .

سبت عشرة قباية ، وهى : ثعلبية ، وجرم ، وسنيس ، وجدام ، وبني ، هلال ، وبلى ، وجهينة ، وقريش ، وكنانة ، والأنصار ، وعرف ، وقزارة ، ولواته ، ولخم ، وحرام ، وبني سليم (١٠٤) ، غير مرتب لها على عرف المعجم ، أو على أصول الأنساب (قحطانية وهدنانية) ، أو بحسب منازلهم فى مصر ، فأنت أشبه شىء بمذكرات كتبت على عجل ، وعلى غير نظام واضح .

١١ - التواريخ الكيين المتقى شى تاريخ أهل مصر والواردين

عليها .

معجم تأريخى ضخم ، أتى فى سبت عشرة مجلدة (١٠٥) ،

(١٠٤) د . ابراهيم أحمد رزقانة . القبائل العربية فى مصر عند المقرئى (ضمن كتاب دراسات عن المقرئى) ص ٨٤ .

(١٠٥) يبدو أن « المقرئى » كان ينتوى أن يتبسط فى مادة هذا الكتاب وفى محتواه ، بحيث باتى فى أكثر من ثمانين مجلدة ، لكنه اضطر الى اقتضابه فى هذه المجلدات الست عشرة ، على النحو المفهوم من قول السخاوى (الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢) « ٠٠٠ وهو فى ستة عشر مجلدا ، وكان يقول : أنه لو كمل على ما برومه لجاوز الثمانين » . وقول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٧) « ٠٠٠ ذكر لى - رحمه الله - قال : لو كمل هذا التاريخ على ما أختاره لجاوز الثمانين مجلدا » .

وفى يقينى أنه ترك هذا المؤلف تاما ، فقد أحال من خلال مادته الى تتمات لعناصر بعض الترجمات ، أتت فى ترجمات من حرف الياء ، كنحو قوله (المتقى . مخط . السليمية ، ق ٢٩٦ب) : « ٠٠٠ فلما قدم يانس المقرئى الى طرابلس بعد ولايته برقة ، وخرج متصوالت الى مصر ، كما ذكر فى ترجمة كل منهما ٠٠٠ » ، لكن لم يعد بعثر بعد على نسخة مكتملة من هذا الكتاب ان المعروف للباحثين مده - حتى الآن - خمسة مجلدات تحتفظ بثلاثة منها مكتبة جامعة ليدن ، برقم « ١٣٦٦ » ، وقد احتوت على جزء من ترجمات حرف الهمة ، وترجمات الكاف والمالم ، وجانب من حرف

==

ترجم « المقرئى » فيه لمشاهير أهل مصر - فيما قبل الإسلام وبعضه حتى وقته - على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ممن استقروا فيها ، أو تحولوا عنها الى غيرها من البلدان ، كما ترجم فيه - كذلك - لمن دخلها مستوطننا لها ، أو عابرا فى طريقه الى الحج أو غيره

=

الميم ، أما الرابعة ، فتمتعتظ بها المكتبة الوطنية فى باريس برقم « ٢١٤٤ - عرب » ، وتحتوى على بعض ترجمات حرف الطاء ، وحرف اللام ، وحرف الجيم من حرف العين . وهذه المجلدات الأربعة مسودات بخط « المقرئى » . على حين أتت المجلة الخامسة من الكتاب مبيضة بنير خلك . وقد أصدرت على عدد من ترجمات الكتاب ، ابتداء بأبراهيم ، وانتهاء بخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسى ، وهى محفوظة فى مكتبة السليمانية بركيا ، برقم ٤٩٦ .

وقد اكتشفت أثناء دراستى لمخط « جيته » من درر العزود الفريدة آنز الجزء المتم لحرف العين فى مخط . باريس قد ضم الى هذا الكتاب يد = انخرامه فى آخره .

وهكذا ، فان ما وصلنا من « المفتى » قد أتى فى معظمه مسودات بخط « المقرئى » ، بعد ضياع مقدمة الكتاب وخاتمته ، وترجمات حروف كثيرة ، من الدال الى آخر الحروف .

ومن حسن الحظ أن تصدى أخيرا لاجراج هذا الكتاب مدتنا فى صدرته الحالية الأستاذ « محمد اليعلاوى » . فدفع للطبع بأربعة اجزاء من نماذبة ، وكان قد انتخب منه - قبل ذلك - سبعا وسبعين ترجمة تنتمى الى الفترة العبيدية (الفاطمية) ، ضمها مجلد احتوى على نحو (٤٨٦ صفحة) متوسطة القطع .

راجع . المقرئى . كتاب المفتى الكبير (تراجم مفيدة ومشرقية من الفترة العبيدية) . ت . محمد اليعلاوى . بيروت ، الغرب الاسلامى ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

– يقينا أو ظنا – ومن الطريف أن يذكر أنه ترجم فيه – كذلك – لمن دخل مصر « ميتا محنطا » (١٠٦) ، أو « رأسا مقطوعة » (١٠٧) .

١٢ – تجريد التوحيد المفيد (١٠٨) .

مؤلف لطيف الحجم ، يدور موضوعه حول « علم التوحيد » ، أجمل « المقرئى » الإشارة إليه فى مقدمته بقوله :

« ... وبعد ، فهذا كتاب جم الفوائد ، بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة ، سميته : تجريد التوحيد المفيد ، والله أسأل العون على العمل بيمينه وكرمه » (١٠٩) .

وهذا المؤلف على وجازته ، لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع دينى تقليدى ، وإنما أحاط فيه الى جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الاسلامية ، ذاكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها ، مناقشا لها .

(١٠٦) كتحق قوله (الملقى . مخط . السليمية ق ٢٠٠ أ) مترجمما المنصور بالله اسماعيل :

« ... لما دخل المعز لدين الله أبو تميم معد الى القاهرة كان معه توابيت آبائه : المنصور اسماعيل – هذا – والقائم أبى القاسم محمد ، والمهدى عبيد الله ، فدفنهم بترية القصر من القاهرة ، فلذلك ذكرته فى كتابى هذا » .

(١٠٧) من ذلك ترجمة « خلف بن جبير » ، أحد ثوار المغرب ، وقد قتل فى المغرب ، وطيف برأسه فى « القيروان » ، ثم حملت الى مصر فطيف بها فى « القاهرة » .

راجع : المقرئى . الملقى (مخط . السليمية) ق ٤٣٤ .

(١٠٨) طبع فى القاهرة (المنيرية ، ١٢٧٣هـ) بتحقيق طه الزينى .

(١٠٩) المقرئى . تجريد التوحيد (مخط . جامعة القاهرة ، رقم : ١١/٢٦٢٤٧) ، ق ١١٧٦ .

١٣ - التذكرة (١١٠) .

١٤ - تراجم ملوك المغرب (١١١)

١٥ - تلقیح العقول والآراء فى تنقيح أخبار الجلة
الوزراء (١١٢) .

١٦ - حصول الانعام والمير فى سؤال خاتمة الخير (١١٣) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « سؤال العبد ربه
- تعالى - أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير » ، مستلهما ذلك من قول
« يوسف » - عليه السلام - مناجيا ربه : « توفنى مسلما والحقنى
بالصالحين » (١٠١ : يوسف) .

١٧ - الخبر عن البشر (١١٤)

مؤلف ضخم ، جعله « المقرئى » مدخلا لامتناع الأسماع ،

(١١٠) مؤلف فى التاريخ - كما يوهم ملخصه - أشار ابن تغرى بردى
(المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٨) الى أنه كمل منه ثمانون مجلدة .

(١١١) احتوى على بعض ترجمات ملوك المغرب العربى ، وقد يكون
مذكرات جميعها « المقرئى » من المصادر للانتفاع بها فى بعض مؤلفاته ،
راجع : د جمال الدين الشيبانى . مقسمة تحقيق اتعاط الحنفاء ج١ ص ١٤ .
(١١٢) المقرئى . الخطط ج١ ص ٤٤٢ ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(١١٣) راجع : المقرئى . حصول الانعام والمير (مخط . مكتبة جامعة
القاهرة ، رقم : ١٢/٢٦٢٤٧) .

(١١٤) توجد منه عدة نسخ غير مكتملة ، بيانها كالتالى :
(١) مخط . أحمد الثالث - تركيا ، ذات الرقم : « ٢٩٢٦ » ، وتقع فى
خمس أجزاء ، تبدأ بخطبة الكتاب ، وتنتهى بالحديث عن القوط من ملوك
الأنلس .

مؤرخا من خلاله للخليفة حتى ظهور الاسلام ، هادفا من وراء ذلك الى التعريف بقبائل العرب ، وتمييزها من سائر الأجناس ، ليعرف لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، لكونه - صلى الله عليه وسلم - هاشميا ، قريشيا عربيا ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠ اما بعد ، فان الله - وله الحمد - لما من باكمال كتاب امتاع الأسماع بما للرسول من الأتباع والأوال والحفدة والمتاع - صلى الله عليه وسلم - أردت أن أعمل له مدخلا يشتمل على بدء الخليقة ، ومن سكن الأرض أولا ، وكيف خلق الله - تعالى - آدم - عليه السلام - وبث منه ذريته ، لكى تعرف العرب من بين الناس ، ويتميز جنسها من سائر الأجناس ، ليعلم كيف كان اجتماعها فى غابر الدهر واتفاقها ، ثم كيف كان من بعد ذلك تمزقها واقتراقها ، حتى صارت شعوبا وقبائل وعمائر وأقحاذا وقصائل ، فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بنى هاشم ، وبنو هاشم من قريش ، وقريش من العرب ، فهو - صلى الله عليه وسلم - النبى العربى القرشى الهاشمى ، فلهذا دعت الحاجة الى معرفة العرب ، ليعرب لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، وما خص الله - تعالى - به

(ب) مخط ٠ دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الصورة عن نسخة مكتبة « الفاتح - تركيا » ، ذات الرقم : « ٩٤٧ - تاريخ » ، وتقع فى ستة أجزاء تبدأ بأول الكتاب ، الثلاثة الأولى منها بخط « المقرئى » .
(ج) مخط ٠ دار الكتب الوطنية - تونس ، ذات الرقم : « ٣٥٥٨ » ، (عنها مصورة معهد المخطوطات العربية فى الكويت ، برقم : ٤٣٣ - ، وتبدأ بفاتحة الكتاب ، وتنخرم فى آخرها ، اثناء الحديث عن الاختلاف فى سبب تسمية قريش قريشا .
(د) مخط ٠ مكتبة جامعة الأزهر ، ذات الرقم : « ٤٣٩ - تاريخ / ٦٧٣٣ أباطة » ، وتحتوى على قطعة تبدأ بالحديث عن بنى عدنان ، وتنتهى بذكر « أسماء » ، احدى منجيات العرب .

قريشا من مزايا الشرف العظيم ، وما حبى به بنى هاشم من ولادة
الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

ثم لما رأيت فضل الله على بما علمنى وفهمنى عظيما ، ومنته
وطوله بما رزقنى من كثرة الاشراف على مقالات الخليفة جسيما ،
جعلته كتابا مستقلا لاتساعه وكثرة فوائده ، وشرف أوضاعه ،
وسميته : الخبير عن البشر «(١١٥) .

وترجع أهمية هذا الكتاب - كذلك - الى احتوائه - فضلا عن
ذلك - على مادة رئيسية ، تكشف عن مفهوم « المقرئى » - صراحة -
لموضوع « علم التأريخ » ، وأقسامه ، وقراره بفوائده ، وتحمسه
للدفاع عنه .

١٨ - خلاصة القبر فى كتاب السر(١١٦) .

١٩ - درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة(١١٧) .

(١١٥) المقرئى . الخبير عن البشر (مخط . تونس) ق ٤ أ .

(١١٦) المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٦٢ .

(١١٧) عرف لهذا الكتاب نسخة مكتملة . تملكها د . محمود النجلى
بالارث عن أجداده . وحبسها عن الدارسين ، ولم يشأ نشرها أو اذاعتها ،
رغم مناشدة بعض المؤرخين والمتخصصين له ذلك ، وهى تقع فى مجلدين ،
يحتويان على (٩٧٢) صفحة ، مقاسها حوالى ٢٧ × ١٩ سم ، ومسطرتها
نحو ٢٩ سطرا ، تداول كتابتها ناسخان فى سنة واحدة . نقلا عن مخط .
المؤلف . فقد جاء فى آخر صفحات المجلد الاول (المشتمل على مقدمة الكتاب
وترجمانه حتى نهاية حرف الطاء) قول ناسخه :

« نجز الجزء الأول من تاريخ المقرئى ، بحمد الله وعونه وحسن ترفيقه
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،
على يد الفقير الى الله - تعالى - على بن محمد بن عبد الله الفيومى ،
حامدا لله ، ومتوسلا برسول الله داعيا لملكه ، زاهدا عن السعادة

=

١٩٣

(م ١٢ - أربعة مؤرخين)

معجم فى ترجمات أعيان عصر « المقرئزى » ، أشار فى مقدمته الى دافعه لتأليفه ، قائلًا :

« ٠٠٠ وبعد ، فانى ما ناهزت من سنئ العمر الخمسين ، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزنى لفقدهم ، وتنغص عيشى من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقاءهم بتذكارهم ، وعوضتها عن مشاهدتهم بإستماع أخبارهم ، وأملت ما حضرنى من أنبائهم فى هذا الكتاب » (١١٨) .

المجمع العلمئ العراقئ ، ذات الرقم . « ٢١٣ » ، ويقع فى نحو (١٨٥) ورقة ، مزدوجة الصفحات ، شغل الكتاب منها نحو (١٥٠) ورقة ، حيث انخرم فى أثناء حرف الألف ، وفى أنر ترجمة « ايدكو » ، ملك الترك ، لتنضم اليه عدة أوراق - بخط « المقرئزئ » - من كتاب « المقفئ » ، تشتمل على عدد من ترجمات « حرف العين » الذى أشير فى بعض المراجع الحديثئة الى فقدانه .

وتصدره ديباجة ، محتراها :

« كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، تأليف فقير عفو الله ، أحمد بن على ابن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم ابن عبد الصمد بن أبئ الحسن بن تميم ، الشهير والده بابن المقرئزئ ، الشافعى ، غفر الله ذنوبه ، وستر بيمته وفضله عيوبه ، انه تريم » .

وتلك قطعة جيدة ، صالحة لدراسة الكتاب وتقويمه ، لكونها بخط مؤلفه ، فضلا عن اشتمالها على ديباجة الكتاب ومقدمته ونحو (٢٥٢) ترجمة من مجموع ترجماته ، البالغ عددها (٥٥٦) ترجمة - فيما أشار اليه د . « الجليلئ » - أى بنسبة (٦٢.٥ ٪) من المجموع الكلى لترجمات الكتاب ، شغلت منها ترجمات النساء «خمس» ترجمات - فقط - بنسبة (١.٤ ٪) الى ترجمات الرجال .

(١١٨) المقرئزئ . درر العقود الفريدة (مخط . جيته) ق ١٢ .

وتُسميته له : « ٠٠٠ وسميته درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » (١١٩) .

ومحتواه :

« ٠٠٠ ثم ائى رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من أدركته ، سواء غاب عنى أو رأيت ، من أهل مصر كان أو غيرها من البلدان ، فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والزوراء ، وأنكر رواية الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، ومن له ذكر شهير ، أو قدر نبیه خطير ، اما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى . من ابتداء سنة ستين وسبعمائة » (١٢٠) .

وهو بهذا يكون قد حدد الحيز الزمانى لكتابه بسنة « ستين وسبعمائة للهجرة » فما بعدها الى قبيل وفاته ، أما الحيز المكاني فقد تركه فضفاضاً ، ليتسع لترجمات من عاصروه فى مصر وفى غيرها من الأقطار المعروفة له ، فى الشام والحجاز واليمن والعراق والمغرب العربى والهند والحبشة وتركيا ٠٠ ماداموا قد شهرُوا فى عصره ، واطلع هو على مادة ترجماتهم ٠

أما الترجمات وعددها فى الكتاب (٥٥٦) ترجمة (١٢١) ، فقد ترجم فيها لمشهورى الرجال والنساء فى عصره من سائر طبقات المجتمع ، بأسلوب سهل ، وعبارة سليمة ، خالية من التعقيدات اللغوية ، والزخارف اللفظية ، أو الأخطاء النحوية ، اللهم الا ما كان سبق قلم أو عفو خاطر ، مرتباً لهم على حروف المعجم ، ابتداء

(١١٩) نفسه ٠

(١٢٠) نفسه ق ٣ ب ٠

(١٢١) د ٠ محمود الجليلى ٠ درر العقود الفريدة مج ١٣ ص ٢٠٢ ٠

بترجمة « ابراهيم بن محمد بن بهادر » ، المعروف بابن زقاعة (١٢٢) ،
وانتهاء بترجمة « يوسف بن حسين الراحى » (١٢٦) ، معتبرا فى
ترتيبهم اسم العلم المترجم له فحسب ، غير ملتفت الى أسماء الآباء
أو الأجداد ، بحيث ترجم لمن اسمه « ابراهيم » ، « فأبو بكر » ،
« فأحمد » ، « فاسحاق » ، « فاسكندر » ، « فأسماء » « فاسماعيل »
٠٠٠ وهكذا ، مغفلا ترتيب الترجمات فى « الاسم المفرد » باعتبار
ما يليه فى سلسلة النسب من أسماء ، فأتت ترجمة « أحمد بن بليان »
متوسطة لترجمتى « أحمد بن عبد الله » و « أحمد بن ياسين » ، كما
أتت ترجمة « أحمد بن حسن » متوسطة لترجمتى « أحمد بن نصر
الله » و « أحمد بن ابراهيم » . وهذا لايتأتى معه الكشف بسهولة
عن المترجم له ، ان لايد - مع معرفة الحرف المترجم فيه - من الشروع
فى مطالعة سائر ترجمات الاسم المشترك معه للعثور على الترجمة
المقصودة ، أو التأكد من خلو الكتاب منها .

٢٠ - الدرر البضية فى تاريخ الدولة الإسلامية (١٢٤) .

٢١ - ذكر ما ورد فى بيان الكعبة المعظمة (١٢٥) .

لعله مختصر « الاشارة والاعلام ببناء الكعبة البيت
الحرام » (١٢٦) .

-
- (١٢٢) الميرزى . درر العقود الفريدة ق ٣ .
(١٢٣) د . محمود الجليلى . درر العقود الفريدة مج ١٣ ص ٢١٦ ،
حيث أورد ترجمته مصورة عن مخط . الكتاب .
(١٢٤) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣ .
(١٢٥) د . جمال الدين الشيال . مقدمة تحقيق « اتعاظ الحنفاء » ج ١
ص ١٨ ، ولا أدرى مصدره فى ذلك .
(١٢٦) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

٢٢ - الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك (١٢٧) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول التأريخ لمن حج
من الخلفاء والملوك فى خلافته أو ملكه ، فرغ « المقرئى » من
تصنيفها فى ذى القعدة سنة (٨٤١ هـ - ١٤٣٨ م) ، مرتباً لها
على مقدمة وخاتمة ، حصرتها فيما بينهما ثلاثة فصول .

أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى تسميته للكتاب ، مهدياً اياد
الى شخصية كبيرة فى عصره ، عزمت على الحج ، لم يفصح عن
اسمها .

وأما الخاتمة ، فقد أتت مقتضية للغاية ، تبين عن الفراغ من
كتابته وانتهاء مادته ، على النحو التالى :

« ٠٠٠ والله - سبحانه - أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب
العالمين » (١٢٨) .

وأما الفصول ، فقد أجمل فى أولها الاشارة الى « حجة
الوداع » ، لكونه - صلى الله عليه وسلم - « هو الذى بين للناس
معالم دينهم » (١٢٩) ، مشيراً من خلال ذلك الى بعض شعائر الحج
والعمرة ، كالأقران والتمتع والهدى .

وجعل ثانيها لمن حج من الخلفاء فى خلافته ، مترجماً من

(١٢٧) نشره فى القاهرة (الخانجى ، ١٩٥٥) ، د . جمال الدين
الشيال .

(١٢٨) المقرئى . الذهب المسبوك ص ١٢١ .

(١٢٩) نفسه ص ٥ .

خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة ، مؤرخا لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالي :

م	دولة الخلافة	عدد الخلفاء
١	الخلافة الراشدة	٣
٢	الخلافة الأموية	٦
٣	الخلافة العباسية فى العراق	٣
٤	الخلافة العباسية فى مصر	١

وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكا أو سلطانا - ممن حج فى ملكه أو سلطنته - منذ انقسمت الخلافة الاسلامية الى دويلات يحكمها ملوك ، وحتى عهد الأشرف شعبان ، أحد سلاطين المماليك - مع التأريخ لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالى :

م	الدولة	عدد الملوك
١	اليمن (الصليحية)	١
٢	(الأيوبية)	٢
٣	(بنو رسول)	٣
٢	الأيوبية فى الشام	٢
٣	الأتابكية فى الموصل وحلب	١
٤	الملوكية الأولى	٣
٥	التكرور	١

وترجع أهمية هذا المؤلف - على اقتضاب مادته - الى أنه احتوى على العديد من المعلومات المركزة المتصلة بالحج ، من تعريف بشعائره (١٣٠) ، وما اتصل به من الاعلان (الذداء) بالحج (١٣١) ، والعادة فيه ، وإدارة المحمل (١٣٢) ، وكسوة الكعبة (١٣٣) ، وعمارة المسجد الحرام (١٣٤) ، وتمهيد طريق الحج ، واصلاح مناسكه (١٣٥) ، والدعاء للسلطين فى الخطبة (١٣٦) - فى الحرمين - ومواكب السلطين والخلفاء عند خروجهم للحج (١٣٧) ، وما يتجهزون به من أطعمة ومتاع (١٣٨) ، أو يعد لنزولهم فى الطريق من البيوت (١٣٩) ، والقصور (١٤٠) ، وما يتبعها من اقامة الركايا والبرك والمصانع لخرن المياه (١٤١) ، وتنظيم البريد (١٤٢) .

-
- (١٣٠) المصدر السابق ص ٨ - ١٠ .
 - (١٣١) نفسه ص ١١ .
 - (١٣٢) نفسه .
 - (١٣٣) نفسه ص ٤٣ - ٤٤ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١١٤ .
 - (١٣٤) نفسه ص ١٤ - ١٥ ، ٢٩ - ٣٠ ، ٤٥ .
 - (١٣٥) نفسه ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ .
 - (١٣٦) نفسه ص ٦١ ، ٦٩ ، ٨٨ .
 - (١٣٧) نفسه ص ٩٩ - ١٠١ .
 - (١٣٨) نفسه ص ٩٠ ، ١٠٠ - ١٠١ .
 - (١٣٩) نفسه ص ٣٨ - ٣٩ .
 - (١٤٠) نفسه ص ٤٥ .
 - (١٤١) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٥ .
 - (١٤٢) نفسه ص ٤٥ .

٢٣ - السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٣)

مؤلف مطول فى تاريخ مصر الاسلامية ، أراد به « المقرئزى » أن يكون خاتمة لحلقة كبيرة ، عنى فيها بالتاريخ لمصر منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، اشتمل على التاريخ لمصر فى ظل حكم سلاطين الأيوبيين والمماليك ، فيما بين سنتى : (٥٦٧ هـ - ١١٧١ م ، و ٨٤٤ هـ - ١٤٤١ م) ، وقد نظمت مادته على الحوليات المتخللة لدول سلاطين هاتين الدولتين ، والحاوية للحوادث والتراجم وأن توسط فى ايراد الحوادث ، واقتضب فى ايراد التراجم ، اكتفاء بما ورد منها فى مؤلف آخر له ، هو « التاريخ الكبير الملقى » ، على النحو المدرك من قوله :

« ٠٠٠ أما بعد ، فانه لما يسر الله وله الحمد باكمال كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاط الحنفاء بأخبار الخلفاء ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء ، منذ فتحت والى أن زالت الدولة الفاطمية ، أحبيت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والجركسية ، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر فى أيامهم من الحوادث والماجرئات غير معتن فيه بالتراجم والوقيات ، لأنى أفردت لها تأليفاً بديع المثال ، بعيد المنال ، فألفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الاكثار الممل والاختصار المخل ، وسميته : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٤) . »

(١٤٣) طبع فى القاهرة ، (لجنة التأليف والترجمة ، ودار الكتب المصرية) فيما بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٧٣ ، بتحقيق الدكتورين محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، فى أربعة أقسام ، يتألف كل منها من ثلاثة اجزاء .

(١٤٤) المقرئزى . السلوك ج ١ ص ٢٨ .

مع التمهيد لموضوعه بعرض سريع وموجز لما كان عليه الكافة قبل الاسلام ، والتاريخ للدولة الاسلامية ، منذ البعثة المحمدية وحتى سقوط دولة الخلافة العباسية في بغداد ، والتعريف بالدولتين البويهية والسلجوقية (١٤٥) .

٢٤ - شارع النجاة (١٤٦) .

أشار « السخاوى » الى أنه « يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها ، مع أدلتها وتوجيه الحق منها » (١٤٧) .

٢٥ - شذور العقود فى ذكر النقود (١٤٨)

رسالة لطيفة الحجم ، انقسمت الى مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما ثلاثة فصول ، أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب : « نبذة لطيفة فى أمور النقود الاسلامية » (١٤٩) ، وأنه أنشئ تلبية « للأمر العالى » ، الذى يرجح أن يكون شخصية كبيرة فى بلاط « المؤيد شيخ الحمودى » (١٥٠) ، وأما الخاتمة ، فقد أتت

(١٤٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨ - ٦١ .

(١٤٦) المقرئى . المذهب المسبوك ص ٥ ، ٧ .

(١٤٧) السخاوى . الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٣ .

(١٤٨) طبع باسم : « النقود العربية القديمة (ضمن مادة كتاب :

انستاس مارى الكرملى . النقود العربية وعلم النميات . بيروت ، بدون

تاريخ ، ص ٢١ - ٧٣) ، استنادا الى ما جاء فى عنوان مخط . جامعة

القاهرة ، ذات الرقم : ٣٦٢٤٧ ، بينما جاء العنوان الصحيح فى مخط .

ليدن (راجع : مصورة معهد لحياء المخطوطات العربية ، بالقاهرة ، ذات

الرقم : ١١١٠ - تاريخ) .

(١٤٩) المقرئى . النقود القديمة الاسلامية ص ٢١ .

(١٥٠) يشير الى ذلك امتداحه للمؤيد شيخ والدراهم المؤيدية وحطه على

الناصر فرج .

متضمنة مايشير الى الانتهاء من مادة الكتاب ، على النحو التالى :

« ٠٠٠ والله - تعالى - يختم بخير أعمالنا ، والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (١٥١) .

بينما جعل الفصل الأول للحديث عن « النقود القديمة » التى كانت للناس على وجه الدهر ، وجعل الفصل الثانى للتعريف « بالنقود الاسمية » - نشأتها وتطورها - وجعل الفصل الثالث للحديث عن « النقود المصرية » ، وهو فى هذه الفصول الثلاثة يشير الى انواع النقود ، وأوزانها ، أو أعيرتها ، وزيوفاها ، وماحدث فيها من التغيير والتبديل على اختلاف عصورها .

٢٦ - ضوء السارى فى معرفة خير تميم الدارى (١٥٢) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول صحابى جليل ، هو « تميم بن أوس الدارى » - رضى الله عنه - وكان نصرانيا ، جاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأسلم ، وروى الرسول عنه حديث « الجساسة والمسيخ الدجال » (١٥٣) ، فأنفرد هو من دون الصحابة - رضوان الله عليهم - بذلك وكانت روايته - عليه السلام - عنه « من باب رواية الفاضل عن المفضل ، والمتبوع عن تابعه » (١٥٤) ، وقد استعرض « المقرئى » من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس وأنساب العرب ، وقدم وقد الدارين على الرسول - صلى الله عليه وسلم - واسلام « تميم » ، وتحديثه - عليه السلام - عنه ،

نفسه ص ٦٢ - ٦٥ .

(١٥١) المصدر السابق ص ٧٢ .

(١٥٢) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط١ ، ١٩٧٢) ، بتحقيق محمد

أحمد عاشور .

(١٥٣) المقرئى . ضوء السارى ص ٢٨ - ٥٢ .

(١٥٤) نفسه ص ٤٥ .

واقطاعه اياه قرىتي « جبرون وعينون » - ولم يكن فتحهما حدث بعد - وما كان من أحوال « تميم » فى الجاهلية والاسلام ، معددا لمآثره ، مؤرخا لوفااته بسنة أربعين للهجرة ، مناقشا من خلال تلك الرسالة « قضية الهبة » مناقشة فقهية قضائية ، مخدتما لها بالتعريف بما آل اليه مصير « جبرون وعينون » حتى وقته .

٢٧ - الطريقة الغربية من أخبار وادى حضرموت العجبية(١٥٥)

رسالة لطيفة الحجم ، استفاد « المقرئى » مادتها فى مكة ، أثناء مجاورته فيها سنة (٨٣٩ - ١٤٣٦ م) من بعض القادمين عليه من أهل حضرموت ، ابتدأها بمقدمة موجزة ، أشار فيها الى ذلك ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فهذه جملة من أخبار وادى حضرموت ، علقها بمكة - شرفها الله تعالى - أيام مجاورتى بها ، فى عام تسعة وثلاثين وثمانمائة ، حدثنى بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت » (١٥٦) .

أتبعت بوصف جغرافى موجز لبلاد حضرموت ، وما تردد فى بعض المصادر من الاختلاف فى نسب « حضرموت » ، وما شهرت به هذه البلاد من مزروعات أو حيوان (كالمأشية والابل) « مذيلا عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية ، المتضمنة الكثير من

(١٥٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . شستريتى ، ذات الرقم : ٤١١٨ ، فى مصورتها المأخوذة عنها ، والمحتفظ بها لدى معهد الخطوط العربية فى الكويت ، برقم : ٢/٧٧٦ ، وتقع فى ست ورقات مزدوجة الصفحات مقاسها ٢٦×٢١ سم ، ومسطرتها نحو ١٩ سطرا ، مع مراجعة مخط . ولى الدين ، فى مصورتها المحتفظ بها لدى جامعة القاهرة ، برقم . ٢٦٢٤٧ .

(١٥٦) المقرئى ، الطريقة الغربية (مخط . شستريتى) ق ١١ .

الخرافات أو مستغربات الحدوث ، مما وثق مؤرخنا به ، كنحو
قوله :

« ٠٠٠ وذلك أن الواحد منهم عنده خرزة من كنوز ظفروا بها
من عهد عاد ، فإدا أراد أحد منهم أن ينقلب نثباً تشاءب مرارا .
وأحمر لونه ، فيخرج الخرزة من حقه ويبتلعها ، فينقلب فى الحال
نثباً له نذب ووير ، ويمشى على أربع ، ويسوح فيقترس من وجده
من بنى آدم ، وما يظفر به من الغنم ، ولا يزال كذلك حتى إذا أراد
أن يخرج من مسلاخ الذهب الى هيئة الانسانية وصورته ، وتمرغ
بالأرض ، وإذا به يشرا سويا كما كان ، فتقع تلك الخرزة ، وكلما
أراد أن ينقلب نثباً بلعها كما تقدم ، فإنه يصير نثباً ، وهذا أمر
مشهور عند جميع أهل حضرموت ، لا ينكره أحد منها ، لمعرفةم به
المعرفة التامة » (١٥٧) .

وقوله :

« ٠٠٠ وهذا الصنف من النساء لهن مع ذلك قوة التشكل
والانقلاب فى هيئة رخمة أى حدأة ، ثم تمر الواحدة منهن وقد صارت
كذلك فى الهواء ، ويصير صياحها كصياح الرخمة أو الحدأة ، فإذا
سمع أهل حضرموت صياحهن علموا أن السواحر قد اجتمعن على
أحد يردن به شيئاً من أعمالهن ، فإذا كان لواحدة من هؤلاء النساء
رجل من أقاربها أو زوج لها فى سفر ، ولو أنه بأقصى الهند ، فإنها
تتشكل حدأة أو رخمة ، وتمر فى الهواء حتى تأتبه وتعرف خبره ،
وتعود من ليلتها فتخبر بذلك ، فيكون كما أخبرت » (١٥٨) .

وقوله :

« ٠٠٠ وفى جبال ظفار قوم يقال لهم : القمر ، أهل بادية ،

٠ المصدر السابق ق ٣ أ

٠ نفسه ق ٣ ب

وقد جرت العادة فى ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا مطرا غزيرا جدا ، فاذا أراد أحد أن يسافر فى مدة المطر الى جهة من الجهات ، طلب واحدا من القمر ، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر ، ثم سار معه والمطر نازل ، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة ، حتى يبلغ حيث يريد «(١٥٩)» .

• وما شابه ذلك من مستغربات الحدوث .

٢٨ - عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط

أشار « المقرئى » اليه فى صدر كتابه « اتعاظ الحنفاء » بقوله :

« ... ضمنتها ما وقفت عليه ، وأرشدنى الله - سبحانه - اليه ، من أحوال مدينة الفسطاط ، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصارت دار اسلام ، الى أن قدمت جيوش الامام المعز لدين الله أبى تميم معد من بلاد المغرب ، مع عبده وقائده وكتابه ، أبى الحسين ، جوهر القائد الصقلى ، فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونزلت فى شمالى الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة ، وحل بها «(١٦٠)» .

وهكذا ، فقد اشتمل هذا المؤلف على فترة من تاريخ مصر الاسلامية امتدت فيما بين الفتحين الاسلامى والفاطمى لها .

٢٩ - قرص سيرة المؤيد لآين ناهض(١٦١) .

(١٥٩) نفسه ق ٥ .
(١٦٠) المقرئى . اتعاظ الحنفاء ج ١ ص ٤ ، وراجع السلوك ج ١ ص ٢٨ .
(١٦١) السخاوى . الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٣ .

٣٠ - ما شاهدته وسمعه مما لم ينقل في كتاب

يبدو أنه احتوى على كثير من النوادر التاريخية وغير التاريخية مما عايشه « المقرئى » أو أخبر به ، على النحو المدرك من قول السخاوى :

« ٠٠٠ ومن أعجب ما فيه انه كان فى رمضان سنة احدى وتسعين (وسبعمائة) مارا بين القصرين ، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك ، واجتمع عليه الناس . قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك » (١٦٢) .

٣١ - مجمع الفوائد ومنبع الفوائد

ذكر « السخاوى » مشيراً الى أنه « يشتمل على علمى العقل والنقل ، المحتوى على فنى الجدل والبهل ، بلغت مجلداته نحو المائة » (١٦٣) ، بينما أشار « ابن تغرى بردى » الى أنه « كمل منه نحو الثمانين مجلدا كالتمذكرة » (١٦٤) .

٣٢ - مختصر الكامل فى الضعفاء لأبن عدى (١٦٥) .

٣٣ - معرفة مايجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم (١٦٦) .

(١٦٢) نفسه ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٦٣) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(١٦٤) ابن تغرى بردى . المنزل الصافى ج ١ ص ٣٩٨ .

(١٦٥) توجد منه نسخة خطية فى مكتبة « مراد ملا - تركيا » ، تقع فى نحو (٣١٥ ورقة) ، مقاسها : ١٧٥ × ٢٥ سم ، ومسطرتها نحو ٢٥ سطرا ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : « ٤٥٦ - تاريخ » .

(١٦٦) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط ٢ ، ١٩٧٣) بتحقيق محمد

أحمد عاشور .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوي على المسلمين من حُبهم واجلالهم ونصرتهم ومودتهم ، فرغ « المقرئى » من تأليفها فى ذى القعدة سنة (٨٤١ هـ - ١٤٣٨ م) مرتبا لها على مقدمة ، أشار فيها الى دافعه الى تأليفها ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فانى لما رأيت أكثر الناس فى حق آل البيت مقصرين ، وعمالهم من الحق معرضين ، ولقدارهم مضيعين ، وبمكانتهم من الله - تعالى - جاهلين ، أحببت أن أقيد فى ذلك نبذة تدل على عظم مقدارهم ، وترشد المتقى الله - تعالى - على جليل أقدارهم ، ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده » (١٦٨) .

تتبعها فصول خمسة ، شارحة من خلال أقوال أئمة اللغة والتفسير لخمس آيات قرآنية ، مع ما اتصل بها من الأحاديث النبوية ، عالج موضوعه من خلالها ، وهى قوله تعالى :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٣٣ ! الأحزاب) .

« والذين آمنوا واتبعتم نريتهم بايمان ألحقنا بهم نريتهم » (٢١ : الطور) .

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا » (٨٢ : الكهف) .

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم » (٢٣ : الرعد) .

• (١٦٧) المقرئى . معرفة ما يجب لآل البيت ص ٨٦ .

• (١٦٨) نفسه ص ١٧ .

« قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » (٢٣) :
الشورى) .

مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشفهية
- التى أمدته بها شيوخه ورفقته - وتدور كلها حول الحث على حب
آل البيت النبوى وتعظيمهم (١٦٩) .

٣٤ - المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية (١٧٠) .

مؤلف علمى بحث ، يبحث فى المعادن ، أشار « المقرئى » من
خلاله الى كروية الأرض ، وحركتها ، واحاطة الماء باليابسة من
سائر جهاتها ، والأجسام المتولدة عليها ، وتكويناتها ، مستطرقا
للحديث عن المعادن ، كاشفا عن المعروف له من أقسامها ، وتكويناتها ،
وصفاتها ، وأمكنة وجودها ، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها .

٣٥ - مقالة لطيفة وتحفة سنية منيفة فى حرص النفوس على
الذكر (١٧١) .

رسالة لطيفة الحجم ، أنشأها « المقرئى » هادفا من خلالها
الى الترغيب فى عمل الخير ، مقدما لموضوعها بقوله :

« ... وبعد ، فهذه مقالة لطيفة ، وتحفة سنية شريفة ، فى
حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر ، أسأل الله - تعالى - أن

(١٦٩) المصدر السابق ص ٨٠ - ٨٦ .

(١٧٠) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم :
١٠/٢٦٦٤٧ .

(١٧١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم .
١١/٢٦٦٤٧ .

يجعل لنا ثناء حسنا فى الصالحين ، وأن يحبونا بالزلفى يوم الدين ،
بمنه وكرمه « (١٧٢) » .

متبعيا ذلك بموضوع الكتاب ، وقد أشار من خلال مادته الى
أن « اليقاع من أعظم وأحسن صفات الله تعالى « فى حين » ليس
للعبد من نفسه الا العدم » ، و « الفاضل هو الذى يحرص على بقاء
ذكره دائما » ، على النحو الوارد فى القرآن - الكريم - على لسان
ابراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين »
(٨٤ : الشعراء) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا بأس أن يحب
الرجل أن يثنى عليه صالحا » ، إذ « ذكر الفتى عمره الثانى » ،
و « الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمره وأطولهما
وأشرفهما » ، حثا مطالع هذه الرسالة على أن يكون « كما ورد » ،
يرحل ويترك أريجا طيبا ، ولا يتأتى ذلك الا بتهديب الأخلاق ،
والرياضة ، والسلوك الى الله - تعالى - والتعلى بالأداب الفاضلة
الروحانية .

٣٦ - منتخبات التذكرة (١٧٣) .

مؤلف فى التاريخ الاسلامى العام ، اقتصر فيه « المقرزى »

(١٧٢) المقرزى . مقالة لطيفة وتحفه سنبة منيفة ق ١٩١ أ .
(١٧٣) اعتمدت هذه الدراسة على المجلد الأول - المتبقى - من هذا
المؤلف ، فى مصورته المحتفظ بها لدى « دار الكتب المصرية » فى القاهرة ،
يرقم : ١٦٥٨ - تاريخ ، عن مخط . المكتبة الأهلية - باريس ، ذات الرقم :
١٥١٤ - عرب ، وتقع فى نحو ١٦٦ ورقة ، لطيفة الحجم ، مزدوجة الصفات
باستثناء أولها وآخرها ، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا ، وقد جاء على
صفحة الغلاف قوله :

« كتاب منتخب التذكرة فى التاريخ ، تأليف الامام العلامة ، تقى الدين ،
أبو بكر (كذا) المقرزى ، تغمده الله برحمته ورضوانه أمين » .
كما جاء فى الهامش الأيسر من الصفحة عينها قوله :

على « ذكر العرب والفرس » دون غيرهم « من الأمم المطيقة بهم في أطراف الأرض » ، اختصره عن مؤلف أيسط منه أسماه : « التذكرة » فكان ما أوردته في هذا المؤلف « اللب منه » .

أما التذكرة ، فلم يبق منه - فيما أعلم - سوى ما لخصه « ابن قطلوبغا الحنفى » عنه في مؤلفه « تاج التراجم » - على نحو ما سوف يشار إليه في هذا البحث - وأما « منتخب التذكرة » ، فلم يتبق منه سوى مجلد لطيف الحجم ، انخرم في آخره ، فأراد الناسخ إيهام اكتماله ، مزيلا آخر صفحاته بقوله : « ثم الكتاب ، بحمد الله وحسن توفيقه » (١٧٤) .

ويحتوى هذا المجلد من « المنتخب » على مقدمة ، أشعار « المقرئى » فيها الى موضوع الكتاب ومنهجه في إيراد محتواه ، قائلا :

« ... ويعد ، فهذا كتاب عديم المثال ، قريب التناول ، فى جمل التاريخ ، انتخبته من كتابى المسمى بالتذكرة ، فأقول وبالله التوفيق » .

« ذكر الذهبى فى تاريخ الاسلام قال . فى سنة ٨٤٢ من الهجرة النبوية أحسن الله ختامها ، توفى فى عصر يوم الخميس سادس عشرى شهر رمضان من السنة المذكورة عن نحو الثمانين مؤرخ الوقت تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقرئى ، القاهرى ، مصنف هذا الكتاب ، رحمه الله تعالى » .

ولا يخفى وجه الخطأ فى نسبة هذا القول الى الذهبى ، فضلا عن تضمن تاريخ الاسلام له ، وفى التاريخ للوفاة .
« (١٧٤) المقرئى . منتخب التذكرة ق ١٦٦ ١ » .

أعلم أن أبلغ المواضع للتفكر فى القرون السالفة والأعصار ،
بانقراض جيل بعد جيل ، وفنساء قبيل اثر قبيل ، وقد نبهنا الله
- تعالى - على ذلك بقوله : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون فى مساكنهم ، ان فى ذلك آيات أفلا يسمعون » (٢٦ :
السجدة) ، فجعل الاعتبار بهم هداية لمن عقل ووعى .

وقال تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (٨٢ : غافر) ، الى غير ذلك
من الآيات .

وأنا أذكر فى هذا الكتاب جملا من تاريخ الملوك والأعيان ،
ومدة ملك كل واحد منهم ، ووقت انقضائه ، وأنسابهم ، وتلخيص
أحوالهم ، عادلا عن الاطالة ، ومتنكبا شرح الحوادث ، فان تلك
موجود فى كتب التواريخ على شدة الاختلاف فيه ، وهذا إنما هو
اللب من الكتاب ، فلا يليق به أبسط مما ضمنته ، ثم اقتصر على
ذكر العرب والفرس ، فان من عداهم من الأمم المطيفة بهم فى أطراف
الأرض لا نجد فائدة فى تكلف علم أحوالهم ، ولا وقعت الينا متسقة ،
وفيما وقفت عنده كفاية للمعتبر ، وفائدة ما تحويه من معرفة أهل
كل زمان ، والله الميسر لما يرضيه ، والموفق لاجتناب ما يسخطه ،
ويباعد عن طاعته (١٧٥) .

يتبع ذلك عرض سريع لمبدأ الخليقة ، يتلوه تعريف موجز بملوك
العرب بالفرس فى الجاهلية (فيما قبل الاسلام) ، وكأنه جعل منهما
مدخلا لموضوع الكتاب ، ثم يبدأ التاريخ للدولة الاسلامية بسيرة
موجزة للمرسول - صلى الله عليه وسلم - تضمنت العناصر التالية :

نسبه ، أمه ، مولده ، بعثته ، هجرته ، وفاته ، سننه حال
الوفاة ، ما تبع الوفاة من تجهيز ودفن ، أحواله - صلى الله عليه
وسلم - فى الجاهلية والاسلام ، صفته ، أزواجه ، أولاده ، مواليه .
كتابه ، ما كان له - عليه السلام - من الخيل والبغال والابل واللقاح
والسلاح ، حجه ، غزواته .

متبعاً سيرته - صلى الله عليه وسلم - بترجمات قصيرة للخلفاء
فى دولتى الخلافة الراشدة والخلافة الأموية ، مذيلاً على ترجماتهم
بحوليات متتابعة ، « منذ أول سننى الهجرة الى آخر أيام بنى أمية
(١ : ١٣٢ هـ) اقتضب فيها الحوادث اقتضاباً ، منبهاً من خلالها
على مشاهير المواليد والوفيات ، يستأنف بعدها الترجمة لخلفاء
بنى العباس (الدولة الهاشمية) ابتداءً بأبى العباس السفاح ،
وانتهاءً بالمقفى لأمر الله (ت ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م) ، مذيلاً على
ترجماتهم بحوايات موجزة ، اقتضب فيها - كذلك - الحوادث ،
ابتداءً بسنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وانتهاءً بسنة سبعين ومائتين
للحجرة ، حيث انخرم هذا المجلد المتبقى من الكتاب .

٣٧ - المنقلى من أخبار مصر لابن ميسر (١٧٦)

٣٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٧٧)

(١٧٦) يضم الفترة فيما بين سنتى (١٠٤٧/١٠٤٣٩ هـ و ١٠٥٣ هـ /
١١٥٩ م) ، انتقاه « المقرئى » فى ربيع الأول سنة (٨١٤ هـ / ١٤١١ م) .
طبع فى القاهرة (المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٨١) بتحقيق أيمن
فؤاد سيد .
(١٧٧) راجع :

٣٩ - نُبذ قاريضية (١٧٨)

٤٠ - نحل عبر النحل (١٧٩) *

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « النحل » وما تخلف عنه من عسل وشمع ، مستلهما منه العبرة والعظة لبنى الانسان (١٨٠) وقد رتبت على مقدمة ، وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما عشيرة قصول .

١٩ المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب ، قائلا :

« ... وبعد ، فهذا قول وجيز فى ذكر النحل ، وما أودع فيه للبارىء - جلّت قدرته - من غرائب الحكمة ، وعجائب الصنع ، ليعتبر أولوا الأبصار ، ويتذكر أرباب الاعتبار ، والله الموفق » (١٨١) .

(١٧٨) توجد منه نسخة مخط - تقع فى (٥٢ ورقة) ، مقاسها نحو : ١٣ × ١٦ سم ، تحتفظ بها مكتبة بلدية الاسكندرية ، برقم : ٢١٢٥ د / ٢٥٩ ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، برقم : ٨٤٥ - تاريخ ويبدو أن هذا ليس مؤلفا مستقلا ، ولكنه ملتقطات مما جمعه = « المقرئى » من المصادر ، ليضمنه بعض مؤلفاته .
(١٧٩) طبع فى القاهرة (مكتبة الخانجى ، ١٩٤٦) بتحقيق د . جمال الدين الشيبان .

(١٨٠) من ذلك قول المقرئى (نحل عبر النحل ص ٨) . « ... وملوك النحل لا تلدغ ، لأن الميعسوب حلِيم جدا ، وان فى هذا القدر لعبرة ، لأن هذا لو كان فى واحد من عقلاء الانس - الذين فضلوا على جميع الحيوان - لكان ذلك عجيبا ، » .

وقوله (نفسه ص ٩ - ١٠) : « ... وكذلك ما ذكرنا من طردها نوات البطالة منها ، الكسالى ، المتكلى على كسب غيرها ، والمعولة على ثخائر سواها ، ولو أننا استعملنا مثل هذا التدبير فى كسالاتنا لكان أحزم لنا وأنفع لهم » .

(١٨١) المقرئى . نحل عبر النحل ص ١ .

وأما الخاتمة فقد أشار فيها الى انتهاء مادة الكتاب باكتماله
قائلا :

« ٠٠٠ تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » (١٨٢) .

وأما الفصول - وقد اتصلت بعلوم : الحيوان ، واللغة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والطب ، والبيطرة ، والنبات ، والاقتصاد ، والتاريخ ، والأدب - فيجمل « المقرئى » فيها الحديث عن « النحل » من الناحية الحيوانية ، ذاكرا أسماءه ، وألوانه ، وأحجامه ، وصفاته ، وخلاياه ، وآفاته ، وعلاجها ، وعسله - أنواعه وأصنافه - وجامعه (مشنتاره) ، وآلاته التى يستعين بها فى جمعه ، ومايرعاه النحل من أزهار وأنوار ، وما ينتجه من شمع ، مفصحا عن مركزه الاقتصادى فى مصر الاسلامية ، وما ورد فى النحل والعسل من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الحكماء والفقهاء والمفسرين ، وما اتصل بالشمع من الحوادث التاريخية ، سواء بالاستصباح (الاضاءة) به لدى الخلفاء والسلاطين والفقهاء (١٨٣) ، أو باستخدامه فى القصور (١٨٤) والمواكب السلطانية (١٨٥) وحفلات العرس والزواج (١٨٦) ، أو بالختم به على

٠ ١٠٤ نفسه ص

٠ ٨٣ ، ٧٩ المصدر السابق ص

٠ ٨٢ - ٨٠ نفسه ص

٠ ٨٧ نفسه ص

٠ ٩٠ - ٨٧ ، ٨٠ نفسه ص

تركات الموتى من أولاد الخلفاء (١٨٧) . مختتما ذلك بما أنشئ في
« الشمع » من أشعار (١٨٨) .

٤١ - النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم (١٨٩) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول استئثار بنى أمية
وبنى هاشم بالخلافة من دون « على بن أبى طالب » وبنيه ، أشار
« المقرئى » من خلالها الى ما كان من حنافة ومنافسة بين بنى
أمية وبنى هاشم فيما قبل الاسلام وبعده ، ومعاداة بنى أمية للرسول
- صلى الله عليه وسلم - وعدم اخلاص زعاماتهم للاسلام ، مع
تولية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخليفته من بعده لهم بعض
الأعمال ، وما آل اليه الأمر بعد سقوط دولتهم من استئثار بنى العباس
بالخلافة - كذلك - وتنكيلهم ببنى عمومهم (العلويين) وعتوهم فى
الأرض ، وخرجهم على تعاليم الاسلام ومبادئه ، معددا للمثالب
الأمويين والعباسيين ، مختتما هذه الرسالة بالمقارنة بين المسلمين
واليهود ، من حيث الانقسام الى شعوب وقبائل ، والاستخلاف بعد
وفاة الرسول لدى كل ، وقد تقرر لديه أنه « اتفق فى الخلافة الاسلامية
كما اتفق فى الملة الموسوية حذى القذة بالقذة » (١٩٠) ، مستلهما ذلك
- فضلا عن الدراسة الظاهرية لبعض الحوادث التاريخية - من
قوله عليه السلام - فيما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :

« لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى

(١٨٧) نفسه ص ٩١ .

(١٨٨) نفسه ص ٩١ - ١٠٤ .

(١٨٩) طبع عدة طبعات ، آخرها (ط . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٨)

بتحقيق د . حسين مؤنس .

(١٩٠) المقرئى . النزاع والتخاصم ص ١١١ .

لر دخلوا حجر ضب لاتبعتموهم • فقلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ! « (١٩١) •

كما أشار « المقرئى » من خلال ترجمته لابن عرب شاه (١٩٢) الى أنه اختصر كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » ، وأشار من خلال مادة مؤلفه « الاشارة والايماء الى حل لغز الماء » الى أن له حواشى على الانجيل (١٩٣) •

من هذا العرض الموجز لمجهودات « المقرئى » فى الكتابة التاريخية ، نجد أن مؤرخنا قد ألح من خلالها على التوكيد على ثلاث صفات امتاز بها « وهى : « مصصريته » و « عربيته » و « اسلامه » •

أما مصصريته ، فتبدو فى تحمسه للتأريخ لمصر فى أطوارها المختلفة ، فيما قبل الاسلام وبعده ، حيث أنشأ فيها مؤلفا مجملا لتاريخها وخطتها وعميراتها - منذ القدم وحتى وقته - وهو « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، ثم عمد الى تفصيل أكثر ما أجمله فيه ، بالتأريخ لمصر الاسلامية ، منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، فى عدة مؤلفات متتابعة ، وهى : « عقد جواهر الأسفاط » و « اتعاظ الحنفاء » و « السلوك » و « المقفى » •

وأما عربيته ، فقد كانت دافعا قويا لديه الى انشاء عدة مؤلفات ، منها : « الخبر عن البشر » ، و « البيان والاعراب » ، و « تراجم ملوك الغرب » ، و « الطرفة الغربية » •

• (١٩١) نفسه ص ١١٧ •

• (١٩٢) المقرئى • درر العقود الفريدة ق ٨٧ ب •

• (١٩٣) المقرئى • الاشارة والايماء ق ٦ ب •

وأما اسلامه ، فيتبدى - فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة ،
المبثوثة فى سائر مؤلفاته - فى « امتاع الأسماع » ، وقد جعله تاريخا
مجملا للمرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيرته ، و « النزاع
والتخاصم » ، وهو - بالدرجة الأولى - مبحث فى الخلافة ،
و « التذكرة » ، و « منتخبها » ، و « الدرر المضية » ، و « الأمام » ،
وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخا عاما للدولة الاسلامية فى مختلف
أطوارها وأمصارها •

بل ان أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة ، المفردة بالتأليف فى
موضوع بعينه ، تنزع الى أى من هذه الصفات الثلاث •

وفضلا عن ذلك ، فقد أوجد « المقرئى » مجالاً للكتابة
التاريخية فى موضوعات ما كان يظن بها أنها مما يصلح للتأريخ ،
كالماء ، والنحل ، والأوزان والمكاييل ، والنقود ، والتوحيد ، والحج ،
والبناء (الزواج) ، والختان ، والختم بخير ، وثناء الذكر • وما
الى ذلك ، مما أنشأ مؤرخنا فيه العديد من المؤلفات التاريخية ،
مبرزاً من خلالها الكثير من المناحي الاجتماعية والاقتصادية
والثقافية ، بما يشير الى أنه كان مؤرخاً مبتكراً ، واسع الأفق ،
غير تقليدى ، متعدد الاطلاعات ، متنوع المعارف •

ولعله يكون مفيداً فى سبيل الكشف عن « المنهج التأريخى »
للمقرئى ، الاقتصار - هنا - على الدراسة المفصلة لثلاثة من
مؤلفاته ، وهى : « الامام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك
الاسلام » ، و « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » ،
و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » •

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

مؤلف في تاريخ « مصر » وخططها ، انقسم الى مقدمة وسبعة أجزاء أو فصول :

أما المقدمة ، فقد أشار مؤرخنا فيها الى دافعه الى تأليفه ، ومحتواه ، ومنهجه في تنظيم مادته ، بقوله :

« ٠٠٠ وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي ، ومغنى عشيرتي ، وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي ، وجوؤجوى الذى ربي جناحي في وكره ، وعش ماربي ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت منذ شذوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة ، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها

(١٩٤) اعتمدت هذه الدراسة على نشرة « محمد عبد الرحمن قطرة العدوى » للكتاب ، والصادرة عن القاهرة ، مطبعة بولاق ، سنة (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، وتقع في مجلدين ، احتويناً على ١٠١٩ صفحة ، خلا الصفحات المعدة للفهارس والتصويبات .

كتاب أو يحويها ، لعزتها و غرابتها أهاب ، الا انها ليست بمرقبة على مثال ، ولا مهدبة بطريقة مانسج على منوال ، فأردت أن أخص منها أبناء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد ، غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ، ولم يبق الا أن يمحو رسمها الفناء والعدم ، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة الأوضاع ، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأمثال ، والتنويه بذكر الذى شاهدها من سراة الأعظم والأفاضل ، وأنتثر خلال ذلك نكتا لطيفة ، وحكما بديعة شريفة ، من غير اطالة ولا اكثار ، ولا اجفاف مخل بالفرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ، وطريق بين بين « (١٩٥) » .

مع التعليل لتسميته للكتاب ، ولنهجه فى تنظيم مادته ، بقوله :

« ٠٠٠ » وأما عنوان هذا الكتاب - أعنى الذى وسمته به - فانى لما فحصت عن أخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة ، فلم يتهيأ لى اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين ، لعدم ضبط وقت كل حادثة ، لاسيما فى الأعصر الخالية ، ولا أن اضعها على أسماء الناس لعل أخر تظهر عند تصفح هذا التأليف ، فلهذا فرقتها فى ذكر الخطط والآثار ، فاحتوى كل على ما يلائمه ويشاكله ، وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر ، ولم اتحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الأريب ولا يستهجنها الفطن الأديب ، كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما فى غيره من الفصول ، فلذلك سميته : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

والغرض من تأليفه ، بقوله :

« ٠٠٠ جمع ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها ، كى يلتئم من مجموعها معرفة جمل أخبار اقليم مصر ، وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان فى أرض مصر من الآثار الباقية والبائدة ، ويقص أحوال من ابتدأها ومن حلها ، وكيف كانت مصائر أمورهم ، وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع ٠٠ فتتهذب بتدبير ذلك نفسه ، وترتاض أخلاقه ، فيحب الخير ويفعله ، ويكره الشر ويتجنبه ، ويعرف فناء الدنيا ، فيحظى بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى » .

وبمعنى آخر ، فان الكتاب موظف لغرض « تعليمى - أخلاقى »

وبيان أجزاء الكتاب أو فصوله :

« ٠٠٠ وأما أجزاء هذا الكتاب ، فانها سبعة :

- ٠ أولها يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر ، وأحوال نيلها ، وخراجها ، وجبالها .
- ٠ وثانيها يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها .
- ٠ وثالثها يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها .
- ٠ ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة ، وخلائقتها ، وما كان لهم من الآثار .
- ٠ وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال .
- ٠ وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها .

وسابعها يشتمل على ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب
اقليم مصر (١٩٦) .

وقد تضمن كل جزء من هذه الأجزاء السبعة عدة أقسام «
وتنوع مصادره :

« ٠٠٠ سبلكت فيه ثلاثة أنحاء ، وهى : النقل من الكتب
المصنفة فى العلوم ، والرواية عن أدركت من شيخة العلم وجلة
الناس ، والمشاهدة لما عاينته ورأيته » .

مجملا التعريف بالمصادر - السابقة عليه - المؤلفة فى موضوع
كتابه ، مغفلا الإشارة الى أقربها اليه زمنا وموضوعا ، وهو « خطط
القاهرة » للأوحدي ، مما دفع « السخاوى » الى اتهامه بالانتحال
له ، قائلا فى ترجمته للأوحدي :

« ٠٠٠ وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة ، تعب فيها ،
وأفاد وأجاد ، وبيض بعضها ، فبيضها التقى المقريزى ، ونسبها
لنفسه مع زيادات » (١٩٧) .
وفى ترجمته لمؤرخنا :

« ٠٠٠ وصارت له فيه (فى التاريخ) جملة تصانيف ، كالخطط
للقاهرة ، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدي ، فأخذها وزادها
زوائد غير طائلة » (١٩٨) .

ويبدو أن ما أشار اليه « السخاوى » من انتحال « المقريزى »

(١٩٦) لا وجود لهذا الجزء فيما تحت أيدينا من مخط . الكتاب
ومطبوعاته .

(١٩٧) السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(١٩٨) السخاوى . التبر المسبوك ص ٢٣ .

لخطط « الأوحدي » كان شائعا في عصر مؤرخنا ، على النحو المدرك
- كذلك - من قول « السخاوى » :

« ٠٠٠ وكذا جمع خططها المقريزى ، وهو مفيد . قال لنا شيخنا
(ابن حجر) انه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن
الحسن الأوحدي ، بل كان بيض بعضه ، فأخذها وزاد عليه زيادات ،
ونسبها لنفسه » (١٩٩) .

مما كان سببا في تدارك « المقريزى » لذلك في مؤلف آخر له ،
هو « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » ، حيث صرح
فيه بما أغفل التصريح به في مقدمة « الخطط » ، مشيرا من خلال
ترجمته للأوحدي الى مكانته في علم التأريخ ، وانتفاعه به ، والظفر
بمسودات خطه ، التي ضمنها كتابه ، على النحو الوارد في قوله :

« ٠٠٠ وكان ضابطا ، متقنا ، مفيدا ، ذاكرا لكثير من القراءات
وتوجهها وعللها ، حافظا للكثير من التاريخ ، لاسيما أخبار مصر ،
فانه لا يكاد يشد عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها ، ووقائع
حروبها ، وخطط دورها ، وتراجم أعيانها الا اليسير ، مع معرفة
النحو والعروض وقرض الشعر الحسن .

وكان - رحمه الله - كثير التعصب للدولة التركية ، محبا
لطريق الله . علقته عنه جملة أخبار ، واستفدت منه كثيرا في التاريخ ،
وأعانتني الله بمسودات من خطه في خطط القاهرة ، ضمنها كتابي
الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » (٢٠٠) .

(١٩٩) السخاوى . الاعلان بالتوبيخ ص ٦٤٧ .

(٢٠٠) المقريزى . درر العقود الفريدة ق ٤٦ ب .

ولا يخفى أن التضمين يعنى : الاحتواء أو الاشتمال على الشيء المتضمن (٢٠١) ، مما يبطل ما اجتهد أحد الباحثين المحدثين فى الصاقه بالسخاوى من التحامل ، والافتراء ، والحسد ، والتناقض ، والحيدة عن النزاهة والحق ، فى سبيل تأصيله للخطط ، والبعد بها عن النقل (٢٠٢) ويكشف بالتالى عن سطحيته فى البحث ، وتسرعه فى اثبات أحكامه .

وأما الأجزاء أو الفصول : فقد أشار المقرئى فى أولها الى انقسام « علم النجوم » الى هيئة ، وزيج أو تقويم ، وأحكام ، مقتصرًا - هنا - على نبذة من علم الهيئة « تكون توطئة لماياتى » ، معرفاً من خلالها بصورة الأرض ، وموضع الأقاليم السبعة منها ، وقد تقرر لديه أن « فى كل اقليم من هذه الأقاليم السبعة أمم مختلفة الألسن والألوان ، وغير ذلك من الطبائع والأخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والأعمال والصنائع والعادات لا يشبه بعضهم بعضا ، وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات ، مختلفة فى الشكل والطعم واللون والريح ، بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعضوية المياه وملوحتها » ، وأن « الربع المسكون من الأرض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار ، وهم : الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس » . متطرقا الى جغرافية مصر ، معرفاً بمحلها من الأرض ، وموضعها من الأقاليم السبعة

-
- (٢٠١) راجع : الفيروزآبادى . القاموس المحيط ص ١٥٦٤ . الفيومى .
المصباح المنير ص ١٣٨ .
(٢٠٢) محمد عبد الله عثمان . خطط المقرئى بين الأصالة والنقل ص ٣٩ - ٤٨ (ضمن كتاب : دراسات عن المقرئى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب) ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية . القاهرة ، الخانجى ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٦ - ٦٣ ، مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى . القاهرة ، اللجنة ، ط ١ ، ١٩٦٩ ، ص ٩٧ - ١٠٤ .

(الثاني والثالث) ، وحدودها ، وجهاتها ، معرقا بالبحرين الأحمر (القلزم) والمتوسط (الرومي) ، متبعا ذلك بالتعليل لتسميتها بمصر ، ومعناها ، واشتقاقها ، وما عرف لها من الفضائل أو الميزات (كبحر نكرها في القرآن - الكريم - صراحة أو ايماء ، وفي الحديث النبوي الشريف ، وأقوال مشهورى العلماء وأعيان السلف ، ومصاهرة بعض الأنبياء الى أهلها ، أو عبسورهم لها ، أو اقامتهم فيها ، واختصاصها بالنيل ، واعتدال مناخها) ، مستطردا الى ذكر الشائع فى عصره من أسماء الفراعنة ، وما اقترن بهم من البرابى (المقابر) بما احدثت عليه من العجائب والطلاسمات (السحر) ، والمطالب (الدفائن والكنوز) ، وما أشيع من طمس (هلاك) أموالهم - لدعوة موسى عليه السلام عليه - وأخلاق أهل مصر ، وطبائعهم ، وأمزجتهم وقد تقرر لديه أن « منطقة الجوزاء تسامت رعوس أهل مصر ، فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها . ويخبرون بما يكرن ، وينذرون بالأمور المستقبلة » ، وإن عاب عليهم ما نعتهم به من « تلة الغيرة » على نساءهم ، و « الاعراض عن النظر فى العواتب » ، « كأنما فرسنا من الحساب » .

ثم ينتقل الى التعريف بنيل مصر ، وأثره فى نظمها الاجتماعية والاقتصادية والزراعية ، مشيرا الى فضائله ، ومخرجه وانبعائه ، معالفا لفرسبه ، معددا لمقاييسه وزياداته ، وقد نعت المقياس لديه بأنه « عمود رخام أبيض ، مئمن ، فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابيه اليه ، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع ، ماعدا الاثنى عشر ذراعا الأولى ، فانها مفصلة على ثمان وعشرين أصبعا كل ذراع ، مذهبها الى أن « أتم الزيادات كلها ، العامة الناتج الإبد كله سبعة عشر ذراعا ، وفى ذلك كفايتنا وروى جميع أرضها » شارحا ذلك بما قيل فى النيل - شعرا ونثرا - من مدح وإنام ، وما

احتوى عليه من العجائب (كفرس البحر ، والقنقور ، والتمساح ،
والسمك البلطي والملييس والرعاد) ، والخلجان التى تشسق عند
انتهاء زيادته (كخليج سخاوسردوس والاسكندرية والمنهى والفيوم
والقاهرة والناصرى وبرد أبى المنجا) ، وانقسام أرض مصر - فى
الزمن الأول - الى كور ، تهتم بحفر الترغ وعمارة الجسور لضبط
الذيل ، وتصريفه فى أوقاته ، مقدرا لخراجها - آنذاك - وما عمله
المصريون عند الفتح فى الخراج ، متطرقا الى الحديث عن انتقاض
(ثورة) القبط على العرب ، ونزول العرب بريف مصر ، واتخاذهم
الزرع معاشا لهم ، ومصاهرتهم القبط ، واختلاطهم بهم فى الأنساب ،
مما أدى الى انتشار اللغة العربية والاسلام فيما بينهم . منتهيا الى
ان البلاد - آنذاك - كانت مضمونة بقبالات معروفة (ضمانات
بخراج الأرض تجدد كل أربع سنوات) ، يقبضها محتواى الخراج
الذى كان محل جلوسه جامع عمرو فالجامع الطولونى قدار الوزير
يعقوب بن كلس فالقصر بالقاهرة ، الى أن قسمت الى اقطاعات فى
ظل الدولتين الأيوبية والملوكية ، معرفا بالاقطاع ، والأصل فى
نشأته ، مجملا الحديث عن الروك الناصرى ، وما أبطله « الناصر
محمد بن قلاوون » من المظالم (المكوس والضرائب والضمائنات) ،
معرفا بالديوان - وقد استحدث فى الاسلام زمن عمر بن الخطاب ،
وفى مصر فى ولاية عمرو بن العاص - مقتصرنا على ديوان «العساكر
والجيوش » - فى زمنه - وقد صنفت عساكره الى أجناد حلقة
وممالك سلطانية ، اختصت بالاقطاعات بدلا من العطاء ، مقسما
أرض مصر الى سبعة أقسام ، وهى : ديوان السلطان ، والأمراء
والأجناد ، والوقف ، والأعباس ، والمبايع والمشتري ، والمرعى ،
وغير العامر . معللا لاتضح خراج مصر فى زمنه بقوله :

« ٠٠٠ » وسبب اتضاع خراج مصر بعدما بلغ مع الروم فى
آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار ، أن الملوك

لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الأرض ، فانها تحتاج
أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه ، *

مصنفا الأرض من حيث الزراعة الى : باق ، وشراقي ،
وبرايب ، وسقماهية ، وشتونية ، وساليح ، ووسخ ، وغالب ،
وخرس ، وسباخ ، معرفا بكل صنف منها ، وبما يصلح للزراعة فيها
على مدار السنة ، من الحبوب والفلات والخضروات والفاكهة
والزهور والورود ، منبها الى أنه لا غنى للأرض المنزرعة عن الجسور
(سلطانية وبلدية) ، مقدرا مساحة الفدان ، مقسما مال مصر الى
« خراجي وهلالى وجوالى (جزية) » ، منتهيا الى التعريف بدور
الضرب (سلك العملة) فى القاهرة والاسكندرية وقوص .

معقبا على كل هذا بوصف مسهب للاهرامات وأبى الهول
والجبال .

وفى الجزء الثانى : يتحدث عن مدائن مصر - قبليها
وبحريها - وقد تقرر لديه أنها « كثيرة ، منها ما دثر وجه اسمها
ورسمه ، ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ، ومنها ما هو عامر ،
معرفا بهذه الأصناف كلها ، محصدا ماكان منها دار ملك (حاضرة
أو عاصمة) ، متتبعا لتاريخها وعمرانها فيما قبل الاسلام وبعده ،
ناسبا اليها ما شهرت به من صناعة ، أو تعدين ، أو صيد ، أو زراعة ،
أو تجارة ، وماشاع عنها من العجائب (أو الخرافات ومستغربات
الحدوث) .

وفى الجزء الثالث : يتحدث عن حواضر مصر (عواصمها)
قيما بين الفتح العربى والغزو الفاطمى لها ، وهى : الفسطاط
والقطائع والعسكر ، معللا لتسمية كل منها ، معرفا بموضعها قبل
البناء ، وما آلت اليه بعده ، وحدودها ، ومقدار عمارتها ، وهيئة

سورها وأبوابها ، وما شهرت به من آثار ، وما عرف من أسباب أو
علل أدت إلى خرابها .

وفى الجزء الرابع : يسهب الحديث عن القاهرة - رابع حواضر
مصر الإسلامية - معرفاً بموضعها قبل البناء ، وحدودها ، وما كانت
عليه زمن « الفاطميين » ، وما طرأ عليها فى عصره من التغيرات ،
والعلة فى تسميتها ، ووصف أسوارها ، وأبوابها ، ومسالكها ،
وشوارعها ، وحاراتها ، وأخطاطها ودورها وقصورها ، وأسواقها ،
ومناظرها ومعجزاتها ، وسجونها ، مستطرداً إلى التعريف بالدعوة
الفاطمية ، وترتيبها ، ورسوم الخلفاء الفاطميين ونظمهم فى الجلوس
فى قصرهم ، ومد أسمطتهم ، والاحتفال بأعيادهم ، ومواكبهم ،
وعدة ديوانهم ، ورتب أمراءهم وقضاتهم وموظفيهم ، ورواتبهم ،
وملابسهم ، وفرشهم ، وأمتعتهم ، وسلاحهم ، وقت تقرر لديه أن
القاهرة لم تزل « دار خلافة » ، ومنزل ملك ، ومعقل قتال ، لا ينزلها
إلا الخليفة وعساكره وخراصه الذين يشرفهم بقربه فقط « إلى أن
نقلها صلاح الدين الأيوبي » عما كانت عليه من الصيانة ، وجعلها
مبتدأة لسكن العامة والجمهور ، وحط من مقدار قصور الخلافة ،
وأسكن فى بعضها ، وتهدم البعض ، وأزيلت معالمه ، وتغيرت
معاينه ، فصارت خطط وحارات وشوارع ومسالك وأزقة .

وفى الجزء الخامس : يتحدث عن القاهرة وعصر المعاصرتين ،
محدداً ما بهما من مشهورى الحارات والأخطاط ونظاراتهما ،
والدروب ، والأزقة ، والسوخ ، والرحاب ، والميادين ، والأركان ،
والدور ، والقصور ، والحمامات ، والقياسر ، والنايات ، والنادق ،
والأسواق ، والمساجد ، والجوامع ، والمصليات ، والرباط ، والأزوايا ،
والسوانح ، والكنائس ، والأديرة ، والمدارس ، والبيمارستانات ،
والسجون ، والمشاهد والقبور ، والأحواض والآبار ، والسامان ،
والقنائر ، والبساتين ، والجزائر ، والبرك ، والبساتين .

وفي الجزء السادس : وقد أتت مادته متوسطة لمادة التقسيم الخامس - يصف قلعة الجبل ، بما اشتملت عليه من العمائر ، والمساجد والجوامع ، والقصور ، والخزائن ، والأسطبلات ، والدواخل ، والدواوين ، فضلا عن السور وأبوابه ، وما كان عليه موضع القلعة قبل البناء ، مشيرا الى ما ارتبط بها من الرسوم ، معرفا بأرباب الوظائف فيها .

وهو لم يقتصر في هذه الأجزاء الستة على الخطط - فقط - وإنما وجد يؤرخ لمصر من خلالها ، معرفا بحكامها (من الخلفاء والسلطين والملوك والأمراء) ، وبأحوالها ، منذ الفتح العربي لها وحتى سلطنة « الأشرق برسباي » (٢٠٣) ، بحيث يمكن أن يجرد من هذا المؤلف تاريخ موجز ومتتابع لمصر في الاسلام طيلة ثمانية قرون هجرية ، حصرت فيما بين سنتي ٢٠ و ٨٢٦ هـ فضلا عن الترجمة للشخصيات المتصلة بما تردد في الكتاب عن آثار أو عمائر ، مع ذكر الحوادث المرتبطة بها .

وهكذا ، فقد جمع الكتاب بين العديد من المباحث التاريخية ، والأثرية ، والجغرافية ، واللغوية ، والفقهية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، مما جعله موسوعة لتاريخ مصر (السياسي والحضاري) ، وقد اتسعت رقعته المكانية لتشتمل على كافة أرجاء مصر ، ورقعته الزمانية لتشتمل على تاريخها ، فيما بين عصر الفراعنة وعصره .

(٢٠٣) وإن أتت له اشارات الى حكامها منذ القدم . فيما قبل الطوفان وبعده ، وحتى الفتح العربي لمصر ، متخللة الجزء بين الأول والثاني بيد أنها مضطربة المادة ، لاصحة لأكثرها .

مصادر مادة الكتاب

أولاً : انواع المصادر :

تنوعت مصادر « الخطط » ، وتمددت ، بحيث يمكن اجمالها فى الآتى :

(١) المشاهدة والمشاركة :

ويمثلها قوله فى معرض الحديث عن « بركة قرموط » ، وقد شاركت فى اثباته عدة حواس ، منها : البصر ، والسمع ، والشم ، فضلا عن رهاقة الحس ، وحسن الاستنباط :

« ٠٠٠ » وأدركنا بها ديارا جلييلة ، تنامى أربابها فى احكام بنائها وتحسين سقوفها ، وبالغوا فى زخرفتها بالرخام والدهان ، وغرسوا بها الأشجار ، وأجروا اليها المياه من الآبار ، فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة ، وأكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم ، وهم فى الحقيقة المترفون أولوا النعمة ، فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن .

وانى لأذكرها وما مررت بها - قط - الا وتبين لى من كل دار
هناك آثار النعم : اما روائح تقالنى المطابخ ، أو عبير بخور العود
والند ، أو نفحات الخمر ، أو صوت غناء ، أو دق هاون ، ونحو ذلك
مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ، ورقاهة عيشهم ، وغضارة
نعمهم » .

وقوله فى معرض الحديث عن سور القاهرة :

« ٠٠٠ » وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً ، وآخر ما رأيت
منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرج بطوط ، هدمها
شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمئة ، فشاهدت من كبر لبنها
ما يتعجب منه فى زماننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى
ذراع » .

وقوله فيما تعلق بقصر الزمرد :

« ٠٠٠ » وأدركنا لجر هذين العمودين أوقاتاً فى أيام تجمع الناس
فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ، ولهجوا بذكرهما زمننا ، وقالوا فيهما
شعراً وغناء كثيراً ، وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز
المناديل ، عرفت بجر العمود .

وكانت الأنفـس - حينئذ - منبسطة ، والقلوب خالية من الهموم ،
وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم » .

وقوله عن وكالة قوصون :

« ٠٠٠ » وقد أدركنا هذه الوكالة ، وان رؤيتها من داخلها
وخارجها لتدهش ، لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع ، وازدحام
الناس ، وشدة أصوات المعتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن
يبتاعها » .

وقوله فى « كوم الريش » :

« ٠٠٠ وأنا أدركت بها سوقا عامرة بالمعاش بأنواعها من
المآكل ، ولا أعرف اليوم بالمقاهرة مثله فى كثرة المآكل ، وأدركت
بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة ، وموقف مكارية ، ومنارة
لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسنها ، لما اشتملت عليه من كل معنى
رائق بهيج » .

وقوله فى « قرية الخندق » خارج باب الفتح :

« ٠٠٠ وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة
اليها ليتنزهوا بها فى أيام النيل والربيع ، ويسكنها طائفة كبيرة ،
وفىها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والشمار ، وبها سوق وجامع
تقام به الجمعة ، وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها
خطيبه » .

وقوله فى « بركة الحبش » :

« ٠٠٠ وعانيت من هذه البركة أيام نبيض النيل عليها أبهج
منظر ، ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من
القرط والكتان تفتن الناظر ، وفيها أقول :

يا بركة الحبش التى يومى بهـا

طسول الزمان ميسارك وسـعيد

حتى كأنك فى البسيطة جنـة

وكأن دهـرى كله بك عـيد

يا حسن ما يبدو بك السكتان فى

نـواره أو زره معقـود

والماء منك مسبوقة مسلوقة
والقسط فيك رواقه ممدود
وكان أبراجها عليك عرائس
جلت وطيرك حولها غريد
يا ليت شعري هل زمايك هائد
فالشوق فيه مبدىء ومعيد «

وقوله في « بركة بطن البقر » الواقعة فيما بين أرض الطباله
وأراضى اللوق :

« ٠٠٠ » وأدرنا بهذه البركة مراحا عظيما للأغنام التى يعلفها
التركماني حب القطن وغيره من العلف ، فتبلغ الماية فى السمن ،
حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها
وثقلها وعجزها عن المشى ، وكان يقال : كبش بركاوى ، نسبة
الى هذه البركة . وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة ، وزنت
شفته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الألية ، وبلغنى
عن كبش أنه وزن ما فى بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا ،
وكانت الأيا تلك الكباش تبلغ الغاية فى الكبر » .

وقوله فى معرض الحديث عن « مسجد ابن البتاء » ، وقد
تعاون السمع والنظر لديه فى تصوير ما كان بجواره من الازدحام :

« ٠٠٠ » واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب ، وهو أنى مررت
من هناك يوما - أعوام بضع وثمانين وسبعمائة - والقاهرة -
يومئذ - لا يمر الانسان بشارعها حتى يلقي عناء من شدة ازدحام
الناس ، لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة ، فعندما حاذيت أول هذا
المسجد اذا برجل يمشى أمامى وهو يقول لرفيقه : واللهيا أخى ،

ما مررت بهذا المكان - قط - الا وانقطع نعلى . فوالله ، ما فرغ من كلامه حتى وطء شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجليه ليخطر فانقطع تجاه باب المسجد ، فكان هذا من عجائب الأمور وغرائب الاتفاق » .

وقوله ناعتا جانبا من مظاهر الاحتفاء بعيد الميلاد :

« . . . » وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر موسمًا جليلا ، يباع فيه من الشموع المزهرة ، بالأصباغ المليحة ، والتمائيل البديعة ، بأطوال لا تنحصر ، فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وأدناهم حتى يشتري من ذلك لأولاده واهله ، وكانوا يسمونها الفوانيس - واحدها فانوس - ويعلقون منها فى الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحة ، ويتنافس الناس فى المغالة فى اثمانها ، حتى لقد أدركت شمعة عملت قبلخ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة ، عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب .

وأعرف السؤال فى الطرقات أيام هذا الموسم ، وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس ، فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله » .

وهكذا فإن هذا النوع من المصائد - وان وجد مثيله فى كتابات غير « المقرئى » من المؤرخين - يعد فريدا فى نوعه ، هاما فى موضعه ، وقد حظى مؤرخنا من خلاله تصوير الحياة فى مجتمعه بشتى جوانبها ، بحيث لم ترد الآثار أو الخطط من خلاله - وقد اندرس أكثرها ، وغاب أهلها - صامتا ، وإنما وجدت نابضة بأهلها ، مختلطة بهم ، تشاهد من خلالها حركة المارة ، وموضع أقدام بعضهم فى ازدحامهم ، وتسمع فيها جلبة أصواتهم ، وأصوات ما

يلقى فى الأسواق أو يرفع من بضائع ، فضلا عن وزنها ، وما يصدر من أصسوات عن الهاونات فى أيدي المحجوبات فى بيوتهن ، كما تشتم فيها الروائح ، وتميز أنواعها ، ناهيك عن نعت تلك الآثار وهاتيك الخطط عينها •

(ب) المشـافهة :

ويمثلها قوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى المقرئ ، الأديب ، المؤرخ الضابط ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي - رحمه الله - قال : أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال : أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصنائع الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر - قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة - بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه » •

وقوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز العذرى البشبيشى - رحمه الله - قال : أخبرنى القاضى بدر الدين أبو اسحاق إبراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد ابن فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ، المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة ، منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالأغاني فى شارع القاهرة » •

وقوله :

« ٠٠٠ وأقد حدثنى غي واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى أنه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنتين وتسعين

وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين ، وقال لى ابنه
محب الدين محمد : أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زفة
أو جنازة كبيرة تمر من هنالك ، فلما لم ينقطع المارة سألت : ما بال
الناس مجتمعين للمرور من هاهنا ، فقيـل لى : هذا دأب البلد
دائما » .

وقوله :

« ٠٠٠ أخبرنى شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة ، يعرف
بمحمد السعودى ، أنه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس
للنزهة ، وأنها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة » .

وقوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر
الشهرزورى أنه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء ، وسبح فيه غير
مرة ، وأرأى آثاره » .

وقوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل
ابن ابراهيم الحنفى ، وخال أبى ، تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن
الخطباء ، أنهما أدركا بكموم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائما ،
وأنة كان من جملة من يسكن فيها - دائما - نحو الثمانمائة من الجند
السلطانى » .

وقوله :

« ٠٠٠ وأخبرنى المشيخة أنه مازال الرسم الى قريب : أنه
لا يمر بشارع بين القصرين حمل تين ولا حمل حطب ، ولا يستطيع
أحد أن يسوق فرسا فيه ، فان ساق أحد أنكر عليه وخرق به » .

وقوله :

« ٠٠٠ » ولقد أخبرني الطواشي مقبل الشامي أنه سمع السلطان حسنا يقول : انصرف على القالب الذي بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة ، وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور .

قال : وسمعت السلطان يقول : لولا أن يقال : ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صصرف عليه » .

وقوله :

« ٠٠٠ » وقد أخبرني الأضى الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطيب الخزومي ، خال أبي رحمة الله - قبل أن يختلط ، قال : أخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن ، أن هذا المكان كان كوما (رحبة أبي تراب) ، وأن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا ، فظهرت له شرافات ، فمازال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد ، فقتل الناس : هذا أبو تراب من حينئذ .

ويؤيد ما قال أنى أدركت هذا المسجد محفوقا بالكيمان من جهاته ، وهو نازل في الأرض ، ينزل اليه بنحو عشر درج ، وما يرح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة ، فنقلت الكيمان التراب التي كانت هناك حوله ، وعمر مكانها ما هنالك من دور ، وعمل عليها درج من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، وزالت الرحبة ، والمسجد على حاله » .

وهكذا ، فقد أتت الرواية الشفهية في بعض هذه الشواهد مسندة الى سلسلة من الروايات ، على غرار الرواية الحديثية ، كما أتت بعضها مسندة الى رجال « غير واحد » . أو « الشيخة » ، أو

مسندة الى شخص بعينه من أساتذة ، أو أقارب ، أو أتران مؤرخنا ،
وقد اعتنى فى الاسناد الى بعضهم : بنقدير العمر « الشيخ المعمر » ،
أو توثيق المصدر « المؤرخ الضابط » ، « قبل أن يختلط » .

(ج) المخطوط والآثار :

كنحر قوله فى باب زويلة ، أحد أبواب القاهرة :

« ٠٠٠ » ومن تأمل الأسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه ،
فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ
بنائه » .

وقبله واصفاً مسجد أبى تراب :

« ٠٠٠ » وأنا قرأت على بابيه - فى رخامة قد نقش عليها بالقلم
الكوفى - عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب ، حيدرة بن
المستنصر بالله ، أحد الخلفاء الفاطميين » .

وقوله واصفاً المصحف المودع - آنذاك - فى جامع عمرو :

« ٠٠٠ » وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان
- رضى الله عنه - لأن نقله لم يصح ، ولم يثبت بحكاية رجل واحد .

ورأيت أنا هذا المصحف ، وعلى ظهره ما نسخته : بسم الله
الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . هذا المصحف الجامع لكتاب
الله - جل ثناؤه وقدسست أسمائه - جملة المبارك مسعود بن سعد
الهييتى لجماعة المسلمين للقراء للقرآن التالين له ، المتقربين الى
الله - جل ذكره - بقراءته والمتعلمين له ، ليكون محفوظاً أبداً ما بقى
ورقه ولم يذهب اسمه ، ابتغاء ثواب الله - عز وجل - ورجاء
غفرانه ، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه ، أناله الله ذلك
برأفته ، وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه .

وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف ، والمندرس يشبه أن يكون : وتبصر في ورقه ، وقصد بإيداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ، ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين ، فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، سيد المرسلين ، وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(د) الوثائق :

ويمثلها قوله في المدرسة « السيوفية » :

« ٠٠٠ كتاب وقفها موجود ، قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف ، ونصه : الحمد لله وبه توفيقى ، وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسمائة » .

(هـ) المؤلفات السابقة :

تنوع هذا النوع من المصادر في « الخطط » تنوعا ملحوظا ، بحيث اشتمل على كثير من فروع المعرفة وفنونها ، المتداولة في عصر « المقرئى » ، كاللغة ، والأدب ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتصوف ، والعقائد ، والفلسفة ، والطب ، والصيدلة ، والنبات والفلحة ، والجغرافيا والرحلات ، والتاريخ بشتى فنونه ، وكثرت .

أما المصادر اللغوية ، فيمثلها :

- كتاب ليس لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م) .
- الخصائص لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ - ١٠٠١ م) .

- - الصحاح فى اللغة للجوهري (٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م) .
- - المحكم والمحيط الأعظم فى لغة العرب لابن سيده (٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م) .

بينما يمثل المصادر الأدبية :

- - الحيوان ، ومدح مصر للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م) .
- - الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م) .
- - الأغاني للأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م) .
- - الأملى للقالي (ت ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م) .
- - تحفة الأكياب لابن أبي السريغ التيسى (ت ٥٦٥ هـ - ١١٦٩ م) .
- - معالم الكتابة وفضائل الاصابة لابن شيث (ت ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ م) .
- - المحلى بالأشعار لابن سيده المغربى (ت ٦٨٥ هـ - ١٢٨٦ م) .
- - السوانح الأدبية فى المدائح القنبية لابن أبى البقاء العكبرى (ت ٧ هـ - ١٣ م) .

ويمثل المصادر الحديثة :

- - مستند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ - ٨٥٥ م) .
- - صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م) .
- - صحيح مسلم التشيرى (ت ٢٦١ هـ - ٨٧٥ م) .

- سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ - ٨٨٧ م) .
- سنن أبى داود (ت ٢٧٥ هـ - ٨٨٩ م) .
- غريب الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م) .

ويمثل المصادر التفسيرية :

- معانى القرآن لأبى القاسم الزجاجى (ت ٣٢٧ هـ - ٩٤٩ م) .
- الوسيط للواحدى (ت ٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م) .
- معالم التنزيل للبغوى (ت ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م) .
- الكشاف للزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م) .
- الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٦ هـ - ١١٥١ م) .
- مفاتيح الغيب للفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ - ١٢١٠ م) .

ويمثل المصادر الفقهية :

- الرسالة لأبى يوسف (ت ١٨٢ هـ - ٧٩٨ م) .
- الأموال لابن سلام (ت ٢٢٤ هـ - ٨٣٨ م) .
- الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ - ٩٤٨ م) .
- الأحكام السلطانية للماوردى (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) .
- التمهيد لابن عبد البر (ت ٤٦٣ - ١٠٧١ م) .
- المنهاج فى علم الخراج للقاضى السعيد (ت ؟؟)

ويمثل مصادر التصوف :

- الرسالة القشيرية للامام أيبى القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ - ١٠٧٢ م)
- عوارف المعارف للسهروردي (ت ٦٢٢ هـ - ١٢٣٤ م)
- الملحمة للابن العربي (ت ٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) وشرحها
- هادى الراغبين فى زيارة قبور الصالحين لأبى محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن على بن محمد بن على بن طلحة

ويمثل المصادر العقائدية :

- المصاحف للسجستاني (ت ٣١٦ هـ - ٩٢٩ م)
- السنكسار
- شرح الانجيل
- السند هند ، والهارزوان ، والأزدجهير ، فى عقائد الهند

ويمثل المصادر الفلسفية :

- الآثار العلوية لأرسطوطاليس
- أسرار مقدمة المعرفة ليعقوب بن اسحاق الكندي (ت ٣٨٧ هـ - ٨٦٧ م)
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م)

ويمثل مصنفات الطب والصيدانية :

- تدبير أبدان الأصحاء لابن حاسوبيه (ت ٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م) .
- القانون فى الطب لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م) .
- تقويم الصحة لابن بطلان (ت ٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م) .
- شرح كتاب الأربع (لبطليموس) لابن رضوان (ت ٤٥٣ هـ - ١٠٦١ م) .
- منهاج البيان فيما يستعمله الانسان لابن جزلة (ت ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م) .
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) .
- شرح القانون لابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ - ١٢٨٨ م) .

ويمثل مصنفات النبات والفلاحة :

- النبات لأبى حنيفة الدينورى (٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م) .
- الفلاحة النبطية لابن وحشية (ت ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) .

ويمثل مصنفات الجغرافيا والرحلات :

- الأقاليم ووصف الجزائر والبخار والمدن لبطليموس .
- كتاب هروشيوس ، فى ترجمته العربية .
- المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ - ٩١٣ م) .
- صور الأقاليم لأبى زيد البلخى (ت ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م) .
- صورة الأرض لابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م) .

- رسم العمور للخوارزمي (ت ٢٨٣ هـ - ٩٩٣ م)
- معجم ما استعجم للبكري (ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م)
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الاديسى (ت ٥٦٠ هـ - ١١٦٥ م)
- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م)
- المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م)
- عجائب البنيان لشافع بن على الكنانى (ت ٧٣٠ هـ - ١٣٣٠ م)

ويمثل المصادر المتصلة بعلم الأنساب :

- التيجان فى معرفة ملوك الزمان لابن هشام (ت ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م)
- الاكليل للهمذانى (ت ٣٣٤ هـ - ٩٤٦ م)

ويمثل المصادر التاريخية :

- كتاب المبدأ لابن اسحاق (ت ١٥١ هـ - ٧٦٨ م)
- الفتوح للمواقدي (ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٣ م)
- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٢٠ هـ - ٨٤٥ م)
- المنق لابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م)
- فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكيم (ت ٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م)
- تاريخ المدينة لعمر بن شيه (ت ٢٦٢ هـ - ٨٧٦ م)

- - أخبار مكة للمفاكهي (ت ٢٧٢ هـ - ٨٨٥ م) .
- - فتوح البلدان للبلادري (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) .
- - تاريخ اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م) .
- - تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) .
- - أخبار الزمان ، والتنبية والاشراف ، ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) .
- - تاريخ الغرباء ، وتاريخ مصر لابن يونس (ت ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م) .
- - أخبار مسجد أهل الراية الأعظم ، والجدد الغربي ، والموالي وأمراء مصر للكندي (ت ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م) .
- - أعيان الفرس لعلى بن حمزة الأصفهاني (ت ٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) .
- - التحف والهدايا للخالدين (ت ٤ هـ - ١٠ م) .
- - أخبار (سيرة) المادرائيين كتاب مصسر ، وانمام أخبار أمراء مصر (للكندي) ، وسيرة المعز ، وسيرة الاخشيد ، والعيون الدعيج قى حلى دولة بنى طنج لابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) .
- - الديارات للشابشمتي (ت ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) .
- - تاريخ أفريقيآ والمغرب للرهيق القيرواني (كان حيا سنة ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) .
- - أخبار النبوة والمقرة وعلوة والبجة والنيل لعبد الله بن أحمد ابن سليم الأسواني (ق ٤ هـ - ١٠ م) .
- - سيرة أحمد بن طولون للبلوي (ق ٤ هـ - ١٠ م) .

- فضائل مصر لابن الكندي (كان حيا فى النصف الثانى من
ق ٤ هـ – ١٠ م) .
- أخبار مصر للمسبحى (ت ٤٢٠ هـ – ١٠٢٩ م) .
- الفهرست للنديم (ت ٤٣٨ هـ – ١٠٤٧ م) .
- الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى (ت ٤٤٠ هـ –
١٠٤٨ م) .
- المختار فى ذكر الخطوط والآثار للافضاعى (ت ٤٥٤ هـ –
١٠٦٢ م) .
- نقط العروس لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ – ١٠٦٤ م) .
- دلائل النبوة للبيهقى (ت ٤٥٨ هـ – ١٠٦٦ م) .
- طبقات الأمم لابن صاعد (ت ٤٦٢ هـ – ١٠٧٠ م) .
- الذخائر والتحف للرشيد بن الزبير (ق ٥ هـ – ١١ م) .
- الرسالة المصرية لابن أبى الصلت (ت ٥٢٩ هـ – ١١٣٥ م)
- الاشارة الى من نال الوزارة لابن مذجب الصيرفى (ت
٥٤٢ هـ – ١١٤٧ م) .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ – ١١٧٦ م) .
- معجم السفر للسلفى (ت ٥٧٦ هـ – ١١٨٠ م)
- الروض الأتف للسهيلى (ت ٥٨١ هـ – ١١٨٥ م) .
- أخبار مصر للمأمون البطائحى (ت ٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م) .
- الجواهر المكنون فى معرفة القبائل والبطون ، والنقط على
ما أشكل من الخطط للشريف الجوانى (ت ٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م) .

- تعليق المتجددات (مياومات) القاضى الفاضل (ت
٥٩٦ هـ - ١٢٠٠ م) .
- جواهر البحور وعجائب الدهور فى أخبار الديار المصرية
لابن وصيف شاه (ت ٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م) .
- قوانين الدواوين لابن ممانى (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م) .
- نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين لابن الطوير (ت ١٦٧ هـ
- ١٢٢٠ م) .
- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة
فى أرض مصر لعبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ - ١٢٢١ م) .
- معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب لابن
أبى طى (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م) .
- الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م) .
- حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة (كان حيا سنة
٦٣٢ هـ - ١٢٣٥ م) .
- تاريخ ذى الرياستين (النبراس) لابن نحية (ت ٦٣٣ هـ
- ١٢٣٥ م) .
- المعجم المترجم للمنذرى (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) .
- عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ت
٦٦٨ هـ - ١٢٧٠ م) .
- تاريخ الجمال اليعمورى (ت ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م) .
- أخبار مصر لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ - ١٢٧٨ م) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م) .

- المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥ هـ - ١٢٨٦ م) .
- الدر النظيم فى أوصاف القاضى عبد الرحيم ، والروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ - ١٢٩٣ م) .
- ايقاظ المتغفل واتعاط المتأمل (ت ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م) .
- كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدوادارى (ق ٨ هـ - ١٤ م) .
- حوادث الزمان للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ - ١٣٣٩ م) .
- مجانى الهصر لأبى حيان (ت ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م) .
- الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م) .
- نزهة الناظر فى سيرة الملك الظاهر لليوسفى (ت ٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م) .
- العبر فى أخبار من مضى وغير للشمس ابن النقلش (ت ٧٦٣ هـ - ١٣٦١ م) .
- أعيان العصر وأعوان النصر للصالح الصفدى (ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣ م) .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) .
- خطط الأوحدى (ت ٨١١ هـ - ١٤٠٨ م) .
- أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن أبى طلحة الموفق ابن المتركل لأبى الحسين عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى طاهر (ت ٩٩) .
- تاريخ يوسف بن كرىون (ت ٩٩) .

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « المقرئى » فى الاسناد الى المصادر ، لتتمثل فى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف وعنوان الكتاب :
ويمثله قوله :

« ٠٠٠ وقال الجاحظ فى كتاب مدح مصر : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجواهر

المكونون فى معرفة القبائل والبطون : ٠٠٠ »

(ب) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف ، مع اغفال
التصريح بعنوان كتابه :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن

شريط ، قال : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ قال ابن الطوير : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ قال المسعودى : ٠٠٠ »

(ج) الاسناد الى المصدر ، مصرحا بعنوان الكتاب ، مع اغفال
التصريح باسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ قال فى تاريخ مدينة رومة : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقد حكى صاحب كتاب محاسن الأبرار ومجالس
الأخيار : ٠٠٠ »

وقوله :

« ذكر فى كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجرّيات : ٠٠٠ »

(د) الإسـناد الى مبهم :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ حكى القبط فى كتبهم أن : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وذكر بعض المؤرخين أن : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقد اختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله سميت
هذه الأرض بمصر ، فقال قوم : ٠٠٠ ، وقيل : ٠٠٠ ، وقيل : ٠٠٠ ،
وقال آخرون : ٠٠٠٠ »

(هـ) أهـمال الإسـناد الى المصدر :

ومع ذلك ، فقد أهمل « المقرئى » فى مواضع كثيرة من
« الخطط » التصريح بمصدره فيها ، ومن ذلك قوله فى معرض
الحديث عن القطائع :

« ٠٠٠ وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين
ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم ،

وكان مراده فى سنة عشرين ومائتين ، وولدت - أيضا - أخاه موسى وحبيسية وسمانة .

وكان طولون من الطغرغر ، مما حملة نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبرانيين وغير ذلك فى كل سنة ، وذلك فى سنة مائتين .

فنشأ أحمد بن طولون نشأ جميلا ، غير نشيء أولاد العجم ، فوصف بعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه أهل طبقتة ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس مرات ، وأقى المحدثين ، وسمع منهم ، وكتب العلم ، وصحب الزهاد وأهل الورع ، فتأدب بأدابهم .

وظهر فضله ، فاشتهر عند الأولياء ، وتميز على الأتراك ، وصار فى عداد من يوثق به ، ويؤتمن على الأموال والأسرار ، فزوجه ياجور ابنته ، وهى أم ابنه العباس وابنته فاطمة .

ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقة على الثغر ، فأجابته ، وخرج الى طرسوس ، فأقام بها . وشق على أمه مفارقتها ، فكاتبته بما أقلقته .

فلما قفل الناس الى سر من رأى ، سار معهم الى لقاء أمه ، وكان فى القافلة نحو خمسمائة رجل ، والخليفة ان ذاك المستعين بالله أحمد ابن المعتصم ، وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة ، فلما عاد بها - وهى وقر بخل - الى طرسوس ، خرج مع القافلة .

وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين ، فطرق الأعراب بعض سوادهم ، وجاء الصائح ، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم

وتبعوه ، فوضع السيف فى الأعراب ، ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وقرؤا منه .

وكان من جملة ما استنقذ من الأعراب البيغل المحمل بمتاع الخليفة ، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم ، وكبر فى أعين القافلة .

فلما وصلوا الى العراق ، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به ، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البيغل بما عليه ، وما كان من صنع أحمد بن طولون ، فأمر له بألف دينار ، وسلم عليه مع الخادم ، وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ، ففعل ذلك .

وتوالت عليه صلوات الخليفة حتى حسنت حاله ، ووهبه جارية اسمها مياس ، استولدها ابنه خمارويه فى النصف من المحرم سنة خمسين ومائة .

وهذا النقل - على طوله - قد أخذه « المقرئى » عن « سيرة أحمد بن طولون » للبلوى ، دون عزو اليه ، وهى فيها على النحو التالى :

« ٠٠٠ وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة ، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم ، ولدت أحمد فى سنة عشرين ومائتين ، وولدت بعده أخاه موسى وحبيسية وسمانة . وكان طولون من طغرغر ، حمله نوح بن اسد عامل بخارى وخراسان الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة ، وذلك فى سنة مائتين .

٠٠٠ فنشأ أحمد بن طولون نشوءا جميلا غير نشوء أولاد العجم ، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تسف اليه طبيقته ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس مرات ،

ولقى شيوخ المحدثين وسمع منهم ، وكتب العلم . وحصل له من ذلك
قطعة كبيرة .

وألف بطرسوس جماعة من الزهاد ، وأهل الدين والورع ،
فأدبوه بأدابهم ، فصنعت طريقته ، وظهر فضله ، فتمكن له في قلوب
الأولياء ما ارتفع به على طبقتة ، وبان فضله على وجوه الأتراك ،
وصار محله عندهم محل من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج ،
ومثل هذا عند العجم محله عظيم في نفوسهم ، لو تصنع به متصنع ،
فكيف من مبتدئ غير متصنع ! فخطب الى يارجوخ ابنته فزوجه ،
وكانت أم ابنه العباس وابنته فاطمة .

فلما كان في نفسه من محبة الخير ورغبته فيه – سأل الوزير
أن يكتب برزقة الى الثغر ، وعرفه رغبته في المقام به فأجابه الوزير
عبيد الله بن يحيى الى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطرسوس حدة .
وشق على أمه مفارقتها لها ، فكاتبته بما ألقه ، فلما قفل الناس الى
سر من رأى قفل مسهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحووا من
خمسائة رجل ، والخليفة – يومئذ – المستعين بالله .

وكان قد اتفق أن المستعين بالله استحسن شيئاً يجعل ببلاد
الروم ، من بزيون وكراسى حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجرى فيها
الذهب ، وأشياء يضمن بها الملك أن تخرج الى أرض العرب ، فأنفذ
خادماً من خدمه يتكلم بالرومية الى ملك الروم ، برسالة جعلها سبباً
لما يريد ، وأمر الخادم أن يتلطف في ابتياع ماتهباً له مما قدمنا ذكره
وقدر عليه ، وخرج الخادم ووصل الى ملك الروم وأدى الرسالة ،
وأنزل في دار فرشت له ، وبلغ في اكرامه كل مبلغ ، وجعل يلتمس
شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشترى ما حصل له
منه وقر بغل ، لم يمكنه أكثر منه .

فأجاب ملك الروم المستعِين عن رسالته ، وحمل اليه هدايا حسانا ، وخلص الخادم ذلك اليفل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير المؤمنين فى حمله ما حمل معه ، وشرح حتى حصل طرسوس ، وخرج مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت الأعراب شيئا من سوادهم فى بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت الصيحة ، وجاء النذير الى الطائفة التى فيها أحمد بن طولون ، فكان أول من انتدب ، وحض على القتال ، والذهاب خلف الأعراب الى حيث قصدوا ، وسار يريداهم ، فلما رآه الباقون أتبعوه ، فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه عليهم ، وحذفهم بالنشاب ، وكان حسن الرمى لا يخفى شيئا ، فحلى الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم .

وكان فيما أخذه الأعراب اليفل المحمل ذلك المتاع الذى لم يوصل اليه الا بالحيلة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ٠٠٠ وعظم أحمد بن طولون فى عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر فى قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا الى العراق أحضر الخادم ذلك المتاع الى المستعِين ، فاستحسنه وسر به كل سرور ، فذكر له الخادم ما عاناه فى أمره قبل الوصول اليه ، وقال له : وأعظم ما جرى يامولاي أنه لما حصل وسلم الى طرسوس ووقلت مع الناس ، خرج علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله - جل اسمه - من على بسلام من غلمان مولاي أمير المؤمنين يعرب بأحمد بن طولون ، فانه أول من انتدب وخرج اليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقللت نفسى أسفا على فواته .

فازداد به المستعِين سرورا ، وأمر فى الوقت لأحمد بن طولون بآلف دينار ، وقال للخادم : امض أنت بها اليه سرا ، وأقرئه منى

السلام ، وقل له عنى : لولا خوفى من أن يعلم محله من قلبى فيحسد ويقتل لبلغته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل الى فى المسلمين أرنيه . فأوصل اليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله - عز وجل - على ذلك . *

فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم المستعين عليه حتى رأى ، فأشار اليه المستعين بالسلام ، ونم يزل يفعل ذلك كلما دخل اليه فى المسلمين ، ويوجه اليه بالصلة الوافرة فى كل وقت ، دفعة بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، ووهب له جارية اسمها مياس . فولدت له أبا الجيش فى التصف من المحرم سنة خمس مائتين . *

وهكذا ، فإن « المقرئى » قد نقل عن « البلوى » فى هذا الموضوع نقلاً متتابعاً دون عزو اليه ، مع ما تخلل من قوله عنه من الذنوف مما يجعل مصدره - فيما نقل عنه - مصدراً رئيساً لا غنى عنه . *

ثالثاً : طرق النقل :

راوح « المقرئى » فى الخطط بين النقل الحرفى عن مصادره والنقل عنها متصرفاً فى النسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لمنقوله عنها . *

أما النقل الحرفى : فيمثله قوله معرفاً بجهاركس الصلاحى :

« ٠٠٠ بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى النسوبة اليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر فى شىء من البلاد مثلها فى حسننها وعظمتها واحكام بنائها ، وبنى بأعلامها مسجداً كبيراً وربعا معلقاً . وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمئة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وترتبه مشهورة هناك . رحمه الله » . *

وهو قول مطابقى وقول ابن خلكان :

« ٠٠٠ بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر فى شىء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمتها واحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا • وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى » •

وقوله فى الاسكندرية :

« ٠٠٠ وقال ابن خرداذبة : روى أن الاسكندرية بنيت فى ثلاثمائة سنة ، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنازلها العجيبة على سرطان زجاج فى البحر ، وأنه كان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولا لأهلها » •

ويقاله لى « ابن خرداذبة » قوله :

« ٠٠٠ والاسكندرية ، يقال : أنها بنيت فى ثلاثمائة سنة ، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنازلها العجيبة على سرطان من زجاج فى البحر ، وكان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خولا لأهلها » •

وأما التصرف فى النسقين الترتيبى والتعيرى للمنقول ، أو فى أحدهما ، فيمثل قوله :

« قال ياقوت فى باب حلب : الأول - حلب المدينة المشهورة بالشام ، وهى قصبية نواحى قنسرين والعواصم اليوم • الثانى - حلب الساجور من نواحى حلب أيضا • الثالث - كفر حلب ، من

قراها أيضا . الرابع - محلة بظاهر القاهرة ، بالشارع من جهة
الفسطاط ، والله تعالى أعلم » .

ويقابلنه لدى ياقوت قوله :

« بأب حلب : أربعة مواضع ، بفتح الحاء واللام والباء موحدة :

الأول - حلب المدينة المشهورة . وهى قصبية نواحي قنسرين
والعواصم بالشام ، مضر عظيم خرج منها من لا يحصى كثرة من أهل
العلم فى كل فن .

الثانى - كفر حلب من قراها .

الثالث - حلب ، محلة كبيرة بالشارع فى ظاهر القاهرة من
جهة الفسطاط .

الرابع - حلب الساجور ، من نواحي حلب - أيضا - لها ذكر
فى الفتوح » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » قد تصرف فى
منقوله عن مصدره ، معدلا النسق الترتيبى المصاحب له ، بتقديم
« حلب الساجور » على « كفر حلب » ، و « محلة حلب » ، كما عمد
الى تعديل التعبير - كذلك - سواء بحذف بعض الكلمات ، أو بإبدالها
بألفاظ متقاربة المعنى .

ومن أمثلة ذلك قوله :

« . . . وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج : انبعث النيل
من جبل القمر وراء خط الاستواء ، من عين تجرى منها عشرة أنهار ،
كل خمسة منها تصب الى بطيحة ، ثم يخرج من كل بطيحة نهران ،
وتجرى الأنهار الأربعة الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الأول ، ومن
هذه البطيحة يخرج نهر النيل » .

ويقابله فى مصدره قوله :

« أول العيون عين تخرج من جبل القمر حذاء خط الاستواء ، ثم يتشعب منها عشرة أنهار ، وتصب كل خمسة منها فى بطيحة من بطيحتين من الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء ، ثم يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار ، تجتمع الى البطيحة فى الاقليم الأول عند بعد جزء من خط الاستواء ، ثم يخرج من هذه البطيحة نهر - هو نيل مصر - حتى يمر بمدينة النوبة ، ويقطع الاقليم الأول حتى يتجاوزها على سمتها بمقدار جزء ونصف من الاقليم الثانى . » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » لم يلتزم بالنسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لنقله عن مصدره ، كما أنه لم يكن دقيقا فى النقل ، حيث أشار الى أن كل بطيحة يخرج منها « نهران » بينما أشار مصدره الى أنه « يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار » . ويمثل ذلك - أيضا - قوله :

« وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى : وكانت دار الملك بمصر فى قديم الدهر مدينة منف ، وهى فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . »

فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها ، فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكنها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا . » . ويقابله لدى مصدره قوله :

« ٠٠٠ » والملك بمصر من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . ولما بنى

الاسكندر مدينة الاسكندرية منذ نحو ألف سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رغب الناس فى عمارتها ، وكانت دار علم ، ومقر الحكمة ، الى أن تغلب عليها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانسرب أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكنائها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » قد حافظ على النسق الترتيبيى المصاحب لنقوله عن مصدره ، بينما تصرف فى نسقه التعبيرى سواء بالاسقاطات ، أو بالابدال فى بعض ألفاظه بالفاظ متقاربة فى المعنى .

النقد التاريخى فى الخطط

المطلع على ما دونه « المقرئى » فى الخطط يعجب لكثرة ما تردّد فيها من الخرافات (أو مستغربات الصدوث) المثبتة لديه عن مصادره ، خاصة « ابن وصيف شاه » وقد وثق فيه ، على النحو الرارد فى قوله :

« ٠٠٠ فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار اهل مصر » .

ولعل هذا العجب ليس منصرفاً الى اثباته هذه الخرافات عن مصادره ، انصرفه الى ما جبل عليه مؤرخنا من التصديق لأكثرها ، بل والتدليل على صحتها ، وان كان فيها ما يمجه العقل ، ويأباه الذوق ، ومن ذلك قوله مدللاً على صحة ما تردّد فى مصدره من جلب سبعة من العواميد ، منها عمود السوارى - من الصعيد الى الاسكندرية - حملاً تحت الآباط ، قائلاً :

« ٠٠٠ ويقال : ان عمود السوارى الموجود - الآن - خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة ، أتى بأحدها البتون بن مرة العادى ، وهو يحملته تحت أبطه من جبل بريم الأحمر - قبلى اسوان - الى الاسكندرية ، فانكسر ضلعه لأنه كان ضعيف القوى

فى قومه ، فشق ذلك على يعمر بن شداد ابن عاد ، وقال : ليتنى فديته بنصف ملكى ، وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الثمودى ، وكان قويا ، فحمله من أسوان تحت ابطه ، وجاء بقية رجالهم ، كل رجل بعمود ، فأقام العمود السبعة الجارود بن قطن المؤنكى ، وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هى عادتهم فى عامة أعمالهم .

••• وكانى بمن قل علمه ينكر علي ايراد هذا الفصل وپراه من قبيل المحال ، ومما وضعه القصاص ، ويجزم بكذبه ، فلا يوحشك حكايته له ، واسمع قول الله - تعالى - عن عاد قوم هود : « وانكروا ان جعلكم خلفاء من بعدم قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة » (٦٩ : الأعراف) ، أى طولا وعظم جسم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان أطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا ، وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم ؛ وقيل : على خلق قوم نوح .

وقال وهب بن منبه : كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة ، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع ، وكذلك مياخروهم .

وروى شهر بن حوشب عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : « ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يطيقوه ، وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الأرض فيدخل فيها .

وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابن بجرة ، قال : استنزل سبعون رجلا من قوم موسى - عليه السلام - فى قحف رجل من العماليق .

وعن زيد بن أسلم : بلغنى أن الضبعة وأولادها ربيبن فى حجاج عين رجل من العماليق .

وقال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ،
التي لم يخلق مثلها في البلاد » (٦ - ٨ : الفجر) .
قال المبرد : وقولها - يعنى الخنساء : رفيع العماد ، انما تريد
الطول . يقال : رجل معمد ، يريده طويلا ، ومنه قوله تعالى : « ارم
ذات العماد » ، أى الطول .

وقال اليفغوى : سموا ذات العماد ، لأنهم كانوا أهل عمد سيارة ،
وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ، ورواية عطاء عن ابن عباس .
وقال بعضهم : سموا ذات العماد لطول قاماتهم . قال ابن عباس :
يعنى طولهم مثل العماد : قال مقاتل : كان طول أحدهم اثني عشر
ذراعا .

وفى كشفاف الزمخشري : لم يخلق مثلها : مثل عاد ، فى البلاد
عظم أجرام وقوة ، كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع ، وكان يأتى
الصخرة العظيمة فيحملها فيلقبها على الحى فيهلكهم .

وقد ذكر غير واحد أنه وجد فى خلافة المقتدر بالله أبى الفضل
جعفر ابن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر
شبرا فى عرض ثلاثة أشبار .

وأعلم أن أعين بنى آدم ضيقة ، وقد نشأت نفوسهم فى محل
صغير ، فإذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم
عما ليس له عندهم أصل يقيسونه عليه الا بما يشاهدونه أو يألّفونه
عجلوا الى الارتياح فيه ، وسارعوا الى الشك فى الخبر عنه ، الا
من كان معه علم وفهم ، فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد
دليلا على قبوله أو رده . وكيف يرد مثل هذه الأخبار وفى الصحيح
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خلق الله آدم طوله
ستون ذراعا فى السماء ، ثم لم ينزل الخلق ينقص حتى الآن .

وهكذا ، فان مؤرخنا قد ألح على توكيد هذا الخبر بما فيه من الخرافة - المدرك نكارتها لدى مطالعتها - موهما صحته ، استنادا الى أقوال علماء التفسير والحديث واللغة والمؤرخين في « عاد ، قوم هود » معتقدا أن العلم والفهم ينفيان الارتباب فيه ، بل فيهما الدليل على تصديقه ، وان لم تنطبق تلك الشواهد على طولها وتعددتها على الواقعة المراد التدليل على صحتها ، فعمود السواري لم يكن من فعل « عاد ، قوم هود » ، وشواهد القرآن - الكريم - وصحيح الحديث ، وما عثر عليه من الجثث المحنطة - وهي سابقة لزمانهم - ليس فيها ما ينبئ بهذا الافراط الجسدى ، فضلا عن حمل الأعمدة تحت آباط الرجال .

فاذا ما تجاوزنا هذه المواضع بشواهدنا ، وجدنا أن «المقريزى» مؤرخ على درجة كبيرة من الحس التأريخى ، والادراك اللواعى لما يثبته عن مصادره ، وأن جوانب النقد لديه فى « الخطط » خصبة ومتعددة ، بحيث يمكن تصنيفها الى الموضوعات الآتية :

(أ) مناقشة مصادره المكتوبة تصويبا لأخطائها :

على الرغم من أن « المقريزى » اعتمد كثيرا من المصادر فى بناء مادة كتابه ، فانه كانت له نظرة فى تلك الأخبار المنقولة عنها ، عامل بها هذه الأخبار على أنها جزئيات تخضع للنقد - اقرارا أو تنفيدا - ولذا لم يتحرج من مناقشتها ، وكشف أوهامها ، على النحو المدرك من قوله معرفا بقرية الخندق :

« ٠٠٠ وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني فى كتاب الأغاني الكبير : عن الرياشى انه قال عن سكينه بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام : ان أبا عنترتها عبد الله بن الحسن

ابن على ، ثم خلفه عليها العثماني ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت اليه سكيئة : ان مصر ارض وخمة ، فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الأصبغ ، وبلغ عبد الملك تزوجه اياها ، فنفس بها عليه ، وكتب اليه : اختر مصر أو سكيئة ، فبعث اليه بطلاقها ، ولم يدخل بها ، وتمعها بعشرين ألف دينار .
قلت : في هذا الخبر أوهام :

منها أن الأصبغ لم يل مصر ، وانما كان مع أبيه عبد العزيز ابن مروان .

ومنها أن الذي بناه الأصبغ لسكيئة منية الأصبغ هذه ، وليست مديئة .

ومنها أن الأصبغ لم يطلق سكيئة ، وانما مات عنها قبل أن يدخل بها .
وقوله :

« . . . وقال ابن عبد الظاهر : الخندق هو منية الأصبغ ، وهو الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال مؤلفه رحمه الله : وقد وهم ابن عبد الظاهر ، فجعل ان الخندق احتقره العزيز بالله ، وانما احتقره جوهر كما تقدم » .
وقوله في معرض الحديث عن الحارة المجمودية :

« . . . واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر ، فلم يعرف نسبتها لمن ، وقال : لا أعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود الا ركن الاسلام محمود ابن أخت الصالح بن رزيك صاحب الترية بالقرافة ، اللهم الا أن يكون محمود بن مصال الملكي الوزير ،

فيقد ذكر ابن القفطي أن اسمه محمود ، ومحمود صاحب المسجد بالقرافة ، وكان في زمن السري بن الحكم قبل ذلك .

وهذا وهم آخر ، فان ابن مصال الوزير اسمه سليمان ، وينعت بنجم الدين » .

وقوله في الحارة اليانسية :

« ٠٠٠ قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة ، أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله ، الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ، ويعرف بيانس الفاصد ، وكان أرمنى الجنس ، وسمى الفاصد ، لأنه فصد الأمير حسن بن الحافظ ، وتركه محلولا فصاده حتى مات . وله خبر غريب في وفاته .

كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا ، فقال لطبيبه : اكفنى أمره بماكل أو مشرب ، فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين ، وربما قتله بها ، والحافظ يحثه على ذلك .

فاتفق ليانس الوزير المذكور أن مرض بزحير ، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك ، فقال : يامولاي ، قد أمكنتك الفرصة ، وبلغت مقصودك ، ولو أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن الحديث ، وهذه المرضة ليس دوائه منها إلا الدعة والسكون ، ولاشئ أضر عليه من الانزعاج والحركة ، فبمجرد ما سمع بقصد مولانا له يتحرك ، واهتم بلقاء مولانا وانزعج ، وفي ذلك تلاف نفسه . ففعل الخليفة ذلك ، وأطال الجلوس عنده ، فمات .

وهذا الخبر فيه أوهام ، منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير ، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة .

ومنها أنه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصاده ، وليس كذلك ، وإنما مات مسموماً •

ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصدته ، وليس كذلك ، بل الذى تولى قتله بالسهم أبو سعيد ابن فرقة •

ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الأمراء فخانته فى ابنه حسن ، إنما هو الأمير المعظم جلال الدين محمد ، المعروف بجلب زاغب •

وهذا نص الخبر ، فنزهه بالك ، والله تعالى أعلم •

وقوله فى معرض الحديث عن حارة الحسينية :

« ٠٠٠ وقال (ابن عبد الظاهر) فى موضع آخر : الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين ، كانوا فى الأيام الكاملة ، قدموا من الحجاز ، فنزلوا خارج باب النصر بهذه الأمكنة واستوطنوها ، وبنوا مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى ، قسمت بالهسينية ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك ، وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة •

وهذا وهم ، فإنه تقدم أن من جملة الطوائف فى الأيام الجاكمية الطائفة الحسينية ، وتقدم - فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا - أن الحسينية كانت عدة حارات ، والأيام الكاملة إنما كانت بعد الستمائة ، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف عن مائتى سنة ، فتدبر •

وقوله فى معرض الحديث عن المدرسة السيوفية .

« ٠٠٠ وقد وهم القاضى محبى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، فإنه قال فى كتابه الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة : مدرسة

السيوفية ، وهى للحنفية ، وقفها عز الدين فرخشاه قريب صلاح الدين .

وما أدري كيف وقع له هذا الوهم ؟ فان كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف . . . » .

وقوله معرفا بالفسطاط :

« . . . » وقال ابن سعيد فى كتابه المغرب : وأما فسطاط مصر ، فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو بن الحاص ، وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه .

وهذا وهم من ابن سعيد ، فان فسطاط عمرو إنما كان مضروباً عند درب حمام شمول بخط الجامع ، هكذا هو بخط الشريف محمداً ابن أسعد الجوائى النسابة ، وهو أقعد بخط مصر ، وأعرف من ابن سعيد . . . » .

وقوله معرفا بجامع راشدة :

« . . . » وقال ابن المتوج : هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط ، وهو مشهور - الآن - بجامع راشدة ، وليس بصحيح ، وإنما جامع راشدة كان جامعاً قديماً البناء بجوار هذا الجامع ، عمر فى زمن الفتح ، عمرته راشدة ، وهى قبيلة من القبائل ، كقبيلة تجيب ومهرة ، نزلت فى هذا المكان ، وعمروا فيه جامعاً كبيراً أدركت أنا بعضه ومحرابه . . . فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة . وأما هذا الموجود - الآن - فمن عمارة الحاكم .

. . . قال مؤلفه : هذا وهم من ابن المتوج فى موضعين :

أولهما أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر ، وهذا

قول لم يقله أحد من مؤرخى مصر ، فهذا الكندى ، ثم القضاعى
- وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر - ومن قبلهما ابن عبد الحكم ،
لم يقل أحد منهم أن رابضة عمرت زمن الفتح مسجداً ، ولا يعرف
من هذا السلف - رحمهم الله - فى جند من أجناد الإمبراطور التى
فتحتها الصحابة - رضى الله عنهم - أنهم أقاموا خطبتين فى مسجد
واحد .

وقد حكي لنا ما تقدم عن المسجى - وهو مشاهد - ما نقله من بناء
الجامع المذكور فى موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله ، وتغييره
لبناؤه غير مرة ، وتبعه القضاعى على ذلك . وقد عد القضاعى
والكندى فى كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من
مساجد الخطبة القديمة والمحدثه ، وذكرنا مساجد رابضة ، ولم يذكرنا
فيها جامعاً أخطبته رابضة ، وذكرنا هذا البير ، وعين القضاعى
اسمه ، وهدم وبنى فى مكانه جامع رابضة ، وناهيك بهما معرفة
لأخبار مصر وخططها .

والوهم الثانى الاستدلال على الوهم الأول بمشاهدة بقايا
مسجد قديم ، ولا أدرى كيف يستدل بذلك ؟ فمن أنكر أن يكون قد
كان هناك مسجد ! بل المدعى أنه كان لرابضة مساجد ، لكن كونها
اختطت جامعاً هذا غير صحيح .

وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة فى
كتابه تاريخ حلب :

كانت النصارى اليعقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت
قد اندرست لهم بظاهر مصر ، فى الموضع المعروف برباضة ، فنار
قوم من المسلمين وهدموا ما بنى النصارى ، وأنهى الى الحاكم ذلك ،
وقيل له : ان النصارى ابتدأوا بناءها ، وقال النصارى : انها كانت
قبل الاسلام . فأمر الحاكم حسين بن جوهر بالنظر فى حال الفريقين ،

فمات في الحكم مع النصارى ، وتبين للحاكم ذلك ، فأمر أن تبني تلك الكنيسة مصجداً جامعاً ، فبني في أسرع وقت ، وهو جامع راشدة ، وراشدة اسم للكنيسة .

٢٠٠ ، وهذا - أيضاً - موضح بأن جامع راشدة أسسه الحاكم ، وفيه وهم ، لكونه جعل راشدة اسماً للكنيسة ، وإنما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك ، فعرفت تلك البقاع بخطه راشدة »^١

(ب) التثبيت من ضحكة ما أمده به الرواية الشفهية من أخبار :

ويمثله قوله في معرض الحديث عن دمياط :

« ٢٠٠ » وقد أخبرني الأمير الوزير المشنير الأستاذار يلبغا الساماني - رحمه الله - أنه لم ير في البلاد التي سلكها من سمرقند إلى مصر أحسن من دمياط هذه ، فظننت أنه يخلو في فديتها إلى أن شاهدها ، فإذا هي أحسن بلد وأنزه ، وفيها أقول :

سقى عهد دمياط وهيأه من عهد

فقد زلني نكراه وجداً على وجد

ولازلت الأتواء تسقى سسخابها

دياراً تكنت من حسنها جنة الخلد

(الطويل)

وقوله في معرض الحديث عن خط بين القصرين :

« ٢٠٠ » وقع في سنة ست وثمانين (وسبعمائة) شيء لا يكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان ، وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعاني الجندية ويركب الخيل ، فبلغني عن

غلامه أنه خرج في ليلة من ليالى رمضان - وكان رمضان إذ ذاك في فصل الصيف - ومعه رفيق له من غلمان الخيل ، وأنهما سرقا من شارع بين القصرين وماً قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء ، وبضعا وثلاثين شقفة جبن ، والشقفة أبدا من نصف رطل الى رطل ، فما منا الا من تعجب من ذلك ، وكيف تهيأ لاثنين فعل هذا ، وحمل هذا القدر يحتاج الى دابتين ، الى أن قدر الله - تعالى - لى يعد ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين ، وسألته عن ذلك فاعترف لى به . قلت : صف لى كيف عملتما . فذكر أنهما كانا يقفان على حانوت الجبان أو مقعد البطيخى ، وكان إذ ذاك يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرضات كثيرة جدا ، فى كل مرض ما شاء الله من البطيخ ، قال : فاذا وقفنا قلب أحدنا بطيخة وقلب الآخر آخرى ، فلشدة ازديحام الناس يتناول أحدنا بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم فلا يقطن به ، أو يقلب أحدنا ورفيقه قائم من ورائه والبياع مشغول البال لكثرة ما عليه من المشترين وما فى ذلك الشارع من عزير الناس ، فيحذقها من تحته وهو جالس القرفصاء ، فاذا أحس بها ورفيقه تناولها ومر ، وكذلك كان فعلهم مع الجبانين ، وكانوا كثيرا .

(ج) تصويب الكثير من الأخطاء الشائعة فى عصره :

كنحو قوله فى رحبة باب العيد :

« ٠٠٠ هذا الباب مكانه اليوم داخل درب السلامى بخط رحبة باب العيد . وهو عقد محكم البناء ، ويعلوه قبة قد عملت مسجدا ، وتحته حانوت يسكنه سقاء ، ويقابله مصطبة . وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ، ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرضى كفه ، فتأتى الناس وتقبله . وهذا غير صحيح » .

وقوله فى با بزويلة :

« ٠٠٠ والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك

لا تقتضى له حاجة ، ويقول بعضهم : من أجل أن هنالك آلات المنكر
(آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما) وأهل البطالة من
المغنين والغنيات .

وليس الأمر كما زعم ، فإن هذا القول جار على السنة أهل
القاهرة من حين دخل المعز إليها ، قبل أن يكون هذا الموضع سوقا
للمعازف ، وموضعا لجلوس أهل المعاصى .

وقوله فى بركة الجب :

« ٠٠٠ ومن الناس من يقول : جب يوسف ، وهو خطأ ، وإنما
هى أرض جب عميرة ، وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى
من بنى القراء نسبته هذه الأرض اليه ، فقبل لها : أرض جب
عميرة ، ذكره ابن يونس » .

وقوله فى مسجد زرع النوى :

« ٠٠٠ وتزعم العامة أنه بنى على قبر رجل يعرف بزراع النوى،
وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا - أيضا - من افتراء العامة الكذب . فان الذين أفردوا
أسماء الصحابة - رضى الله عنهم - كالامام أبى عبد الله محمد بن
اسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير ، وابن أبى خيثمة ، والحافظ
أبى عبد الله بن منذر ، والحافظ أبى نعيم الأصفهاني ، والحافظ أبى
عمر بن عبد البر ، والفقيه الحافظ أبى محمد على بن أحمد بن سعيد
ابن حزم ، لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزراع النوى .

وقد ذكر فى أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من
الصحابة ، وذكر فى أخبار مدينة قسطنطين مصر - أيضا - من دخل
مصر من الصحابة ، وليس هذا منهم .

وهذا إن كان هناك قبر ، فهو لأمين الأماناء ، أبى عبد الله ،
الحسن ابن طاهر الوزان ، *

وقوله فى رحبة جعفر :

« ٠٠٠ هذه الرحبة تجاه برجوان ، يشرف عليها شباك مسجد
تُزعم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق ، وهو كذب مختلق وافك
مفتري ، ما اختلف أحد من أهل العلم بالحدِيث والآثار والتأريخ
والسير أن جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام - مات قبل بناء
القاهرة بدمر ، وذلك أنه مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، والقاهرة
بلا خلاف اختلفت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، بعد موت جعفر
الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين . »

والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر ابن أمير الجيوش بدر
الجمالى ، المكنى بأبى محمد ، الملقب بالمظفر ، *

وقوله فى رحبة أبى تراب :

« ٠٠٠ وسبب نُسبها الى أبى تراب أن هناك مسجداً من
مساجد الخلفاء الفاطميين تُزعم العامة ومن لا خلاق له أن به قبر
أبى تراب النخشبى ، وهذا القول من أبطل الباطل ، وأقبح شئ
فى الكذب ، فإن أبى تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين
النخشبى ، صاحب حاتم الأصم وغيره ، وهو من مشايخ الرسالة ،
ومات بالبادية ، نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين ، قبل
بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين . » *

وقوله فى مسجد الفجل :

« ٠٠٠ وتسميه العامة مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم
كان يمر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد .
فعرف بذلك . »

وهذا القول كذب لا أصل له • وقد تقدم فى هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها ، وما علمت أن النيل كان يمر هناك أبدا •

وبلغنى أنه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذى كان يقوم به كان يعرف بالفجل ، والله أعلم •

وقوله فى دمياط :

« ••••• ويزعم أهل دمياط - الآن - أن سبب امتناع دخول مرآكب البحر جبل فى فم البحر ، أو رمل يتربى هناك ، وهذا قول باطل ، حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان ، وجهلهم بأحوال الوجود وما مر من الوقائع » •
وقوله فى أهناس :

« ••••• هى كورة من كور الصعيد ، يقال : ان عيسى بن مريم - عليه السلام - ولد بها ، وان نخلة مريم - عليها السلام - التى تكثرت فى قوله تعالى : « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (٢ : مريم لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية •

والذى عنيه الجماهرة أن عيسى - عليه السلام - انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس » •

ويلحق بهذا رده على منكرى نسب « الفاطميين » الى العلوية ،

قائلا :

« ••••• وهذه الأقوال ان أنصفت تبين لك أنها موضوعة ، فان بنى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قد كانوا ان ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى أو لابن يهودى ، فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف •

وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غصوا
بمكان الفاطميين ، فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحو من مائتين
وسبعين سنة ، وملكوا من بنى العباس بلاد المغرب ومصر والشام
واديار بكر والحرمين واليمن ، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة •

وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلأنت - حينئذ -
بتنفيذ الكافة عنها بأشاعة الطعن فى نسبهم ، وبث ذلك عنهم
خلفاؤهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمرء دولتهم الذين كانوا يحاربون
عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرفة العجز
عن مقاومتهم ، ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام
والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد •

وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين ، وشهد بذلك من
أعلام الناس جماعة ، منهم الشريفان الرضى والمرضى ، وأبو حامد
الاسفراينى والقدرى ، فى عدة وافرة ، عندما جمعوا لذلك ، فى
سنة اثنتين وأربعمائة ، أيام القادر •

وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع ، لما اشتهر وعرف
بين الناس ببغداد • وأهلها انما هم شيعة بنى العباس الطاعنون
فى هذا النسب والمتطهرون من بنى على بن أبى طالب ، الفاعلون
فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة ، فنقل الاخباريون وأهل
التاريخ ذلك كما سمعوه ، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر •

والحق من وراء هذا ، وكفكف بكتاب المعتضد من خلائف بنى
العباس حجة ، فانه كتب فى شأن عبيد الله الى ابن الأغلب بالقيروان
وابن مدرار بسجل ماسة بالقبض على عبيد الله •

فتقطن - أعزك الله - لصحة هذا الشاهد ، فان المعتضد لولا
صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه ، ان القوم

— حينئذ — لا يدعون لدعى البتة ، ولا يذعنون له بوجه ، وانما يينقادون لمن كان علويا ، فخاف مما وقع ، ولو كان عنده من الأدياء لما مر له بفكر ، ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض .

وانما كان القوم — أعنى بنى على بن أبى طالب — تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم فى كل وقت ، وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب ، فصاروا ما بين طريد شريد ، وبين خائف يتربح . ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم مالا مزيد عليه .

وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم فلاندوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، حتى تسمى محمد ابن اسماعيل الامام — جد عبید الله المهدي — بالمكتوم ، سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم .

... هذه خلاصة أخبارهم فى أنسابهم ، فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم ، والله يهدى من يشاء .

(د) استجلاء مواطن العبرة والعظة :

كنحو قوله مترجما « الناصر محمد بن قلاوون » منشئ الجامع الجديد الناصرى :

« ... فسبحان من لا يحول ولا يزول ، هذا ملك أعظم المعمور من الأرض مات غريبا ، وغسل طريحا ، ودفن وحيدا ، ان فى نلك لعبرة لأولى الألباب » .

وقوله فى المدرسة الآقباوية ، مترجما « علاء الدين ، آقبا بن عبد الواحد » ، وكان على جانب كبير من الظلم والطمع والتعاضم وقد قبض عليه من دمشق ، وأرسل الى الاسكندرية مقيدا ليقتل بها :

« ٠٠٠ ومن غريب ما يحكى عن طمع آقيفا ، أن مشد الحاشية دخل عليه ، وفى أصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق . فقال له آقيفا : آيش هو هذا الخاتم ؟ فأخذ يعظمه ، وذكر أنه من تركة أبيه ، فقال : بكم حسبوه عليك ؟ فقال : بأربعمائة درهم ، فقال : أرنيه . فناوله آياه ، فأخذه وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله ، فضيحة أن تأخذ خاتمك ، ولكن خذه أنت وهات ثمنه ! ودفعه إليه ، والزمه باحضار الأربعمائة درهم ، فما وسعه الا أن احضرها إليه . فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غريبا . »

وقوله فى سوق الدجاجين :

« ٠٠٠ وكان يوجد فى كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاس التى بها هذه العصفير آلاف ، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير ، وفى كل جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والبيغاء والسيمان . »

وكنا نسمع أن من السيمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع ، يبلغ الواحد منها نحو الألف . لتنافس الناس فيها ، وتوفر عدد المعتنين بها ، وكان يقال لهم : غواة طيور المسموع ، سيما الطواشية ، فانه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السيمان ، ويتأنقوا فى أقفاصه ، ويتغالوا فى اثمائه ، حتى بلغنا أنه بيع طائر من السيمان بألف درهم فضة ، عنها - يومئذ - نحو الخمسين دينارا من الذهب ، كل ذلك لاعجابهم بصوته ، وكان صوته على وزن قول القائل : ططلق وعوع ، وكلما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه .

فاعتبر بما قصصته عليه حال الترف الذى كان فيه أهل مصر ، ولا تتخذ حكاية ذلك هزوا تسخر به ، فتكون ممن لا تنفعه الموعظ ، بل يمر بالآيات معرضا غافلا ، فتحرم الخير . »

(ه) الكشف عن عاطفته :

وهى عاطفة قوية ، مجلة لموطنه مصر ، متحسرة فى مواضع ،
حزينة فى أخرى ، باكية فى غيرها ، لما يصيبها من خراب أو
انضاع .

ومن ذلك تحسره لما درس من عادات مصر ورسومها ، على
النحو المدرك من قوله فى الحمام الرسائلى :

« ٠٠٠ قال مؤلفه رحمه الله ا: قد بطل الحمام من سائر المملكة
الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ، ومن بلبيس الى قلعة الجبل ،
ولا تسبل بعد ذلك عن شيء ، وكأنى بهذا القدر وقد ذهب ، ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وقوله فى المدرسة الصاحبية البهائية :

« ٠٠٠ وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر
٠٠٠ ثم تلاشى أمرها حتى هدمت ، وسيجهل عن قرب مرضعها ،
ولله عاقبة الأمور » .

وحزنه لما حل بسوق بين القصرين على عهده ، كما هو مصرح
به فى قوله :

« ٠٠٠ هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا ، وكان فى
الدولة الفاطمية براجا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس
وراجل ، ثم لما زالت الدولة ابتدل وصار سوقا يعجز الواصف عن
حكاية ما كان فيه - وقد تقدم ذكره فى الخطط من هذا الكتاب -
وفيه الى الآن بقية تحزننى رؤيتها ان صارت الى هذه القلة » .

ويكائه لما حل بكوم الريش من خراب ، بعد أن كانت بلدة عامرة
كما هو مدرك من قوله :

« ٠٠٠ وما برحت على ذلك الى أن حدثت المحن من سنة ست
وثمانمائة ، فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع ، وجهلت طرقها ،
وتغيرت معاهدها ، ونزل بها من الوحشة ما أبكاني ، وأنشدت في
رؤيتها عندما شاهدها خرابا :

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها

في نعمة وأونس أتراب

« وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم
شديد » (١٠٢ : هود) .

(و) النعت بالحسن أو بالشناعة :

من ذلك قوله في جامع شيخو :

« ٠٠٠ وجامعه هذا وخانقاهه التي بخط الصليبية لم يعمر
مثلها قبلهما ، ولا عمل في الدولة التركية مثل أوقافهما ، وحسن
ترتيب المعالم بهما » .

وقوله في معرض حديثه عن كنائس النصارى ، وقد حدث
ما نسميه اليوم بالفتنة الطائفية ، التي راح ضحيتها العديد من
الكنائس والمساجد ، وغيرهما :

« ٠٠٠ ولم يسمع بأبشع من هذه الكائنة ، فإنه احترق على
يد النصارى بالقاهرة ربيع في سوق الشوائين ، وزقاق العريسة بحارة
الديلم ، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين ، وعدة أماكن بحارة
الروم ، ودار بهادر ، بجوار المشهد الحسيني ، وأماكن باسطيل
الطارمة وبدرب العسل ، وقصر أمير سلاح ، وقصر سلار بخط بين
القصرين ، وقصر بيسرى ، وخان الحجر والجمالون ، وقيسارية
الأدم ، ودار بيبرس بحارة الصالحية ، ودار ابن المغربي بحارة

زويلة ، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحكر وفى قلعة الجبل ،
وفى كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الأماكن بمصر
والقاهرة ، يطول عددها .

وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجنين .
وكنيسة الزهرى فى الموضع الذى فيه - الآن - البركة الناصرية .
وكنيسة الحمراء ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، تعرف بكنيسة
البنات ، وكنيسة أبى المنيا ، وكنيسة الفهادين بالقاهرة . وكنيسة
بحارة الروم ، وكنيسة بالبندقانيين ، وكنيستين بحارة زويلة
وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالخذق ، وأربع كنائس بشارع
الاسكندرية ، وكنيستين بمدينة دمنهور الوحش . وأربع كنائس
بالغربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس باليهنساوية
وبأسسيوط وعنفوط ومنية الخصيب ثمان كنائس ، وبقوص وأسوان
احدى عشرة كنيسة ، وبالأطفيحية كنيسة ، وبسوق وردان من مدرسة
مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس ، وخرب من
الديارات شىء كثير ، وأقام دير البقل ودير شبران مدة ليس فيهم
أحد .

وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدة يسيرة ، قلما يقع مشهد
فى الأزمان المتطاولة ، هلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الأموال
وخرب من الأماكن ، مالا يمكن وصفه لكثرتة ، وله عاقبة الأمور .

وهكذا ، فان مؤرخنا قابل خسائر المسلمين بخسائر النصارى
معددا بأمانة لكل منها ، وقد اعتبر الجميع « خطوبا جليلة » مما
يشير الى أن الشناعة لاتصاحب جانبا دون غيره ، وفى هذا ما يشير
الى التزام دينى مدرك لأهمية الخطب الجلل ، المستهدف للطغمة
معا ، وبالتالى يشير الى نزاهة صاحبه وعدم تعصبه .

(ز) نقد أحوال مجتمعه :

من ذلك غمزه أمراء المماليك فى عصره وأربابهم ، من خلال حديثه عن رتب أمراء الفاطميين ، قائلا :

« ٠٠٠ » وكانت الدولة لا تسند ذلك (الرتب والوظائف) الا الى أرباب الشجاعة والنجدة ، ولهذا دخل فيه أخلط الناس من الأرمن والروم وغيرهم . وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى » .
واشارته الى اتضاع رتب الأمراء فى عصره وتلاشى أحوالهم ، قائلا :

« ٠٠٠ » وقد اختلت - الآن - الرسوم ، واتضعت الرتب ، وتلاشت الأحوال ، وعادت أسماء لا معنى لها ، وخيالات حاصلها عدم .
والله يفعل ما يشاء » .

ومقابلته بين حكمين قضائيين ، سالف ومعاصر ، للدلالة على تساهل القضاة فى عصره وتناقضهم ، فى معرض حديثه عن « جامع الحاكم » وقد عقد مجلس للحكم فى صحبة وقف قطعة أرض فى طنطا على مصالح هذا الجامع بحضور « الناصر حسن » لرغبته فى ابطال الحكم بصحة الوقف ، وقد اختلف المقتون والقضاة ، قائلا :

« ٠٠٠ » انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضى تاج الدين المناوى - وهو يومئذ خليفة الحكم - ومصادمته الجبال ، وبين ما استتف عليه من التساهل والتناقض فى خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الأستاذار ، وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين .

وهذه الأرض التى ذكرت هى - الآن - بيد أولاد الهرماس ، بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى ، والجامع

- الآن - متهدم ، وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعاد » .

وانتقاده تصرفات العامة ، فيما تعلق بالتوسل الى الله بأرباب المشاهد والقبور ، قائلاً فى معرض حديثه عن رحبة أبى تراب :

« ٠٠٠ وبالله ، ان الفتنة بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة بروجوان ، الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة ، فانهما صارا كالأنصاب التى كان يتخذها مشركوا العرب ، يلجأ اليها سفهاء العامة والنساء فى أوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم وشدائدهم التى لا ينزلها العبد الا بالله ربه ، ويسألون فى هذين الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله - تعالى - وحده من وقاء الدين من غير جهة معينة ، وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور من الزيت وغيره اليهما ، ظنا أن ذلك ينجيهم من الكار ، ويجلب اليهم المنافع .

ولعمري ان هى الاكرة خاسرة ، والله الحمد على السلامة » .

وسيه من يتعاطون الحشيش ، منفرا منه ، معددا لآثاره السيئة على مجتمعه ، قائلاً :

« ٠٠٠ فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر بالشجرة الملعونة ، فظهر أمرها واشتهر أكلها ، وارتفع الاحتشام من الكلام بها ، حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين .

وبهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق ، وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس ، وجهروا بالسوء من القول ، وتفاخروا بالمعائب ، وانحطوا عن كل شرف وفضيلة ، وتحلوا بكل ذميمة من الأخلاق ورتيلة ، فلولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ، ولولا الحس لما حكمت عليهم بالحيوانية ، وقد بدا المسخ فى الشمائل والأخلاق ،

المنذر بظهوره على الصور والذوات ، عافانا الله - تبارك وتعالى -
من بلائه » .

ونقده لحال وطبيعة السجون فى عصره ، ناقيا عنها الشرعية ،
بقوله :

« ٠٠٠ » وأما الحبس الذى هو - الآن - فإنه لا يجوز عند أحد
من المسلمين ، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم ،
غير متمكين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عورة بعض
السنة وأكثر ولا جدة له ، وإن أصل حبسه على ضمان . وأما سجون
الولاية فلا يوصف بما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم أنهم
يخرجون مع الأعوان فى الحديد حتى يشحنوا وهم يصرخون فى
الطرقات (من) الجوع ، فما تصدق به عليهم لا ينالهم منه إلا ما
يدخل بطونهم ، وجميع ما يجمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجنان
وأعوان الوالى ، ومن لم يرضوا بالغوا فى عقوبته ، وهم مع
ذلك يستعملون فى الحفر فى العمائر ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ،
والأعوان تستحثهم ، فإذا انقضى عملهم ردوا الى السجن فى
حديدهم من غير أن يطعموا شيئاً ، الى غير ذلك مما لا يسع حكايته
هنا » .

(ح) استقراء التاريخ للكشف عن العامل الرئيس فى توجيه
حوادثه :

وشواهد كثيرة ، منها قوله فى ابتدال القاهرة بعد سقوط
الخلافة الفاطمية :

« ٠٠٠ » وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمة
وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية ٠٠ فصارت القاهرة مدينة

سكنى ، بعدما كانت حصنا يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ إليها ،
فهانت بعد العز ، وابتذلت بعد الاحترام .

وهذا شأن الملوك ، مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ، ويميتون
ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون ، وكذلك
كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب ، وهم على ذلك فى أيام الاسلام ،
فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان ، وهدم الأطم التى كانت
بالمدينة ، وقد هدم زياد كل قصر ومصنع لابن عامر ، وقد هدم بنو
العباس مدن الشام لبنى مروان .

وإذا تأملت البقاع وجدتها

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وتعليقه لخراب ودثور أكثر أحياء مصر ، قائلا :

« ٠٠٠ » واتصلت عمائر مصر والقاهرة ، فصارا بلدا واحدا ،
يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر
والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والأزقة والدروب
والخطط والحدائق والأحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط
والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك
والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات ، متصلا جميع ذلك بعضه
ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ، ومن
شاطئ النيل بالجيزة الى المقطم . ومازلت هذه الأماكن فى كثرة
العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم ، وتختال عجايبهم ،
لما بالغوا فى تحسينها ، وتأنقوا فى جودتها وتنميقها ، الى أن حدث
الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فخلا كثير من هذه
المواضع ، وبقي كثير أدركناه .

فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة ، وقصر جرى
النيل فى مده ، وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لك

وتحريقها وقتل أهلها ، وارتفاع أسعار الديار المصرية ، وكثرة الغلاء فيها وطول مدته ، وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها ، وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة ، وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه ، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب ، واتضاع أمور ملوك مصر ، وسوء حال الرعية ، واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس ، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور ، وتتبع أرباب الأموال ، واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة ، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأعلى الأثمان ، الى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه ، ولا تسع الأوراق حكايته ، كثر الخراب (٢٠٤) بالاماكن التى تقدم ذكرها ، وعم سائرهما ، وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها اليوم والرخم ، أو مستهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدثور . سنة الله التى قد خلت فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . *

وهكذا ، فإنه علل لهذه الظاهرة بعدة حوادث داخلية وبخارجية ، طبيعية وبشرية ، مجتمعة ، ولم يكتف بالتعليل لها بعامل واحد ، موجه بالعاطفة الدينية كما فعل كثير من معاصريه عن المؤرخين . *

ويلحق بذلك المقابلة بين حال المماليك فى الزمن الأول وحالهم فى زمنه للكشف عن العامل الرئيسى فى اختلال أمرهم ، على النحو المدرك من قوله :

(٢٠٤) تظهر هذه الشذرات النقدية الواردة فى التعليل لخراب مصر ، أن مؤرخنا قد عدل عن جعلها فصلا « سايعا » مستقلا يرد فى آخر الخطط ، وبالتالي فإن الخطط قد وصلتنا تامة ، وقريبة ذلك أن ما أشير اليه فى مقدمة الكتاب من جعل وصف « قلعة الجبل » قسما سادسا ، قد عدل عنه ، بحيث أتت مادته متخللة مادة القسم الخامس . *

« ٠٠٠ وكانت للمماليك بهذه الطبايق عادة جميلة : أولها انه اذا قدم بالملوك تاجره عرضه على السلطان ، ونزله فى طبقة جنسه ، وسلمه لطواشى برسم الكتابة ٠ فأول ما يبدأ به تعلمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر اليها كل يوم، ويأخذ فى تعليمها كتاب الله - تعالى - ومعرفة الخط ، والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار ٠

وكان الرسم اذ ذاك أن لا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فانذا شب الواحد من المماليك ، علمه الفقيه شيئاً من الفقه ، وأقراده فيه مقدمة ، فاذا صار الى سن البلوغ ، أخذ فى تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ، ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية فى معرفة ما يحتاج اليه ، واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى الشباب ، لا يجسر جندى ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم ٠

فينقل اذن الى الخدمة ، وينتقل فى أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الأمراء ، فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه، وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده فى رماية الشباب ، وحسن لعبه بالرمح ، وهرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير فى رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر ٠

هذا ، ولهم أزمة من الخدم ، وأكابر من رعوس النوب ينحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فان عثر أحد من مؤدبيه - الذى يعلمه القرآن ، أو الطواشى الذى هو مسلم اليه ، أو رأس النوبة الذى هو حاكم عليه - على أنه اقتترف ذنباً أو اخل برسم ، أو ترك

أدبا من آداب الدين أو الدنيا ، قابله على ذلك بعقوبة مؤلة شديدة
بقدر جرمه •

••• فلذلك كانوا سادة يديرون الممالك ، وقادة يجاهدون فى
سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون فى اظهار الجميل ، ويرعون من
جار أو تعدى •

وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلوات
والفواكه والكسوات الفاخرة ، والمعالم من الذهب والفضة ، بحيث
تتسع أحوال غلمانهم ، ويفيض عطاؤهم على من قصدهم •

ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق ، راعى الحال فى ذلك بعض
الشيء الى أن زالت دولته فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فلما
عاد الى المملكة رخص للممالك فى سكنى القاهرة وفى التزوج ،
فنزلوا من الطبايق من القلعة ، ونكحوا نساء أهل المدينة ، وأخذوا
الى البطالة ، ونسوا تلك العوائد •

ثم تلاشت الأحوال فى أيام الناصر فرج بن برقوق ، وانقطعت
الرواتب من اللحوم وغيرها ، حتى عن ممالك الطبايق مع قلة عددهم ،
ورتب لكل واحد منهم فى اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس ،
فصار غذاؤهم فى الغالب الفول المصلوق ، عجزا عن شراء اللحم
وغيره •

هذا ، وبقي الجلب من الممالك انما هم الرجال الذين كانوا فى
بلادهم مابين ملاح سفينة ، ووقاد فى تنور خبز ، ومحول ماء فى
غيط أشجار ، ونحو ذلك • واستقر رأى الناصر على أن تسليم
الممالك للفقهاء يتلفهم ، بل يتركون وشئونهم •

فبدلت الأرض غير الأرض ، وصارت الممالك السلطانية أرذل
الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشجعهم نفسا ، وأجهلهم بأمر

الدنيا ، وأكثرهم اعراضاً عن الدين • ما فيهم الا من هو أزننى من قرد ، والى من قارة ، وأفسد من نذب ، لا جرم أن خربت أرض مصر والشام - من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات - بسوء ابالة الحكام ، وشدة عبث الولاة ، وسوء تصرف أولى الأمر ، حتى انه ما من شهر الا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه •

وهكذا ، فان مؤرخنا - كذلك - قد عمد فى هذا الموضع الى البحث عن الأسباب الرئيسية فى تبدل حال الممالك السلطانية على عصره ، محللا وناقدا ، متبعا ذلك بما يترتب على سوء حالهم من تخريب البلاد واختلال أمورها •

ويواكب ذلك - أيضا - قوله معللا لتأثر الممالك بالنظم المغولية ثم انتقاده لحجابهم ، وقد تقلدوا وظيفة القضاء :

« ••• فلما كثرت وقائع التتر فى بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، وأسروا كثيرا منهم وياعوههم ، تنقلوا فى الأقطار ••• ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم التتار وأسروا منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام •

ثم كثرت الوافدية فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، وملؤا مصر والشام ، وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكز خان على منابر مصر والشام والحرمين ، فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل ، وانتشرت عاداتهم بها وطوائفهم • هذا وملوك مصر وأمرأؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكز خان وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم •

وكانوا انما رهبوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى الرديء ، وفروضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية

من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا اليه النظر فى الأفضية الشرعية ، كداعى الزوجين ، وأرباب الديون ونحو ذلك .

واحتاجوا فى ذات أنفسهم الى الرجوع لعسادة جنكز خان والافتداء بحكم الياسة .

فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم ، والأخذ على يد قويهم ، وانصاف الضعيف منه ، على مقتضى ما فى الياسة ، وجعلوا اليه مع ذلك النظر فى قضايا الدواوين السلطانية ، عند الاختلاف فى أمور الاقطاعات ، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الدواوين وقواعد الحساب ، وكانت من أجل القواعد وافضلها ، حتى تحكم القبط فى الأموال وخراج الأراضى فشرعوا فى الدويوان مالم يأذن به الله تعالى ، ليصير لهم ذلك سييلا الى أكل مال الله - تعالى - بغير حقه . وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان فى معظم الأمور .

هذا ، وستر الحياء - يومئذ - مسدول ، وظل العدل صاف ، وجانب الشريعة محترم ، وناموس الحشمة مهاب ، فلايكاد أحد ان يزيغ عن الحق ، ولا يخرج عن قضية الحياء ، ان لم يكن له وازع من دين ، كان له ناه من عقل ، ثم تقلص ظل العدل ، وسفرت أوجه الفجور ، وكشر الجور انيابه ، وقلت المبالاة ، وذهب الحياء والحشمة من الناس ، حتى فعل من شاء ما شاء ، وتعدت منذ عهد المحن التى كانت فى سنة ست وثمانمئة الحجاب ، وهتكوا الحرمة ، وتحكموا بالجور تحكما خفى معه نور الهدى ، وتسلطوا على الناس مقتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ، لينيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

ومن الشواهد الدالة على استقرار التاريخ لديه للكشف عن العامل الرئيس في توجيه حوادثه ، قوله في انتقال الملك عن مؤسسى الدول الى غير اولادهم :

« ٠٠٠ قال ابن عبد الظاهر : وسمعت حكاية تحكى عن صلاح الدين أنه طلعا (القلعة) ومعه أخوه الملك العادل ، فلما رأها التفت الى أخيه وقال : ياسيف الدين ، قد بنيت هذه القلعة لأولادك !

فقال : ياخوند ، من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا .

فقال : ما فهمت ما قلت لك . أنا نجيب ما يأتى لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء . فسكت .

قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف ، من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ، ليس هو خاصا بدولته بل اعتبر ذلك فى الدول تجد الأمر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه :

هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو القائم بالملة الاسلامية ، ولما توفى - صلى الله عليه وسلم - انتقل أمر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه . ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - الى بنى أمية ، كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فلم تفلح أولاده ، وصارت الخلافة الى مروان بن الحكم بن العاصى ابن أمية ، فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بنى العباس - رضى الله عنه - فكان أول من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ، ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، واستقرت فى بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد .

وكذا وقع فى دول العجم - أيضا - فأول ملوك بنى بويه
عماد الدين أبو علي الحسن بن بويه ، والقائم من بعده فى السلطنة
أخوه حسن بن بويه وأول ملوك بنى سلجوق طغريل ، والقائم من
بعده فى السلطنة ابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن
سلجوق .

وأول قائم بدولة بنى أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، ولما مات اختلف أولاده ، فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر
والحجاز واليمن الى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، واستمر
فيهم الى أن انقرضت الدولة الأيوبية ، فقام بمملكة مصر المماليك
الأتراك .

وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك ، فلما مات لم يفلح
ابنه على ، فصارت المملكة الى قطن .

وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق ، وانتقلت
المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج الى الملك المؤيد شيخ
المحمودى الظاهرى .

وقد جمعت فى هذا فصلا كبيرا ، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته
لك ، والله عاقبة الأمور .

وقوله وقد رجح فكره على فكر الفقهاء ، مستهجننا تحريجهم
من الصلاة فى المارستان المنصورى لاجراج أهل موضعه منه كرها ،
والاعتساف فى بنيانه :

« ٠٠٠ قال مؤلفه : ان كان التخرج من الصلاة لأجل أخذ الدار
القطبية من أهلها بغير رضاهم ، واخراجهم منها بعسف ، واستعمال
إنقاض القلعة بالروضة ، فلعمري ما تملك بنى أيوب الدار القطبية ،
وبناؤهم قلعة الروضة ، واخراجهم أهل القصور من قصورهم التى

كانت بالقاهرة ، واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كاخذ
قلابون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة ، واخراج
مؤنسة وعيالها من الدار القطبية .

وأنت ان أمعنت النظر ، وعرفت ما جرى ، تبين لك أن ما القوم
الا سارق من سارق ، وغاصب من غاصب » .

وهكذا ، فان « المقریزی » كان واسع الأفق ، لا تيمه ظواهر
الأمر بقدر ما يعنيه التوغل الى أعماقها ، تعليلا لها وتفسيرا .

(ط) تمجيد مصر ، والتدليل على عظمتها :

وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله مستدلا من سعة مال أبي
البركات ابن أبي الليث متولى ديوان المجلس الفاطمي على عظم شأن
مصر في ظل الخلافة الفاطمية ، قائلا :

« ٠٠٠ فانظر - أعزك الله - الى سعة أحوال الدولة من معلوم
رجل واحد من كتاب نواويزها ، يتبين لك - بما تقدم ذكره في هذه
المرافعة - من عظم الشأن وكثرة العطاء ، ما يكون دليلا على باقى
أحوال الدولة » .

وقوله محقبا على ما أثبت من امتلاك « المكين » متولى قضاء
الاسكندرية اثناء قيمته خمسمائة دينار ، جعل الحفظ دهن الشمع :

« ٠٠٠ فانظر - رحمة الله - الى من يكون دهن الشمع عنده
في اثناء قيمته خمسمائة دينار ، ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج
اليه البتة ، فماذا تكون ثيابه وخلى نسنائه وفرش داره وغير ذلك من
التجملات » .

وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ، ومن قاضى الاسكندرية

بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة ، وما نسبة اعيان الدولة – وان عظمت أحوالهم – الى أمراء الخلافة وأبهتها الا يسير حقير » .

وليس هذا اعزازا للدولة الفاطمية التى تردد فى المصادر الحديثة أو فى بعضها تعصب المقرئى لها – وقد ادعى انتسابه اليها – بقدر ما هو اعزاز لمصر ، وقد كان حكم هذه الدولة قطعة من تاريخها ، ودليله تمجيد مصر والتدليل على عظمتها من خلال قوله فى الفسطاط على عهد الطولونيين :

« ٠٠٠ قال ابن المتوج ٠٠ : وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده – وكان من أكابر الصلحاء – أنه قال : عدت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلاثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالأرض ، سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص .

فتأمل – اعزك الله – ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر ، فإن هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط ، وموضعه اليوم القضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون .

ومن المعروف أن الأسواق التى تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التى هى خارجها ، ومع ذلك ففى هذا السوق من صنّف واحد من المأكّل هذا القدر ، فكم ترى يكون جملة ما فيه من سائر اصناف المأكّل ، وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من هذا السوق !؟ .

وقوله معقبا على ما أورده « ابن زولاق » بشأن سعة عيش أحد كتاب الخراج فى الدولة الطولونية :

« ٠٠٠ فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر ، كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنّف القمح ،

وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة ، وكيف لم يعبا
بأربعمائة دينار حتى وهبها لدقاق قمح • وما ذاك الا من كثرة المعاش
وقس عليه باقى الأحوال » •

وقوله :

« ••• فأنظر ما تضمنته أخبار المادرائى ، وقس عليها بقية
أحوال مصر ، فما كان سوى كاتب الخراج ، وهذه أمواله كما قد
رأيت » •

وهكذا ، فان الغاية هى تلمس عظمة مصر ، بالتدليل على
عظمة الدول الحاكمة فيها ، وليس التعصب لدولة من الدول لادعاء
نسب أو غيره •

صدر من هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د • عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عيد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د • محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات أوربا على الشواطئ المصرية فى العصور
الوسطى
عطية عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

- ٧ - صلاح الدين الأيوبي
د • عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتي لازمة الحياة الفكرية
د • علي بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د • محمد أنيس
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزي
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د • نبيل راعب
- ١٣ - أكتوبية الاستعمار المصري للسودان
د • عبد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة
د • سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي
د • علي حسن الخريوطي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د • حلمي أحمد شسليبي

- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د ٠ محمد نصر فرحات
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د ٠ على السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د ٠ أحمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زعول و عبد الرحمن فهمى
د ٠ محمد اتيس
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر
جمال بدوى
- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د ٠ تجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى
ترجمة : د ٠ عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د ٠ سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

- ٢٩ - مصر فى عهد الاخشيديين
د ٠ سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون فى مصر
د ٠ حلمى أحمد شلبي
- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمعى المطيعى
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د ٠ خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د ٠ يوتان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د ٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د ٠ سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د ٠ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د ٠ جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د ٠ عبد المعتم الدسوقى الجميعى

- ٤١ - محمد فريد الموقف والناساة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غريال
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى عصر فى العصر
العثمانى
د • محمد عفيفى
- ٤٥ - الحروب الصليبية
تأليف : وليم الصورى
ترجمة : ا • ا • حسن حبشى
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د • عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث
تأليف : ا • ا • لطيفة محمد سالم
- ٤٨ - الفلاح المصرى
تأليف : د • زييد عطا
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : ا • ا • عبد العظيم رمضان
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د • سهير اسكندر
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د • عبد العظيم رمضان
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن
الثامن عشر
تأليف : د • الهام محمد على زهنى

الفصل الثالث :

- ابن دقماق وكتابه « الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلطين » ١٠٣
- ابن دقماق - دراسة حياة ١٠٥
- مجهوداته فى الكتابة التاريخية ١٠٩
- الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلطين ١١٢
- مصادر مادة الكتاب ١٢٢
- النقد التاريخى ١٣٠
- بين المخطوط والمطبوع ١٣٦

الفصل الرابع :

- التقى المقرئى وكتابه « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ١٥٥
- التقى المقرئى - دراسة حياة ١٥٧
- مجهوداته فى الكتابة التاريخية ١٧٧
- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ٢١٩
- مصادر مادة الكتاب ٢٣٠
- النقد التاريخى فى الخطط ٢٦٠

رقم الايداع ١٩٩٢/٣٥٠٨

I.S.B.N. 977 — 01 — 3027 — 3 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب

دراسة تتيح للقارئ الاطلاع على اربعة مؤلفات لأربعة
مؤرخين :

- المختصر في علم التاريخ للمحيى الكافيجي

- تاريخ الرسل والملوك لابن الفرات

- الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للنقوى المقريزي

وجميعها كتابات تاريخية قيمة قد لا يتيسر للقارئ الاطلاع

عليها إلا من خلال هذا العمل الذي كتبه متخصص ذو منهج

تحليلي يستفيد منه الدارس المتخصص والقارئ العادي ،

وغير خاف ان هذه المؤلفات هي مصادر لا غنى عنها للكتابة

التاريخية في العصر الإسلامي والوسيط ، ونأمل ان يجد فيه

القارئ مبتغاه .

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
www.bibliothecaalexandrina.org



0207537

مطابع الهيئة المصرية الـ

٣٦٠ قرشاً